غالب حسن



قضايا إسلامية معاصرة

الإمامة والتاريخ

قراءات وثائقية في مواقف ثلاثة أئمة

دار الهادي

الإمامة والتاريخ

قراءات وثائقية في مواقف ثلاثة أئمة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

قضايا إسلامية معاصرة

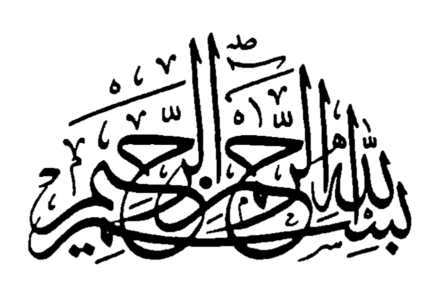


الإمامة والتاريخ

قراءات وثائفية في مواقف ثلاثة أئمة

غالب حسن





مقدمة

الحديث عن الائمة كتاريخ شيق لذيذ، ولكنه في الوقت ذاته مسؤولية كبيرة؛ لأن أي مفردة تنتظم هذا التاريخ تشكل مصدر معرفة وإرشاد، وعليه لابد من الأتقان، فإن مفردات هذا التاريخ بالنسبة لنا، لا تقل خطورة واهمية عن (الحكم الشرعي).

ان غياب الاتقان في تظهير الصحيح من سيرتهم أخطر منه في المجال الشرعي الحكمي؛ لان هذه السيرة / التاريخ تؤسّس مصيراً عريضاً يمتد لآفاق بعيدة، فيما الحكم الشرعي قد لا يتعدى احيانا الدائرة الشخصية لهذا الملكف أو ذاك. وهذا بطبيعة الحال يقودنا الى التساؤل عن معالم المنهج المتبع.

هناك منهجان بشكل عام:

الأول: ان ندرس هذا التاريخ عقائديا، أي نحاول ان نطابق بين مفرداته من جهة وبين إمضاءٍ مرسوم سلفا، فهناك صورة عقيدية ارشادية قبليّة تؤثر وتفسّر وتعلل.

الثاني: ان ندرس هذا التاريخ زمنيّاً بإسلوب يعتمد على الملاحظة الوثائقية للحوادث والمجريات المكوّنة لهذا التاريخ، وننظمها في نسق منهجي دقيق.

وفي الحقيقة ان المذهب الاول صعب، طالما يقود الى منطق التأويل والتحميل وربما يحول في النتيجة الى بحث عقائدي، ثم ان هويته لا تنتمي الى التاريخ بالمعنى العلمي، وله مجاله وآلياته الخاصة به، ولا أريد هنا ان أرسي قطيعة بين تاريخ الأئمة والعقيدة، وانما أهدف الوفاء للمنهج التاريخي، أي المعالجة التاريخية للظاهرة، فان مفهوما كالابتلاء مثلا، لا يصلح كآلية لتحليل العلاقة

تأريخيا بين ثورة الحسين واختيار الكوفة لعمله الكبير؛ لان هذا المفهوم ينتمي الى العقيدة، ولا ينتمي الى دائرة آليات التحليل التاريخي.

وهذا التحذير لا يعني إِقصاء الدوافع العقيدية في هذه السيرة المعطرة، لاننا انما نحذر من مغبة التطابق بين مخطط الهي سابق وبين سيرة لاحقة، ولكن هذا لا يعني ان الحسين عليه السلام لم يتحرك بدوافع عقائدية، فهناك فارق جوهري بين الصورتين، ولذلك سوف نختار المنهج الزمني التاريخي الوثائقي في دراسة حياة الأئمة سلام الله عليهم، فمنهم صُنّاع تاريخ على ضوء حركة الزمن، يصنعون الحدث بلحاظ الواقع الموجود، ومن هنا يمكننا استيعاب هذه السيرة على صعيد العمل.

والكلام عن مصادر هذا التاريخ هو الآخر يدخل في جوهر المهمة، ترى ما هي مصادرنا المعتمدة في تدوين تاريخ الجواد والهادي والعسكري سلام الله عليهم؟

لا أريد ان افصّل في هذه النقطة الحساسة، ولكن ما أود بيانه في صدد تاريخ الأئمة الأواخر هو اننا نواجه بعض الصعوبات التقنية.

ان مصادر التاريخ العام لا تتعرض لحياة هؤلاء، وبالتالي فهي لا تسعفنا في ترسيم هذا التاريخ، اما مصادرنا الخاصة فهي الأخرى تعاني من ارتباك. ان هذه المصادر مثل (اعلام الورى، مناقب آل ابي طالب، كشف الغمة، الارشاد...) لا تعتبر مادة تاريخية جيدة او مسعفة لما نحن في صدده، فقد استغرقت بالحديث عن المعاجز والمكارم والاخلاق والوصايا الوعظية، وهذه القضايا على أهميتها لا تشكل ذخيرة تاريخية. واذا كان من المفروض ان نتعامل معها كمادة لتدوين التاريخ، ففي مرحلة متأخرة، وان اللجوء الى هذه المفردات لتسويد صفحات عن سيرة الجواد او العسكري، وبدرجة غالبة، يشكل دليلاً على افتقار التاريخ والاعتماد عليها يعطينا هامشاً تاريخياً وليس تاريخاً.

ومن هنا لجأ كثير من الباحثين الى كتب الرجال لتفادي هذا النقص، لعلهم

يعثرون على المادة التاريخية بالمعنى الاصطلاحي، وفي مقدمتها (رجال الكشي) ورغم ان هذا السفر يحوي شيئاً من هذا القبيل، الا انه دون المستوى في الموضوع الذي نحن فيه، خاصة وأنّ هناك نقطتين جوهريتين في الاعتماد على هذا الكتاب:

الأولى: ان كتاب الكشي نفسه ليس اصلاً، فهو قد مرّ بتغييرات على يد الشيخ الطوسي، ولا ندري مديات ولا آليات هذا التغيير.

الثانية: ان الكثير مما جاء في هذا الكتاب يعاني من السند المرتبك.

ومهما يكن من أمر، فاني قرأت أكثر من عمل في حياة الأئمة (الجواد، الهادي، العسكري) وقد وجدت ان هناك معاناة شديدة في ترسيم تاريخ متين ومغني لهؤلاء الأطهار، وأعمق دراسة للامام العسكري جاءت على يد الشهيد السعيد محمد باقر الصدر رحمه الله تعالى، والذي يتتبع هذه الدراسة سيجد ان المنهج المطروح جيد، ولكنه أضخم من المادة التي طبق عليها المنهج، فهناك كثرة في الافتراضات والتفريعات والتفاصيل في حين ان المادة الخام التي أجريت عليها هذه البحوث المنهجية جدبة وفقيرة.

اني اسجل هذه الملاحظات لأهيب بعلمائنا الاعلام ان يتعاونوا ويتعاضدوا لشد هذا النقص الكبير، وفي الوقت الذي انهي فيه هذه الفقرة، فانا لا اوافق على ادراج اي مفردة في تاريخ اي امام اذا لم تستند الى سند متين. وهذا ما لاحظته في بعض مضامين الأعمال التي أُنجزت في حق بعض الأئمة، اذ طالما يأتي كاتب على حديث ويدرجه، ولكن بالعودة الى المصادر تجد ان هذا الحدث لا يتمتع بسند قوي، من دون ان يتنبه الى ان الحدث التاريخي كالحكم الشرعي لابد من التدقيق بسنده، خاصة في مضمار السيرة التاريخية لأئمتنا الكرام.

لقد كثر الحديث عن ادوار عمل الأئمة عليهم السلام، وفي اعتقادي انه حديث موضوعي وحيوي، ومن الصعب في هذه العجالة تقييم الآراء في هذا الخصوص، وفي تصوري البسيط ان هذه الادوار هي حصيلة تفاعل معقد

ومتشابك بين العناصر الفاعلة في الظرف الزمني الخاص بكل دور، فهي ادوار تصيّرت بفعل الواقع. وهذا هو التعبير العلمي لحركة التاريخ، وتحديد هذه المراحل ينبغي ان يتم على ضوء النتائج وليس في ضوء اسباب موضوعة مسبقاً في طرح عقائدي مفترض؛ لأننا نكتب تاريخا، فالامام الصادق عندما يقول «لا الزمان زماني ولا الرجال رجالي»... كان ناظرا الى سمة الظرف، او تقديرات الظرف، الزمن هنا منظور، خضع للتقييم السياسي المادي، ان الامام شخّص الفواعل التاريخية، وعلى اي حال، ان نظرة عاجلة الى سيرة هؤلاء الاطهار تطلعنا على ما يلي (أقول ذلك على مستوى الظن وليس اليقين):

أولاً: ان الطليعة الأولى من هؤلاء القادة الهداة انخرطوا ـ على العموم ـ بعمل ثقافي / سياسي، تمثل في مصاديق يمكن اجمالها عموما بالعناوين التالية:

١ ـ تصحيح، اي الاحالة الى المادة الدينية الصحيحة، بعد الحيود عنها عمداً أو جهلاً من قبل هذا الخليفة او ذاك.

٢ ـ ترشيد، اي اعطاء الموقف الإسلامي المطلوب، من اجل تحقيق اقرب نموذج ممكن من المثل الاعلى.

٣ ـ اضافة، أي طرح افكار جديدة في هذا المجال او ذاك.

٤ ـ الدفاع عن حق أهل البيت في قيادة المجتمع الإسلامي.

وقد افرزت هذه المرحلة فكرا ودولة وثورة، ومعارضة وبالتالي ادت الى تبلور خط اجتماعي إسلامي ثائر، استمر هذه الأيام، وكان مركز هذا الخط هو الكوفة، والشيء الذي أريد ان اقوله هنا، ان هذه المرحلة لم تفرز كيانا شيعيا بشريا بمقاييس التشيع التي نعرفها، نعم هناك الكيان الموالي بالمعنى العام.

ثانياً: الطليعة الثانية من هؤلاء القادة (الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا...) انخرطوا تقريبا في عمل فكري غالب، ولم يكن لديهم مشروع سياسي يهدف الى استلام سلطة أو القيام بثورات ... اذ لا توجد ادلة تاريخية واضحة في هذا المجال ومثل هذه الممارسة لا يمكن الاستدلال عليها بدعاء او

بكاء او مدح. هذه مجازفة علمية. نحن نريد هنا أدلة موثوقة تشهد بوضوح ان مثل هذه الموضوعات التاريخية تحتاج الى ادلة وتلامس المدعى من قرب، وليس أدلة ذات طبيعة ايحائية او ايمائية. ان شمّ الفقاهة لا ينطبق على التاريخ، ومراجعة لعمل هؤلاء الهداة يكشف عن افرازه للعناوين التالية:

١ـ فكر عقائدي وفقهي وعلمي عريض.

٢ـ نماذج علمية راقية.

٣ ـ بلورة العقيدة الشيعية الامامية الاثنى عشرية.

٤ ـ بدايات لنظام الوكالة.

وفي الحقيقة، من خلال عمل الأئمة الاوائل والاواسط تشكل رأي إسلامي عام يتعاطف مع أهل البيت عليهم السلام، باعتبارهم نماذج حية، يستحقون القيادة السياسية، وفي هذا السياق كانت هناك اكثر من ثورة، الا ان من الصعب استخراج نظرية واضحة تبين كيفية تعامل الأئمة الاواسط مع هذه الثورات، ولا تزال، القضية غامضة، ومن العسير على شذرات خبرية ان تؤسس موقفا نظريا متماسكا، خاصة ان الاخبار في هذا الخصوص لم تدرس سنديا، وانما تنقل من مضامينها بدون تحقيق. ان اي خبر في هذا المجال لا يكتسب مرتبته التأسيسية الا اذا كان موثقاً بأعلى درجات التوثيق؛ لأن أهمية الاستحقاقات التي تترتب عليه أخطر من المستحقات التي تترتب على حكم شرعي يتعلق بالوضوء مثلا.

وقبل ان ننتقل الى الفقرة التالية نشير الى نقطة مهمة، وهي ان الشيعة ـ بالاصطلاح العقائدي النهائي ـ لم يتشكلوا ككيان بشري واضح بحدود ما، الا في عصر الأئمة الاواسط، وذلك على شكل عوائل وأسر، بعدما كان قوام هذا الكيان افراداً. ان الشيعة ككيان بشري تبلور في ظرف الحلقة الوسطى من سلسلة الأئمة عليهم افضل الصلاة والسلام.

ثالثا: الطليعة الاخيرة من أئمتنا هم (الجواد، الهادي، العسكري، المهدي)

وهذه الفترة من تاريخ القادة الهداة تعاني من ضعف على صعيد الخبر (ما عدا المهدي فله وضعه الخاص وهو سلام الله عليه خارج دائرة حديثي هذا) فلا نملك ذخيرة تاريخية واسعة عنهم حتى في مصادرنا الخاصة، ليس على مستوى الحدث الشخصي وحسب، بل حتى على مستوى الفكر والفقه.

ان قراءة سريعة لأمهات المصادر الشيعية الحديثة تكشف عن ندرة واضحة في مجال الرواية على لسان الطليعة الاخيرة من أئمتنا، كما ان التراث الشيعي لا يشير الى ندوات او حوارات واسعة لهؤلاء الأئمة كما كان مع الباقر او الصادق او الكاظم او الرضا. اننا نجد صعوبة بالغة في التنظير التاريخي لجهاد العسكري العلمي مثلاً، فيما اجد ذلك ميسورا مع الامام الصادق على سبيل المثال.

وقد أجاب بعضهم على هذه الملاحظة، بأن ذلك لا ينفي ـ أبدا ـ وجود مثل هذا العمل، وممكن انه لم يصل الينا، وهو جواب غريب؛ لأنه يدخل القاعدة الفلسفية في تعليل التاريخ، في حين ان المشكلة تكمن في موضوعة التظهير التاريخي بدور الامام، فأنا شخصيا استبعد عدم وجود مثل هذا العمل، اذ كيف تسنى للامام ان يقود هذا الكم من الموالين والمؤمنين دونما طرح فكري؟ ولكن من غير الصحيح ان الجأ الى هذا التصوير لامضاء قضية تحتاج الى ملامسة ومعايشة فعلية، فالتاريخ لا يُنسج من غيب. نعم هناك اشارات في هذا الموضوع سوف اناقشهما لاحقاً، وعلى المستوى نفسه في المجال السياسي.

اعتقد ان هؤلاء الأئمة الأطهار كانوا يركزون على مهمتين اساسيتين:

الأولى: ترسيخ خط الامامة او تكريسه عبر تقنية التعيين الشخصي الواضح المدعم بالدليل.

الثانية: الحفاظ على الجماعة الشيعية الخاصة التي تشكلت في سياق من المعاناة الطويلة القاسية لعقود من الزمن الصعب.

هذا ما نستفيده من المادة المتوفرة فعلاً، على ان نسترشد بالمعطيات التالية:

الأول: الالتزام بالخبر الصحيح، أو الذي يصح.

الثاني: التعبير الطبيعي للنصوص، اي الابتعاد جهد الامكان عن لغة التأويل والتحميل.

الثالث: الابتعاد عن المعاجز في المعالجة التاريخية، ذلك ان المعجزة تنتمي إلى عالم العقيدة، ونحن لا نبحث هنا في الامامة، بل في تاريخ الامام، وفارق كبير بين الافقين. وكل أملي ان نفهم هذا الطرح بموضوعية وأمانة.

الرابع ان نستوعب بدقة المصطلحات مثل (المشروع السياسي) و(الثورة) وغيرها من المصطلحات التي تعد ذات ابعاد ومديات ليست بسيطة وسهلة.

هناك رأي يذهب الى ان المادة الفكرية التي كانت غذاء الشيعة الروحي آنذاك هو الميراث الفكري الرافع الذي خلفه الاواسط، وان الجواد والهادي والعسكري قاموا بعملية تفعيل لهذا الفكر في الوسط. وفي الحقيقة، ان تراث الباقر والصادق والكاظم والرضا كان كافياً ـ وهو كاف الى الآن ـ في تنظيم الحياة؛ لأنه طرح الأصول والقواعد العامة التي بامكان العقل استيحاؤها واستلهامها، وفي قبال الموروث الفكري القليل الذي تركه الأئمة الأواخر، بامكاننا الاعتماد على هذا التصور الجميل، على ان هذا الاتجاه ينبغي ان لا يفهم حرفياً، فهناك أحاديث وروايات عن الأئمة الاواخر عالجت اكثر من موضوع فقهي او عقائدي، ولكنها قليلة جداً بالنسبة لتراث الأئمة الأواسط، وليس من ريب ان التشيع هو حصيلة هذا التفاعل الحي بين مفردات الفكر التي قدمها لنا الأئمة جميعاً، بل ان ذلك من دلائل الصفة المميزة لهذا الوجود المبارك.

واتمنى ان يجد القارئ في كتابنا هذا ما يعبر عن تطبيقات للمنهج الزمني التاريخي الوثائقي، في استجلاء مواقف أهل البيت عليهم السلام، واكتشاف الأفكار والمفاهيم التي كانت تجسدها افعالهم، ويحكيها سلوكهم قبل أقوالهم.

الباب الأول

الامام الجواد (ع)

رؤية تاريخية تحليلية

الفصل الأول

الحياة الخاصة

(١)

تتفق الروايات على ان ولادة الامام محمد الجواد عليه السلام كـانت في سنة ١٩٥ هـ، ولكن تختلف فيما بينها في الشهر الـذي ولـد فيـه، فقد نـصّ الكليني في الكافي والمفيد في الارشاد وصاحب كفاية الطالب واعلام الورى وابن شهرآشوب في المناقب وروضة الواعظين، انه ولد في شهر رمضان من سنة خمس وتعسين ومائة، ولكن ابن عياش ذكر انه ولد في رجب على ما نقله ابن شهرآشوب في مناقبه.[١]

وممن اشار الى الرأي الاول صاحب كشف الغمة حيث قال: (فاما ولادته ففي ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان سنة مائة وخمس وتسعين للهجرة).[٢] وضعّف الرأي الثاني (وقيل عاشر رجب منها)[٣]، ولذا لا ندري ما هو السبب في شهرة الرأي الثاني، وربما يعود ذلك الى الدعاء المنسوب الى الامام المهدي والذي يقول فيه (اللهم اني اسألك بالمولودين في رجب: محمّد بن علي وابنه علي بن محمّد المنتخب)، ولكن الامام الهادي هو الآخر لم يولد في رجب على رأي كثير من المؤرخين،[٤] ويبدو ان ابن عياش ثبت هذا الموقف تحت تأثير

---

(١) مناقب ابن شهراشوب، ج ٤، ص ٢٧٩.

(٢) كشف الغمة، ج ٣، ص ١٢٢.

(٣) كشف الغمة، ج ٣، ص ١٢٢.

(٤) البحار، ج ٥٠، ص ١٤.

الدعاء المذكور، وقد دعا هذا الاضطراب بعضهم الى امضاء نوع من التأويل البعيد، فالامام يتوسّل بالجواد والهادي في شهر رجب وليس لكونهما ولدا فيه.[1] ومهما يكن من أمر فان القدر الثابت ان الولادة كانت سنة ١٩٥ هـ، نصّ على هذا ابن الجوزي في المنتظم،[2] والذهبي في تاريخ الإسلام وغيرهما من مشاهير المؤرخين والمترجمين.

ويبدو ان ولادة الامام الجواد كانت حدثاً بارزاً ومؤثراً في حياة أبيه علي بن موسى الرضا، فهو لم يُرزق الولد الاّ في فترة متأخرة من عمره، وكان هو الولد الوحيد! فان ولادة الجواد كانت في سنة ١٩٥ هـ ووفاة الرضا سنة ٢٠٣هـ، وهذا يعني انه رزق بخلفه الوحيد قبل وفاته باقل من ثمان سنوات، فمن الطبيعي الا يَدخُلَ هذا الامر في دائرة اهتمامه الكبير، لانه يتصل بموضوع الأمامة واستمرارها، وهو الامر ذاته الذي انعكس على الوسط الشيعي العام ايضاً، قيل كان ذلك من اهم القضايا التي دأب عيون الشيعة على اثارتها بقوة وجرأة مع الامام الرضا، وندرج هنا نموذجين:

في الكافي، (محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن صفوان بن يحيى، قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنا نسألك قبل ان يهب الله لك ابا جعفر عليه السلام، فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً...)[3].

في الكافي: (... عن الحسين بن يسار او بشار: قال: كتب ابن قياما الى ابي الحسن الرضا عليه السلام كيف تكون إماماً وليس لك ولد!؟ فاجابه ابو الحسن عليه السلام: وما علمك انه لا يكون لي ولد؟ والله لا تمضي الايام والليالي حتى يرزقني الله ذكراً يفرق بين الحق والباطل)[4].

---

(١) البحار، ج ٥٠، ص ١٤.

(٢) ج ١١، ص ٦٢.

(٣) الكافي ١: ١٠/٢٥٨.

(٤)الكافي ١: ٤/٢٥٧. وابن قياما هذا كان واقفياً، كما في كشف الغمة١٤٢/٣. وتشير المصادر

وكما قلنا: ان هذه الاثارة طبيعيّة، ولكنها تكشف بوضوح عن فكر شيعي متحفز، لا يتساهل في موضوع العقيدة، وانه فكر جريء. ومراجعة دقيقة لتساؤلات الوسط في هذه القضية، تكشف عن معاناة الرضا من حِدّة التساؤل بل عن عمق وشجاعة الاستجواب!! ولكن لابد ان نعرف ان كل هذه المقتربات تشي بأن قضيّة الأمامة وامتدادها ودورها الكبير كانت من صلب الثقافة الساخنة في الوسط الشيعي، وهي ليست مسألة هامشية غير خاضعة للمتابعة والملاحظة، بل وللشك والبحث!! وإلا لماذا هذا التساؤل من قبل العيون؟ لماذا هذه المعاناة الشاقة من قبل الرضا؟! وليس من ريب ان الانقسامات الهائلة التي تعرّض لها الجسم الشيعي إماماً بعد إمام حول هذه القضية بالذات يصب في هذه الحقيقة، الامر الذي يدعو الى تقليب تضاعيفها بدقة وعناية.

تذكر المصادر ان الرضا فرح فرحاً شديداً بولادة ابنه الذي (لم يكن له غيره)[1]، وهذا الفرح ناشئ من دواعٍ تتخطى الرغبة الشخصيّة، اذ اضافة الى ذلك، انها تقطع الطريق من التساؤل الحذر والمقصود، خاصّة اذا اخذنا في نظر الاعتبار امرين اساسيين:

الأول: ان هذه الولادة كانت متأخرة.

الثاني: وجود فرقة الواقفة التي استقرت في الامامة عند الامام موسى الكاظم «ابي الرضا» مما يعني ان تأخر الولادة يعزز التوقف، ويسري بالشك الى امامة الرضا نفسه.

ومهما يكن من امر، فإن الرضا رزق بالجواد متأخراً، من أم حبشيّة[2]،

(*) ان الفرقة الواقفية كثيراً ما كانت تثير مثل هذه المشكلة بين يدي الامام الرضا عليه السلام ـ المصدر ٣/ ١٤٢.

(١) فرق الشيعة/ النوبختي ص ٨٥.

(٢) المحبّر ص ٣٠٨.

ولكن هذا الحدث تعرّض لهزّة أو طارئ غير عادي، فكما نعلم أن المأمون استدعى الرضا من المدينة الى بغداد ليوليه عهده المعروف، كان ذلك في سنة ٢٠٠ هـ، حيث تم التنصيب فعلاً في سنة ٢٠١ هـ، وقد اضطر الامام الرضا الى النزوح الى عاصمة الخلافة مصطحباً معه ابنه الجواد الذي بلغ من العمر انذاك نحو خمس سنوات على اكبر تقدير. على انه لم يستقر مع أبيه في خراسان ـ وهي العاصمة آنذاك ـ بل عاد الى المدينة المنوّرة، ولا تشير المصادر الى تفاصيل هذه العودة، فهي غامضة، ومصدر الاطلاع على مبدئها هو المراسلة بين الرضا والجواد ـ كما سنرى.

(٢)

كانت الثورات الشيعية قد كثرت في زمن المأمون، فقد ظهر في سنة ١٩٩ هـ، ابو عبدالله محمّد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا وكان معه ابو السرايا، وكان لثورته في الكوفة اصداء مؤثرة وواسعة، وكادت تهدّد مصير الخلافة. كماظهر سنة ٢٠٠ هـ ابراهيم بن موسى بن جعفر بمكة المكرمة، وفي مكة ايضاً سنة ٢٠٠ هـ، شهر ربيع الأول خرج محمّد بن جعفر الصادق وانتهت انتفاضته بدخول العباسيين مكة في جمادى الآخرة، وانتهى به المطاف الى طلب الامان في ١٠ ذي الحجة من السنة ذاتها، اي سنة ٢٠٠هـ[1]. والى جانب الثورات العلوية كان هناك فكر جعفر بن محمّد الصادق الذي اثر في الواقع العلمي الإسلامي واستجذب الكثير من الاعجاب والاهتمام. وقد استشعر المأمون الخطرين، فعالج الامر باجرائين ذكيين، وذلك طبقاً لما يذهب اليه بعض المفكرين:

الاجراء الاول: تعيين الامام الرضا ولياً للعهد.

الاجراء الثاني: الايعاز الى ترجمة الفكر الاغريقي.

في الاجراء الاول حاول امتصاص جذوة الثورة العلويّة المستمرة، وذلك لما لها

---

(١) الكامل لابن الاثير، ج ٦، ص ٣١٢ ـ ٣١٣.

من تأثير في الوسط الشعبي العام، فان المأمون كان لا يحسب للثورة التي يقوم بها هذا العلوي أو ذاك، بقدر حسابه لانعكاسات هذه الثورات على البيئة الاجتماعية العامة، ولما يمكن ان تولّده من عوامل اثارة وتمرد وجرأة.

في الاجراء الثاني هدف الى صرف العقل المسلم عن مجال الاشتغال بفكر الامام الصادق، وخاصّة الفقهي منه، لما اشتهر عنه من قوّة العارضة ومتانة النص وعمق الاهداف.

وفي الحقيقة: لسنا نحن الذين نقول بهذا، بل هناك مفكرون اقرب الى الاتجاه العلماني يتبنون هذا التصوّر ومنهم الكاتب المعاصر محمّد عابد الجابري.

الاجراء الاول هو الذي يهمنا في الموضوع الذي نحن فيه ... الامر الذي يحتاج الى شيء من التوضيح، فان الاستدعاء كان في سنة ٢٠٠هـ، والتعيين كان في ٥ أو ٧ رمضان من سنة ٢٠١هـ[1] ولهدف فني متصل بالبحث نريد ان نستظهر تاريخاً تقريبياً للاستدعاء في السنة المذكورة.

جاء في مروج الذهب: (وفي سنة مائتين بعث المأمون برجاء بن ابي الضحاك وياسر الخادم الى علي بن موسى بن جعفر ... لاشخاصه، فحُمل اليه مكرما...).[2]

ان النصوص التي تعرضت لموضوع الاستدعاء تحدّد السنة دون الاشارة الى الشهر أو اليوم. وفي الحقيقة اذا كانت البيعة قد تمت في رمضان سنة ٢٠١هـ، فاننا قد نستفيد من ذلك ان الاستدعاء كان في وقت متأخر من سنة ٢٠٠ هـ، وذلك ان المأمون كان يستعجل البيعة، فمن غير المعقول ان يمر وقت طويل على مكوث الرضا في خراسان دون اجراء هذا الامر، وربما كان ذلك بعد ثورة

---

(١) كشف الغمة ج ٣، ص ١٢٧. وفي الكامل والبداية والنهاية ان البيعة كانت في يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان، وفي المسعودي يوم الخميس لخمس ليالٍ خلون من المحرم سنة ٢٠٢ هـ.

(٢) ج ٣، ص ٤٤٠.

محمد بن جعفر التي انتهت في جمادى الثاني سنة ٢٠٠ هـ.

كان الجواد من ضمن الطالبيين الذين استدعاهم المأمون، وتشير رواية ان الامام حج بيت الله الحرام، وقد جرى ما من شأنه الاشارة الى الاعجاز المبكر في حياة الامام الجواد. فقد جاء في كشف الغمة (ومن كتاب الدلائل عن أمية بن علي قال: كنت مع ابي الحسن بمكة في السنة التي حج فيها ثم صار الى خراسان، ومعه ابو جعفر وابو الحسن يودع البيت، فلما قضى طوافه عدل الى المقام فصلى عنده، فصار ابو جعفر على عنق موفق[١] يطوف به، فصار ابو جعفر الى الحجر فجلس فيه، فاطال فقال له موفق: قم جعلت فداك، فقال: ما اريد ان ابرح مكاني هذا الاّ ان يشاء الله، واستبان في وجهه الغم، فأتى موفق ابا الحسن فقال له: جُعلت فداك، قد جلس ابو جعفر في الحجر وهو يأبى ان يقوم، فقام ابو الحسن فقال: قم يا حبيبي. فقال: ما اريد ان ابرح من مكاني هذا، قال: بلى يا حبيبي. ثم قال: كيف اقوم وقد ودعت البيت وداعاً لا ترجع اليه؟ فقال له: قم يا حبيبي فقام معه)[٢].

ومن الصعب الاعتماد على هذه الرواية؛ لانها رواية مرسلة، ولم ترد الاّ في كشف الغمة، على ان من الغريب ان يروي صاحب الكتاب المذكور رواية أخرى يُستشم منها ان الامام الجواد لم يكن مع أبيه في سفرته الاضطراريّة الى خراسان!![٣] هذا وان امية بن علي كان ضعيفاً.

(٣)

لم يطل الامام الجواد المكوث في خراسان مع أبيه، علماً ان المدّة التي قضّاها الامام الرضا هناك لم تتجاوز اكثر من ثلاث سنوات، فالاستدعاء كان سنة

---

(١) هو: موفق بن هارون وكان من خواص الامام الرضا عليه السلام.

(٢) المصدر ج ٣، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٣) المصدر، ج ٣، ص ١٥٥ نقلاً عن الراوندي.

٢٠٠ هـ ووفاة الرضا كانت في شهر صفر او رمضان سنة ٢٠٣ هـ. بل هي اقل من ثلاث سنوات!! ولكن اكبر الظن ان الجواد كان مع أبيه في سنة ٢٠١ هـ وحال البيعة بالذات، فاننا نقرأ في البداية والنهاية وغيره من المصادر ان المأمون عقد للجواد على ابنته ام الفضل في حياة أبيه.[١] ومن المستبعد ان يكون العقد بغياب الجواد.

عاد الامام ابو جعفر الثاني من خراسان الى مسقط رأسه، ولا نعرف تاريخ العودة بالضبط، ونستفيد هذه العودة من شاهد مهم، الا وهو المأتم الذي أقامه الجواد على وفاة أبيه، وكان ذلك في المدينة.

هناك ثلاث روايات تفيد ان الامام الرضا كان يراسل ابنه الجواد وهو في المدينة، وأرى انه من المفيد جداً دراسة هذه ا لروايات سنداً ومتناً.

الرواية الأولى:

(البيهقي عن الصولي عن عون بن محمّد عن محمّد بن ابي عباد وكان يكتب للرضا عليه السلام ضمّه اليه الفضل بن سهل، قال: ما كان عليه السلام يذكر محمّدا ابنه الاّ بكنيته، يقول كتب اليّ ابو جعفر، وكنت اكتب الى ابي جعفر وهو صبي بالمدينة، يخاطبه بالتعظيم، وترد كتب ابي جعفر عليه السلام في نهاية البلاغة والحسن، فسمعته يقول: ابوجعفر وصيتي وخليفتي في أهلي من بعدي)[٢].

والبيهقي هو: الحاكم ابو علي، الحسين بن احمد، من مشايخ الصدوق حدّثه في داره بنيسابور سنة ٣٥٢هـ ولكنه لم يوثق (ولم يذم ولم يمدح).[٣]

الصولي هو: احمد بن محمد بن جعفر الصولي... قدم بغداد سنة ٣٥٣

---

(١) البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٨٢.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢١٦.

(٣) معجم الخوئي، ج ٥، رقم ٣٣٠٠.

وسمع منه الناس، وكان ثقة في الحديث غير انه قليل: يروي عن الضعفاء.[1]

اما مصدر الرواية الذي هو محمد بن ابي عباد، فهو مشتهر بالسماع والشراب، وهو من الكتاب الذين عينهم الفضل بن سهل للامام الرضا، مما دعا البعض للتشكيك في صحته، اذ قد يكون عيناً على الرضا.[2]

الرواية الثانية:

(عن محمد بن عيسى بن زياد: قال كنت في ديوان ابي عباد فرأيت كتابا ينسخ، فسألت عنه فقالوا كتاب الرضا الى ابنه من خراسان فسألتهم أن يرفعوه لي فإذا فيه:

بسم الرحمن الرحيم: أبقاك الله طويلا وأعاذك من عدوك يا ولدي، فداك ابوك قد فسَّرت[3] لك مالي وانا حي سوي رجاء ان ينميك الله بالصلة لقرابتك ولموالي موسى وجعفر رضي الله عنهما، فامّا سعيدة فانها امرأة قوية الحزم في النحل، وليس ذلك كذلك قال الله ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ وقد اوسع عليك الله كثيراً. يا بني فداك ابوك لا تستر دوني الامور لجلّها فتخطئ حظك والسلام).[4]

في السند: محمّد بن عيسى بن زياد، ليس له ترجمة في كتب الرجال الاّ ذكر عابر في النجاشي في ترجمه معمّر بن خلاّد الثقة[5]، على ان الرواية مرسلة.

---

(١) رجال النجاشي رقم ٢٠٢.

(٢) الخوئي ج ١٤/ ١٠٠٠١.

(٣) تصحيف «خيّرت».

(٤) تفسيرالعياشي، ج ١، ص ١٣١، ١٣٢.

(٥) رجال النجاشي رقم ١١٢٨.

الرواية الثالثة:

(ابي وابن الوليد معاً عن محمّد العطار عن ابن عيسى عن البزنطي قال: قرأت كتاب ابي الحسن الرضا الى ابي جعفر، يا ابا جعفر بلغني ان الموالي اذا ركبت اخرجوك من الباب الصغير وانما ذلك من بخل بهم لئلا ينال منك أحد خيرا، فاسأل الله بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك الاّ من الباب الكبير، واذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألك احد الاّ أعطيته، ومن سألك من عمومتك ان تبرّه فلا تعطه اقلّ من خمسين ديناراً والكثير اليك، ومن سألك من عمّاتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير اليك، اني اريد ان يرفعك الله فانفق ولا تخش من ذي العرش اقتارا).[1]

في السند: الصدوق وابن الوليد الذي هو: محمّد بن الحسن بن أحمد الوليد، كلاهما ثقة، بل عين.

في السند: محمد العطار، وهو: محمّد بن الحسن بن زياد العطار، ثقة.[2]

في السند: ابن عيسى: مسكوت عنه.[3]

في السند: البزنطي، هو: احمد بن محمّد بن عمرو بن ابي نصر زيد مولى السّكون، ابو جعفر المعروف بالبيزنطي، (... كوفي، لقي الرضا وابا جعفر عليهما السلام، وكان عظيم المنزلة عندهما... مات سنة ٢٢١هـ).[4]

هذه هي الروايات التي تتحدث عن مراسلة الامام الرضا لابنه الجواد وهو في المدينة... والمطلوب الآن الحديث عن استحقاقاتها.

في الحقيقة: يمكن الاطمئنان الى الرواية الثالثة رغم ان «ابن عيسى» لم

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٨.

(٢) رجال الخوئي ١٥/١٠٤٧٦.

(٣) رجال الخوئي، ج ٢٢/ ١٥١٢٣.

(٤) رجال النجاشي ٧٥/١٨٠.

يوثق، فهو على اي حال لم يُضعّف كما ان الرواية لا تتعرض لقضايا عقائدية او شرعية، أو ما له صلة في تقرير المصير الديني للإنسان، بل هي ذات مضمون شخصي، ولا تشكل نوعاً من الدعاية التي تثير التنافس على اللقب أو المنزلة، وهي أشبه بتقرير وصفي عام. وليس من ريب اذا اردنا ان نتعامل مع السند التاريخي على اساس التوفيق المؤكد والايجابي لكل الرواة، انما سنأتي على نسف التاريخ الانساني برمّته. نعم، ان هذه الشدّة في التعامل مبدئية وضرورية مع المضامين الشرعية والعقيدية، اما التاريخ، خاصّة كالحالة التي نحن فيها، فمن الممكن الركون الى السند الذي يسلم رواته من الذم، فكيف الامر اذا كان الرواة في اعلى درجات الثقة، الاّ واحداً حيث لم يصدر منه ذم او تجريح!

الرواية الثالثة تصلح ان تكون مقياساً للتعامل مع الرواية الاولى، أي تُعْطيها نوعاً من الدعم والمشروعيّة ولا اعتقد ان ذيل الرواية «... فسمعته يقول: ابو جعفر وصيّي وخليفتي في اهلي من بعدي» يفيد مبدأ الامامة على مستوى الفهم الشيعي، بل مداه لا يتعدى قيادة الأهل وزعامة الأرومة «في أهلي» ، ولعله من طبائع الاشياء ان يعظم الاباء الأذكياء ابناءهم، فذلك من اتجاهات الفكر التربوي السليم. وهو من تقاليد التوارث الاسلامي، بل من شيم العرب، وهو سلوك متوقع من الرضا لمقامه العرفاني وذكائه الشخصي الذي عرف به، فضلاً عن هموم الغربة والفراق وشبكة المعاناة السياسية شاهد على مثل هذا الخطاب الرقيق بين الأب والابن الوحيد الذي جاء بعد فترة انتظار قاسية.

نستفيد من الرواية الاولى والثانية ان الجواد كان على درجة من وعي الحوار والكلام، وانه ذو قدرة على تحليل الخطاب، بل وفهم قواعد السلوك الدقيقة، ومما توحي به الرسالة ان الموالي الذين كانوا يحيطون بالامام اصحاب نوازع، وأنهم لا يسترشدون دائماً الموقف الصحيح في التعامل مع الامام بالذات، فهم يتحايلون على الجواد لاغراض دنيوية. على ان اجمل ما في الرواية هو اطلاع

البزنطي على الرسالة!! ترى متى كان هذا الاطلاع؟! وهل هو صدفة عابرة ام نتجة علاقة متداخلة في الفكر والمصير؟! لا نستبعد أبداً ان هذا الاطلاع يكشف عن علاقة متميزة بين الرضا والجواد من جهة، وهذا الراوي الصدوق من جهة أخرى، ويستظهر بعضهم من تضاعيف الرسالة توجيهات شخصية للامام تؤهله (للتصرف بمال أبيه وحثه على صلة بني هاشم واتباع آل البيت (ع) ليمارس دور القيادة...)[1] ... ويبقى التعامل مع الرواية الثانية في دائرة التحفظ والاسباب معروفة.

(٤)

في هذه الجولة السريعة نستطيع ان نستخلص الملاحظات والمقتربات التالية فيما يخص حياة الامام الجواد في ظل والده على بن موسى الرضا.

* ولد في المدينة المنورة في في شهر رمضان سنة ١٩٥هـ بعد انتظار طويل.
* هو الوحيد من الذكور لأبيه.
* هاجر في صحبة أبيه وجملة من آل ابي طالب كُرهاً الى عاصمة الدولة العباسي ـ خراسان ـ في اواخر سنة ٢٠٠هـ.
* في سنة ٢٠١هـ عقد له المأمون على ابنته أم الفضل.
* عاد بعد ذلك الى مسقط رأسه ـ المدينة المنورة ـ .
* في المدينة المنورة كان محاطاً بالموالي والهاشميين.
* كانت هناك مراسلات بين الجواد وابيه، أظهر فيها الأب حرصه الشديد على تمكين ابنه من أرثه المالي والمعنوي، وكان يحرص علي توعيته وتوسيع علاقاته مع اهل بيته والناس عموماً... أي تنمية حسّه الاجتماعي والقيادي.
* لم يكن وسط الموالي الذين يحيطون بالجواد على درجة عالية من نزاهة

---

(١) الامام الجواد، لجنة التأليف في مؤسّسة البلاغ، ج ٢١، ص ٣١.

السلوك والموقف، وكانوا يسعون جهد امكانهم إلى عزله عن الناس لاغراض دنيوية وشخصيّة.[1]

* تلقى نبأ وفاة أبيه وهو في المدينة واقام لذلك مأتماً.

وفي الواقع: لم نملك تفاصيل كثيرة عن حياة الجواد في ظل أبيه، وهذا يعود بطبيعة الحال الى صفر سنّه وظروف الهجرة والابتعاد عن الوالد. وممكن ـ في العموم ـ ومن خلال المتوفر من المعلومات البسيطة أن نفهم، انه كان صبياً ذكياً، يملك القدرة على التعامل الذكي مع الحياة ومشاكلها.

(٥)

لقد ولد الامام في شهر رمضان سنة ١٩٥هـ وتوفي في بغداد شهر ذي القعدة او الحجة سنة ٢٢٠ ودفن في (مقبرة قريش عند جده موسى بن جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وشهرين)[2]، او خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوماً[3]، ومهما يكن من امر هذا الاختلاف اليسير، فأننا نستفيد من ذلك انه عاصر المأمون المتوفى سنة ٢١٨هـ، والمعتصم المتوفى سنة ٢٢٧هـ؛ ولذلك ليس صحيحاً ما ورد في (كشف الغمة) من ان الجواد كان قد طبّب مرة المتوكل[4] وهو في الخلافة، فالمتوكل ولد سنة ٢٠٥هـ وبويع بالخلافة

---

(١) من الممكن ان يكون تصرف الموالي اجتهاداً شخصياً على طريقة الخدم في محاولة كف عامة الناس عن الشخصيات المهمة دون ان يكون لديهم الوعي الكافي بمسؤوليات الامامة وأهدافها. ربما كان لصغر سن الامام ما يدعوهم الى مثل هذا التصرف لاسيما وان والد الجواد كان حياً وموجوداً. لا يمكن الجزم بدنيوية الخدم هكذا بسرعة لاسيما وان اختيارهم لخدمة الامام ليس بالسهولة المفترضة حسب رأيي والله العالم!

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٩١.

(٣) ن.م، ص ٩١/ الهامش.

(٤) المصدر ج ٣، ص ١٥٨.

سنة ٢٣٢هـ، وعلى هذا نريد استجلاء علاقة الامام بالخليفتين المأمون والمعتصم.

تقترن علاقة الجواد بالمأمون بأكثر من حدث مهم، والمطلوب استعراض هذه الاحداث لاستجلاء حقيقتها واهمها قضية زواجه من ام الفضل بامر أبيها المأمون، وكانت بداية الحدث سنة ٢٠٠/٢٠١هـ عندما استدعى المأمون الرضا بجمع من آل ابي طالب الى عاصمة الخلافة ـ خراسان ـ ليعهد اليه بالولاية، حيث عقد لابنه الجواد على ابنته أم الفضل، كما نه كان قد زوّج الرضا من ابنته أم حبيب[1]. وهذا يفيد ان المأمون كان ينوي التداخل الاسري العميق مع البيت الهاشمي، وهو موقف يتمازج فيه الاعجاب مع الضرورة السياسيّة، وتذهب بعض الآراء ان المأمون اراد بهذا العقد الذي سيتبعه ا لزواج التجسّس على الجواد ومحاصرة نشاطه المنتظر، وسوف نرى مدى دقة هذا الرأي. وفي سنة ٢١٥هـ سار المأمون الى قتال الروم، فلما صار بتكريت قدم عليه الامام الجواد (فأجاره وأمره بالدخول بابنته ام الفضل... فادخلت عليه فلما كان ايام الحج سار بأهله الى المدينة فاقام بها)[2]. ولم يفصل لنا التاريخ عن ظروف هذا القدوم، كما ان التاريخ يسكت تماماً عن العلاقة بين المأمون والجواد طول السنوات الممتدة بين وفاة الرضا وبين هذا الزواج الذي يكون فيه الجواد قد بلغ العشرين أو أقل حيث استمرت عدة سنوات.

ولكن المصادر الشيعية تروي الحدث بطريقة أخرى حيث تختلف الكثير من معطيات الموضوع بين الروايتين، وملخص الرواية الخاصّة، ان المأمون استقدم الجواد الى بغداد لتزويجه من أم الفضل، فاحتج بنو العباس احتجاجاً شديداً وساقوا مجموعة من الاعتراضات على هذا التزويج، فالجواد صغير السن، لاحظ له من العلم والفقه، ولا نصيب له من عقل الرجولة وتدبير القيادة، ولكن

---

(١) البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٨٢، عيون اخبار الامام الرضا، ج ٢.

(٢) الكامل، ج ٦، حوادث سنة ٢١٥هـ.

المأمون اقترح عليهم اختباره، فاتفقوا على جمعه مع كبار الفقهاء وعيون العلم لهذا الغرض، وقد وقع أختيارهم على قاضي القضاة آنذاك «يحيى بن اكثم»، وكان اللقاء وحصل الحوار، وتذكر المصادر الشيعية حواراً طويلاً ومعقداً بين الجواد والقاضي المذكور، في الفقه والفكر والعقيدة، خرج منه الجواد منتصراً واقرّ له الجميع بالأعلمية والتفوق الفكري، وعندها زوّج ابنته ام الفضل للجواد، وكان هو الذي خطب الخطبة،وعين مهرها على سُنة جدته الزهراء، وأقيم احتفال مهيب، وانتهى الامر بان حمل الجواد زوجته الجديدة وعاد الى المدينة.

هذه هي الرواية الشيعية وقد اسماها المفيد بـ (حديث التزوج) في كتابه الاختصاص[1]، وهي رواية طويلة في تضاعيفها أفانين متقدمة من الحوار والاستنباط، وتشكل مادة فكرية غنية في مجالات العلوم الإسلامية والشرعية.

واذا اردنا ان نوجز أهم مواقع الاختلاف بين الروايتين، يمكننا أن نلخصها بما يلي:

* أن الجواد هو الذي قدم على المأمون كما تصور مصادر التاريخ العام، فيما في المصادر الشيعية أن المأمون استقدمه بنفسه لغرض الزواج.

* ان الزواج حصل في تكريت سنة ٢١٥هـ وقد كان المأمون في طريقه الى غزو الروم، كما في المصادر الشيعية ان الزواج حصل في بغداد وكان عمر الجواد خمسة عشر عاماً[2]. وهذا يعني ان الزاوج كان في حدود سنة ٢١٠هـ، ففي الطبري ـ وهو اقدم رواية لهذا الخبر في المصادر العامة ـ (فلما صار المأمون الى تكريت قدم عليه محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد، ص ٩٨. مع العلم ان هناك شكاً في نسبة هذا الكتاب الى الشيخ.

(٢) الامام الجواد، مؤسسة البلاغ، ج ٢١، ص / الهامش، الامام الجواد من المهد الى اللحد للسيد محمّد كاظم القزويني/ طبع مؤسسة البلاغ/ بيروت، ص ٥٨.

الحسين بن علي بن ابي طالب من المدينة في صفر ليلة الجمعة من هذه السنة ـ سنة ٢١٥هـ ـ ولقيه بها، فأجازه وامره ان يدخل بابنته ام الفضل، وكان زوّجها منه، فادخلت عليه في دار احمد بن يوسف التي على شاطئ دجلة فاقام بها، فلما كان ايام الحج خرج باهله وعياله حتى اتى مكة ثم اتى منزله بالمدينة فاقام بها)[١].

* وتخلو المصادر التاريخية العامة من كل هذه التفاصيل الواردة في الرواية الشيعية، وهي تفاصيل غنية بالاحداث والوقائع والمعاني وتترتب عليها الكثير من المشقات، من أهمها نبوغ الجواد الرائع وقدراته العقلية الفذة على التعامل مع الفكر، وهذا من اهم نقاط الافتراق بين الروايتين.

وفي الحقيقة من الصعب الجمع بين الروايتين للتباين الكبير والمتشعب في الزمان والمكان والمضامين، واذا كان لابد من الترجيح، فان الرواية الشيعية اولى بالقبول من غيرها، وذلك لاسباب جوهرية تتصل بمقاييس ومعايير التاريخ، ومن أهمها، ان الرواية العامة مجرّدة من السند، فالرواية في الطبري والكامل والبداية والنهاية وغيرها تخلو من هذا العنصر الضروري في عمليات الترجيح التاريخي، فيما الرواية الشيعية مُسندة، فقد رواها علي بن ابراهيم عن ابيه هاشم القمي عن الريان بن شبيب، ورواها بهذا السند المسعودي المؤرخ المعروف (توفي سنة ٢٤٦هـ) في اثبات الوصية[٢]، كذلك الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٢) بسند يعتبره صحيحاً، فقد جاء في الارشاد «روى الحسن بن محمّد بن سليمان عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الريان بن شبيب»[٣] ....، وعلي بن ابراهيم من ثقاة الرواة (ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب...)[٤]، وقد روى

(١) الطبري، ج ٨ حوادث سنة ٢١٥.

(٢) اثبات الوصيّة ص ١٨٩.

(٣) الارشاد، ج ٢، ص ٢٨١.

(٤) رجال النجاشي رقم «٦٨٠».

عن ابيه كثيراً، أي ابراهيم بن هاشم،وهو وان لم يوثق ـ ولكن رواية ابنه عنه، وهو بهذه الجلالة من الفكر وبهذا المستوى من العمق والتدين، يجعلنا نميل الى أبيه، وخاصة وانه كان من ابرز دعاة الحديث وحمله ونشره في قم، والقميون يملكون حاسّة نقدية احترازيّة شديدة ازاء الغلاة والمشوهين والمشكوك بنواياهم واهدافهم، وأمّا الريّان بن شبيب فهو (... خال المعتصم، ثقة، سكن قم وروى عنه اهلها، وجمع مسائل الصباح بن نصر الهندي للرضا عليه السلام...)[1]، فالرواية على هذا الاساس تتمتع برصيد جيد من مبررات القبول السندي، وكان المضمون متشعباً ومنضبطاً بقواعد الفكر الاصولي والفقهي، بحيث يصعب معه توهم الاختلاف، ولم يصدر من المؤرخين وعلماء الرأي أي تكذيب أو تشكيك بها، وربما رواية الطبري واتباعه الخالية من السند والتفاصيل انما سيقت من اجل الغطاء على الرواية الحقيقية.

وفي الواقع: ان تزويج المأمون للامام الجواد من ابنته، سواء كان عمره خمس عشرة سنة أو ثماني عشرة أو عشرين، دلالة قوية على الأهميّة الكبيرة التي كان يشغلها هذا النجم العلوي، مهما كانت الاغراض المبيّتة، سياسية أو عقائدية، فلو لم يكن الجواد رقماً صعباً، وموقعاً مؤثراً، لم يقدم المأمون على هذه الخطوة، ويبدو لي ان الجواد كان رمزاً شعبياً فلم يكن محصوراً في الدائرة العلويّة.

ان حادثة الخطوبة والاستدعاء والتزويج والحوار ... كلها تصب في حقيقة، تلك هي اهمية هذه الشخصية، واعتقد ان عنصرين اساسيين هما مرتكزا هذه الاهمية:

الاول: الانتماء العلوي المتسلسل مباشرة الى رسول الله.

الثاني: الذكاء الخارق.

والاّ لماذا هذا الاختيار دون غيره؟!

---

(١) ن.م، رقم «٤٣٦».

نقرأ في الأرشاد: ان الامام الجواد توجّه منصرفا من عند المأمون مع أم الفضل قاصداً المدينة، فلما صار الى شارع باب الكوفة وانتهى إلى دار المسيب عند مغيب الشمس، نزل ودخل المسجد، وكان هناك «نبقة» لم تحمل «فتوضأ هناك وصلى، وقام ببعض المراسيم فتحولت هذه الشجرة الى اخرى، مثمرة، تعطي حملاً حسناً، ذا مذاق عجيب... »[1]

والرواية مرسله! واعتقد ان الشيخ نقلها من ألسنة الناس هناك.

تحاول بعض المصادر ان تصوّر العلاقة بين الجواد وزوجته ام الفضل بانها متوترة وحادّة. ومن الغريب انها لا تستند الى أدلة تاريخية يمكن أن يُعتد بها، ففي الارشاد (وقد روى الناس ان ام الفضل بنت المأمون كتبت الى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر عليه السلام، وتقول انه يتسرّى عليّ ويغيرني، فكتب اليها المأمون: يا بنية، أنا لم نزوجك ابا جعفر لتحرّمي عليه حلالاً فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها).[2] ومن الواضح ان المفيد رحمه الله ينقل هذا عن ألسنة الناس، وهو بذلك يحترم التاريخ، انه هنا مجرّد ناقل، لم يؤكد ولم ينف، ومن الصعوبة الركون الى مثل هذه الاخبار الشائعة، خاصة واننا لا نتصور ان الامام الجواد يسيء المعاملة الزوجيّة، وفي الحقيقة، ليس هناك اي دليل تاريخي على مثل هذه العلاقة غير الوديّة، بل ان العلاقة بين المأمون والجواد كانت ـ كما يبدو ـ على درجة من الوئام، فها هو علي بن ابراهيم والمفيد وغيرهما في حديث التزويج يقولون عن المأمون (... ولم يزل ـ المأمون ـ مكرماً لابي جعفر عليه السلام معظماً لقدره مدّة حياته، يؤثره على ولده وجماعة من اهل بيته...)[3]!!.

---

(١) الارشاد، ج ٢، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٢) الارشاد، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٣) ن.م.

ونطالع في بعض المصادر عن العلاقة المتوترة بين الجواد وأم الفضل التهاويل والمبالغات الغريبة، اذ يروي الراوندي مرسلاً عن حكيمة بنت الرضا، ان الجواد كان قد تزوج امرأة من ولد عمّار بن ياسر، مما اغاض ام الفضل فاخبرت المأمون، وذكرت له ان يشتم بني العباس، فحمل المأمون عليه بالسيف وقطعه ارباً اربا، ولكن المأمون أصيب بالدهشة عندما علم من صباح اليوم التالي ان الجواد سليم معافى!![1]

قال في كشف الغمة: (وهذه القصة عندي فيها نظر واظنها موضوعة، فأن ابا جعفر كان يتزوّج ويتسرى حيث كان بالمدينة، ولم يكن المأمون بالمدينة فتشكو اليه ابنته... وتلك المرأة التي من ولد عمار بن ياسر رضي الله عنه في المدينة تزوجها فكيف رأتها ام الفضل، فقامت من فورها وشكت الى ابيها؟ كل هذا يجب ان ينظر فيه...).[2]

(٦)

عاصر الامام الجواد الخلفة المعتصم في حدود سنتين، فقد توفي الامام في ذي القعدة او الحجة سنة ٢٢٠هـ وتولى المعتصم الخلافة في رجب سنة ٢١٨هـ. والمطلوب هنا تتبع العلاقة بين الامام والخلافة الجديدة.

ان من ابرز الوقائع في هذه الفترة فيما يخص موضوعنا ما يرويه الخطيب البغدادي في تاريخه المعروف، فقد جاء فيه (محمّد بن علي بن موسى... قدم من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بغداد وافدا على ابي اسحق المعتصم ومعه امرأته ام الفضل...)[3]. ويتحفنا المفيد بمعلومة مهمة في هذا

---

(١) كشف الغمة، ج ٣، ص ١٥٦.

(٢) كشف الغمة، ج ٣، ص ١٥٦.

(٣) تاريخ بغداد، ج ٥٠، ص ٥٤/ ٩٩٧.

الخصوص، إذ يؤرخ هذه الحادثة بقوله (... ورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرّم سنة ٢٢٠هـ، وتوفي فيها في ذي القعدة من هذه السنة)[١]. وهذا يعني أنه بقي في بغداد وذلك الى ان وافاه الاجل المحتوم في حدود أحد عشر شهراً.

ماذا حصل في هذه الفترة؟... نقصد في خصوص العلاقة بين الجواد والمعتصم.

الروايات شحيحة جداً في هذا المجال.

نقرأ في تفسير العياشي: ان الجواد كان في حضرة المعتصم يوماً من الايام، وكان هناك ابو داود قاضي بغداد في عهد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وقد جاء سارق قد أقرّ على نفسه، وطلب تطهيره! فلما طرح موضوع الحكم، وادلى القاضي المذكور برأيه، اصطدموا بفقه الجواد، حيث زيّف كل الآراء المطروحة وانتصر لموقفه بالدليل القاطع. وقد كان ذلك من اسباب حنق ابي داود على الامام واعجاب الخليفة الحاكم.[٢]

ليس هذا غريباً على الامام الجواد لما عرف عنه من ذكاء مبكر، ولكن الحديث عن مدى صحّة الواقعة حيث لم ترد الاّ في تفسير العياشي وبلا سند، ويبدو انها محاولة لاعادة تجربة الجواد في حضرة المأمون.

ان ابرز حادثة تذكر في هذا المجال هي سَمّ الامام الجواد على يد المعتصم، واقدم مصدر يروي لنا ذلك هو المسعودي في اثبات الوصية، حيث يقول (لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبرون ويعملون الحيلة في قتله ـ اي قتل الجواد ـ فقال جعفر لأخته ام الفضل وكانت لامه وابيه في ذلك؛ لانه وقف على انحرافها عنه وغيرتها عليه لتفضيل ام ابي الحسن ابنه[٣] عليها مع شدّة محبته له؛

---

(١) الارشاد، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٢) الارشاد، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٣) أي أم الامام الهادي عليه السلام.

ولانها لم ترزق منه ولداً، فاجابت اخاها جعفراً، وجعلوا سمّاً في شيء من عنب رازقي، وكان يعجبه العنب الرازقي، فلما اكل منه ندمت، وجعلت تبكي، فقال لها: ما بكاؤك؟ والله ليضربنك الله بفقرٍ لا ينجى وبلاء لا ينستر...)[1].

قصة الاغتيال هذه يرويها ابن شهراشوب بطريقة اخرى، (ولما بويع المعتصم جعل يتفقد احواله فكتب الى عبدالملك الزيات ان ينفذ اليه التقي وام الفضل فانفذ ابن الزيات علي بن يقطين اليه فتجهز وخرج الى بغداد فاكرمه وعظمه وانفذ أشناس بالتحف اليه والى ام الفضل، ثم انفذ اليه شراب حماض الاترج تحت ختمه على يدي أشناس، وقال: ان اميرالمؤمنين ذاقه قبل احمد بن ابي داود وسعد بن الخصيب وجماعة من المعروفين ويأمرك ان تشرب منها بماء الثلج وصنع في الحال، فقال: أشربها بالليل، قال: انها تنفع بارداً وقد ذاب الثلج، واصرّ على ذلك، فشربها عالماً بفعلهم)[2].

وفي رواية اخرى (ان أمرأته أم الفضل بنت المأمون سمّته في فرجه بمنديل، فلما حسّ بذلك قال لها: بلاك الله بداء لا دواء له، فوقعت الأكلة في فرجها، وكانت تنتصب للطبيب فينظرون اليها ويسرون بالدواء عليها، فلا ينفع ذلك حتى ماتت من علتها)[3].

والدارس عندما يقع على مثل هذه الروايات المتضاربة والمتناقضة وغير المسندة، لا يسعه الاّ ان يقف الى جانب الشيخ المفيد بقوله (وقيل انه مضى مسموماً ولم يثبت بذلك عندي خبر فأشهد به)[4].

والذي يبدو ان مثل هذه الاخبار كانت مما سار وانتشر بين الناس، بدليل

---

(١) اثبات الوصيّة، ص ١٩٢.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤، ص ٣٨٤.

(٣) نفس المصدر، ج ٤، ص ٣٩١.

(٤) الارشاد، ج ٢، ص ٢٩٥.

افتقارها الى السند، وربما يثار سؤال عن الموت المبكر للأمام، وهو بطبيعة الحال سؤال مشروع، ولكنه لا يوجّه بالضرورة تلكم الادعاءات.

(٧)

كما قلنا توفي سلام الله عليه في ذي الحجة او القعدة سنة ٢٢٠هـ، وقد اختلف في الذي صلى عليه، وهناك روايتان رئيستان:

الرواية الاولى:

تقول: ان ابنه محمداً الهادي هو الذي تولى تغسيله والصلاة عليه ودفنه، ولكن كما تعلم ان هذا الامام الصالح كان في المدينة، فكيف تسنى له ذلك؟! يدّعي أحد الرواة ان الامام حضر إعجازاً الى بغداد وبسرعة معجزة، وقام بكل هذه الممارسات، والراوي هو «عبدالسلام بن صالح الهروي» ورغم حب هذا الانسان لأهل البيت عليهم السلام، ورغم ما عرف عنه من التصاق وتفاعل بهذا البيت الطاهر، الاّ انه متهم عند بعض الرجاليين بالغلو،[1] وربما كذب عليه. وقد تعود خلفيّة هذا القول التي تصور الذي يرى بان (الامام لا يدفنه الاّ امام). وهو تصور غير ثابت ولا يُعد من الاصول، وكثير من العلماء لا يعيره اهتماماً، ومنهم الشهيد محمد باقر الصدر، ويبدو انه من ابتداع المغالين، وقد كان هذا التصور مدعاة الكثير من القصص التي لا اساس لها من الصحّة، ومنها قصة دفن الامام السجاد لوالده الشهيد الامام الحسين، ومهما يكن لا يوجد اي داع علمي او عقائدي للأخذ بهذه الرواية.

الرواية الثانية:

ومفادها: ان الواثق بن الرشيد هو الذي صلّي عليه. جاء ذلك على لسان

---

(١) راجع: منتهى المقال، ج ٤، ص ١٢٣ ـ ١٢٥.

المؤرخ الشهير المسعودي في كتابه (مروج الذهب)[1] وفي هذا يعلق صاحب البحار (اقول: لعلّ صلاة الواثق في زمن أبيه عليه... صار سبباً لهذا الاشتباه)[2]، والواقع ان هذه الرواية معقولة جداً نظراً للعلاقة التي كانت قائمة بين الامام والبيت العباسي، وهذا البيت كان حريصاً على اظهار الود للامام وشيعته، والصلاة عليه نوع من العمل السياسي الناجح آنذاك. ثم انه قريب منه وليس في البين اي مانع يحول دون ذلك.

دفن سلام الله عليه في مقابر قريش ببغداد عند جدّه موسى بن جعفر(ع)، ودخلت امرأته ام الفضل الى قصر المعتصم فجعلت من الحرم.[3]

(٨)

عرف الامام الجواد بعدّة القاب، منها:

١ـ الجواد:

وقد جاء على لسان الذهبي في سبب التسمية (... وكان أحد الموصوفين بالسخاء ولذلك لقب بالجواد).[4]

فهو لم يلقب نفسه، وانما الوسط الإسلامي هو الذي ارتضى له هذا اللقب المبارك.

٢ـ ابو جعفر الثاني:

هذا اللقب اطلقه الرواة الذين كانوا يروون عنه، واضافة «الثاني» لأجل

---

(١) مروج الذهب، ج ٣، ص

(٢) البحار، ج ٥٠، ص ١٣.

(٣) كشف الغمة، ج ٣، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٤) تاريخ الإسلام، حوادث (٢١١ ـ ٢٢٠) رقم ٣٧٢.

التمييز بينه وبين الامام الباقر عليه السلام، لانه هو الآخر يلقب بـ «ابي جعفر» ولكن ما هو الداعي الى هذه الزيادة والفاصل الزمني كبير بينهما؟! اعتقد ان الرواة استخدموا هذه الزيادة تحت ضاغط الايمان لتسلسل الإمامة، اي ان هؤلاء يريدون ترجمة هذا الترابط الفكري والعقيدي بين الجواد والائمة السابقين عليه، فليس هناك من ضرورة لهذا التقييد ماداموا لا يروون عن الباقر وانما عن الجواد.

٣ـ ابن الرضا:

لان هذا اللقب مطلق عليه خاصّة، ثم انتقل الى احفاد الرضا عامّة، وهم الامام الهادي وموسى المبرقع وربما العسكري[1]، وكان الرواة وغيرهم يستعملون هذا اللقب، مما يستشم منه التعظيم والتبجيل والاحترام، وليس للاسترحام والاستعطاف باعتبار ان الجواد كان بحكم اليتيم، اذ فارق ابوه الحياة وعمره لم يتجاوز العاشرة، وربما استخدام هذا اللقب على الاحفاد نوع من توليد الترابط العقيدي وتسلسله عبر هؤلاء الاشخاص الكرام، او هو اشارة الى ما وصل اليه الجواد من منزلة وموقع، فكثيراً ما يُسمّى العباقرة والقادة باسماء ابائهم بهذه الصورة. مهما يكن من امر، ان اللقب المذكور يشيء عن ميزة ايجابيّة في الامام بشكل وآخر.

٤ـ القانع والمرتضى:

وهناك القاب اخرى، وفي الواقع ان هذه الكثرة في الالقاب انما تدلّ على عظم الامام الجواد وتشير الى انه رقم غير عادي، فليس كل من يقنع بالقليل يلقب بـ«القانع» وليس كل من ارتضى بالقضاء والقدر يلقب بـ «المرتضى» ـ وهكذا مع كل لقب من القابه ـ لو لم يكن رقماً صعباً في المعادلة الاجتماعية

---

(١) بحار الانوار، ج ٥٠، ص ٢/ الهامش.

والسياسيّة والفكريّة، فكثيرٌ هم اهل الزهد والقناعة، وربما اكثر منهم اهل العطاء والسخاء، وهذه المواصفات تكون مدعاة التلقيب والتسمية والاشارة اذا كان صاحبها متميّزاً بموقع اجتماعي او يشكل ظاهرة بارزة، او حدثاً مثيراً للجدل.

توفي سلام الله عليه، ولم يخلف الاّ ابا الحسن علياً الهادي وموسى المبرقع وهو لأم ولد.

الفصل الثاني
النصّ على إمامته

النصّ الأوّل

(١) في الكافي (محمّد بن يحيى، عن احمد بن محمّد عن معمّر بن خلاد، قال: سمعت الرضا عليه السلام، ذكر شيئاً فقال: ما حاجتكم الى ذلك؟ هذا ابو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيّرته مكاني، وقال: أنا اهل بيت يتوارث أصاغرنا عن اكابرنا القذة بالقذة).

في السند: محمّد بن يحيى.

هو: محمّد بن يحيى ابو جعفر العطار الاشعري (شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة، عين، كثير الحديث)[١].

في السند: احمد محمّد.

هو: احمد بن محمّد بن عيسى الاشعري القمي (... أول من سكن قم ... له كتب، شيخ القميين، ووجيههم، وفقيههم غير مدافع، وكان ايضاً الرئيس الذي يلقى السلطان، ولقي الرضا عليه السلام، وله كتب، لقي أبا جعفر الثاني وابا الحسن العسكري عليهما السلام).[٢]

(احمد بن محمّد بن عيسى... شيخ قم ووجيهها، وفقيهها غير مدافع وكان

---

(١) رجال النجاشي ٣٥٢/٩٤٦.

(٢) ن.م ٨١/١٨٩.

ايضاً الرئيس الذي يلقى السلطان بها، ولقي ابا الحسن الرضا...).[1]

في السند: معمّر بن خلاد.

هو: معمر بن خلاد بن ابي خلّاد (ثقة، روى عن الرضا عليه السلام، وله كتاب الزهد...).[2]

(وله كتب...).[3]

ويعتبر هذا النص من الوثائق المهمّة على أمامة الجواد بأرشاد أبيه، فرواته ليسوا ثقاة وحسب، بل من شيوخ الرواية ومن العناصر البارزة في الخط الشيعي يعود اليه الرواة والعلماء. ومن نقاط القوة في السند ان احدهم، وهو احمد بن محمّد الاشعري عاصر ثلاثة ائمة، يحتل الجواد الحلقة الوسطى بينهم، مما يؤكد تجربته العميقة في تشخيص وتعيين الامام.

(٢) في الكافي: (محمّد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن ابيه محمّد بن عيسى، قال: دخلت على ابي جعفر الثاني «ع» فناظرني اشياء، ثم قال لي: يا أبا علي ارتفع الشك ما لأبي غيري).

في السند محمد بن عيسى.

هو: (محمّد بن عيسى بن عبدالله... الاشعري، ابو علي شيخ القميين، وجيه الاشاعرة، متقدم عند السلطان، ودخل على الرضا وسمع عنه).[4]

ان محمّد بن عيسى يدلي بشهادته هنا عن خبرة حسيّة قاسية كما يبدو، وهذا الرجل ـ كما هو الحال في بقية افراد السند ـ من النجوم المشرقة في قم، يضعون التحرز من الوهم والخديعة والتضليل في مقدمة الحسابات والاعتبارات

---

(١) الفهرست ٧٥/٢٥.

(٢) رجال النجاشي ١١٢٨/٤٢١.

(٣) الفهرست ٧٣٣/١٦٥.

(٤) رجال النجاشي: ٩٠٥/٣٢٨.

في كل ادعاء، وكما نرى في هذا الرجل وفي ابنه انهما اصحاب حظوة لدى السلطان، وهذا يعزز من شهادتيهما لسببين رئيسين:

اولا: انهما في غنى عن ملق المجتمع، وليسا في حاجة الى أي جهد اضافي مصنوع لإحراز موقع أو منزلة، فهما قد حازا على هذا بالحظوة من السلطان.

ثانيا: ان تثبيت أمامة الجواد الشرعيّة قد يهدّد هذه المنزلة بالانهيار، بل قد يسبب لهما مشاكل سياسيّة هما في غنى عنها، لان السلطة ضد التشيع بشكل عام، وتتحسّس من موضوع الامامة بدرجة عالية.

ربما يزيد في متانة السند في الرواية، ان الرواة من محيط جغرافي واحد، متقارب ومتعارف ومتواصل، وإن هذا المحيط يموج بحيويه العلم، وخاصة علم الرواية بسندها ومضمونها. وكل الرواة في السندين السابقين كثيرو الرواية، جمعوا الى جانب هذه المسؤولية الجسيمة الوجاهة والوضوح والشهرة.

النص الثالث

في الكافي (محمّد بن يحيى، عن احمد بن محمّد، عن صفوان بن يحيى، قال: قلت للرضا (ع) قد كنا نسألك قبل ان يهب الله لك أبا جعفر(ع)، فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً فقد وهبه الله لك، فاقر عيوننا، فلا ارانا الله يومك، فان كان كون فالى من؟ فاشار بيده الى ابي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين؟ فقال: وما يضرّه من ذلك؟ فقد قام عيسى عليه السلام بالحجة هو ابن ثلاث سنين).

في السند صفوان بن يحيى

هو: صفوان بن يحيى ابو محمّد البجلي بياع السابري (... كوفي، ثقة، ثقة، عين، روى ابوه عن ابي عبدالله (ع) وروى هو عن الرضا(ع)، وكانت له عنده منزلة شريفة ذكره الكشي في رجال أبي الحسن موسى(ع) وقد توكل للرضا وابي جعفر(ع) وسلم مذهبه من الوقف، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة،

وكانوا جماعة الواقفة بذلوا له مالاً كثيراً ... وكان من الورع والعبادة ما لم يكن عليه أحد من طبقته... وصنف ثلاثين كتابا... مات صفوان بن يحيى رحمه الله سنة ٢١٠هـ)[1].

(... اوثق اهل زمانه عند اصحاب الحديث واعبدهم، كان يصلي كل يوم وليلة خمسين ومائة ركعة ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ويخرج زكاة ماله في كل سنة ثلاث مرّات)[2].

مرّة اخرى نلتقي بسند في غاية المتانة، فقد مضى الحديث عن احمد بن محمد بن عيسى وعلو كعبه في الفقه والدراية في مجتمع مشبّع بالحيوية الفكريّة، ويتمتع بمستوى شفاف من الحساسيّة اتجاه ما يروى ويقال عن الامام، اي امام، بل وطالما يتخذ الخطوات الجسورة والجريئة ازاء كل شك او ريب في هذا المجال. ولم يكن الرجل في حاجة الى مال او سلطان ... هذه المفتريات الجميلة تتكرر بشكل مضاعف بالراوي الجديد (صفوان بن يحيى)، فهو ليس الراوي العابر او الهامشي، فقد خاف كما يظهر صراعاً حاداً من أجل الحقيقة، ولأهميته في الشهادة على الواقع ان يغريه الواقفون بالمال!! ولكن دون جدوى، ومما يشار اليه، ان هذا الرجل عاصر الامام الكاظم والرضا، مما يُضيف عنصراً حيوياً وجاداً الى تجربته في اكتشاف الامام ومعرفة استحقاقات الامامة، ولابد انه اجرى هذه التجربة على الامام الجواد، خاصّة وانه توفي رحمه الله وعمر الجواد كان خمسة عشر عاماً، فهل يقنع صفوان باشارة الرضا وحسب؟ أم انه يرى ويسمع ويتابع ويحاكم ويستنتج؟ وهو العالم الذي صنف ثلاثين كتاباً، والتاجر المجرّب، والعابد الذي يدقق بالامور كي تكون المواقف صائبة، والامامي الذي خبر محنة العقيدة...؟! ولم يكن هذا الرجل في

---

(١) رجال النجاشي ١٩٧/٥٢٤.

(٢) الفهرست ١٤٥/٣٥٦ ـ ١.

حاجة الى منزلة اجتماعية أو سياسية، وهو صاحب الاموال الطائلة، ولا نعتقد انه يطمع في شيء وهو في آخر عمره، حيث كان مقراً لامامة الجواد مذعناً لها.

ومتن الرواية يثير في الواقع اكثر من ملاحظة:

١ ـ من سؤال صفوان يكشف عن معاناة كانت تشغل الوسط الشيعي، انها معاناة انتظار الامام الذي سيواصل مسيرة الأمامة، حقاً، انه السؤال المشروع، وهو في مجمله يؤكد ان هذا المبدأ كان حاضراً في الوجدان الشيعي، ويحتل منطقة مفصليّة من اهتمامه الفكري والعقيدي.

٢ ـ ان الامام الرضا كان واثقاً من نفسه، فجوابه يحمل درجة عالية من الايمان، فهو طالما يبشر اتباعه ويرد على الواقفة بان الامامة مستمرة، وان الوقف عقيدة فاسدة.

٣ ـ وجواب الرضا بامامة الجواد مخاطرة، فما يدريه!! لعلّه يموت، انه صغير السن، والحياة على ذمة الارادة الالهية، فما هذه الثقة الغريبة في هذه القضية؟!

٤ ـ وهناك مَعْلَمُ ثقة اكثر خطورة واكثر دلالة، ثقة الامام الرضا بأمامة الجواد رغم السن الصغيرة، وارتفاع هذه الثقة الى سمتِ الاستشهاد بحجة عيسى عليه السلام، انها ثقة مشبّعة بحيويتها، مرتكنة الى ذاتيتها.

٥ ـ ايمان صفوان الكبير بالرضا فقد اذعن الرجل للأمر رغم استغرابه موضوع السن!! وهو يشير الى ان الرضا قد حاز على اعتقاد صفوان وغيره، وما ذلك الاّ في ضوء التجربة، فقد مضى بنا ان صفوان ليس بالشخص العابر أو العادي.

وفي الحقيقة: ان الروايات الثلاث التي مرّت تتميز بجملة خواص متغيرة، لعلّ منها بساطة المحتوى، فهي كالبرقيات السريعة، خالية من اي تهويل أو مبالغة، خالية من كل اثارة تمهيديّة ذات طابع اغرائي، لم تقترن باي معلم من معالم الصناعة والاقتراع، التي طالما نقرؤها في الروايات التي تبغي او تهدف

الى اثبات أولويّة أمر ما أو اهميّته أو أحقيته.

والشـيء الجميـل ان رواة النصـوص الثلاثـة كلـهم في عصـر الائمـة عليـهم السلام.

وهناك نصوص اخرى.

الفصل الثالث

إمامته الموضوعيّة

تعرّض الشيعة لخطٍ متسلسل ومتعب من الانقسامات الخطرة التي كانت تهدّد بحق الوجود برمته. وكانت هذه الظاهرة تحصل بعد وفاة الامام، ولذا كثرت الفرق الشيعية وألفت في ذلك الكثير من الكتب لمؤلفين معروفين بالدقة وحسن الاطلاع. فقد كتب في هذا الموضوع محمّد بن هارون ابو عيسى الوراق المتوفي سنة ٢٤٧هـ، وكتابه المعروف بـ (اختلاف الشيعة)[1]، وكثيرا ما نقل عنه المرتضى في كتابه الشافي. ومن الذين أدلوا في هذا المضمار ابو محمّد الحسن بن موسى النوبختي المتوفى سنة ٣٠٠هـ، وهو من رجالات الشيعة المعروفين حتى قال النجاشي في حقه (... شيخنا المتكلم المبرّز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثماءة وبعدها...)[2]... وهناك مصنفات اخرى، ولكن الكتاب الذي بين ايدينا هو هذا الاخير، وعليه اعتماد اكثر الدارسين والباحثين.

وفي الحقيقة، ان مراجعة دقيقة لهذه الانقسامات تكشف عن أمور كثيرة، لعل من أهمها، القيمة الجوهرية لمبدأ الأمامة في الفكر الشيعي، فقد كانت الهاجس الاول لهذا الفكر، وهي مدار انبثاقاته وتجلياته عبر التاريخ، ومزيد من المراجعة يشيء عن نتيجة ذات موقع خطير في هذه المسيرة الشاقة، فان كل هذه الانقسامات، وبكل ما صاحبها من ملابسات وتناقضات استقرت قوية

---

(١) تنقيح المقال، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) رجال النجاشي.

صلبة على ضفاف الرؤية الامامية الاثني عشرية، والواقع الحي يشفع بوضوح لهذا الاستنتاج، والا فأين هي الكيسانية؟! واين هي الواقفية؟! وغيرهما من الفرق الاخرى كالناووسية والقطعية والاحمديّة...؟!

لقد انتهت كل هذه الفرق واصبحت اثراً بعد عين، والذي ثبت مع حركة التاريخ هو الأمامية الاثنا عشرية، ولنعلم جيداً ان (الزيديّة) بوصفها الحالي لا تعد من الفرق الشيعيّة، فهي فكر سياسي بحت، فقهها ينتمي الى مدرسة ابي حنيفة واكثر عقائدها تفترق عن الأصول الشيعية بمسافات بعيدة، والاسماعيلية فرقة منغلقة، منزوية تتسم بالغموض والابهام.

الشيعة بعد وفاة الامام الرضا سنة ٢٠٣هـ انقسمت الى خمس فرق، هي:

الفرقة الاولى: تلك التي صرفت الامامة الى ابنه (ولم يكن له غيره)[١] «اي محمّد بن علي الجواد، وكان عمره تسع سنوات على اكبر تقدير (واتبعوا الوصيّة حيث ما دارت على المنهاج الاول من لدن النبي صلى الله عليه وآله)[٢].

الفرقة الثانية: وتسمى (المؤلفة)، وكما جاء في فرق الشيعة (...قد كانوا نصروا الحق وقطعوا عن امامة «علي بن موسى» ـ الرضا ـ وموت أبيه، فصدقوا بذلك، فلما توفي الرضا عليه السلام رجعوا الى الوقف)[٣]، اي (رجعوا الى القول بالوقف على موسى بن جعفر)[٤].

الفرقة الثالثة: وتسمى«المحمّدية» ويعرفها النوبختي (كانوا من أهل الارجاء واصحاب الحديث فدخلوا في القول بامامة «موسى بن جعفر» وبعده بامامة «علي بن موسى» وصاروا شيعة... رغبة في الدنيا وتصنعاً ...) [٥] ويقول فيهم

---

(١) فرق الشيعة، ص ٨٥.

(٢) ن.م. ص ٨٥.

(٣) ن.م، ص ٨٦.

(٤) المقالات والفرق، ص ٩٤.

(٥) فرق الشيعة، ص ٨٦.

سعد الاشعري القمي (فلما توفي علي بن موسى رجعوا الى ما كانوا عليه من الارجاء...).[1]

الفرقة الرابعة: وفرقة ... (كانت من الزيديّة الاقوياء ....، فدخلوا في امامة «علي بن موسى» عليه السلام عندما أظهر المأمون فضله وعقد بيعته تصنعاً للدنيا واستكانوا الناس بذلك دهراً...).[2] ولكن عندما توفي علي بن موسى عليه السلام (رجعوا الى فرقتهم من الزيديّة).[3]

الفرقة الخامسة: وتسمى (الاحمديّة) وهي الفرقة التي قالت بامامة «احمد بن موسى بن جعفر»، اي اخي الامام علي بن موسى ـ الرضا ـ ويقولون: إن الكاظم هو الذي نصّ على «احمد»[4] هذا. وبذلك يكونون قد اجازوها في اخوين[5]، ومالوا (في مذاهبهم الى شبيه بمذاهب الفطمية اصحاب عبدالله بن جعفر).[6]

هذه هي الفرق التي تشعبت اليها الشيعة بعيد وفاة أمامهم الثامن علي بن موسى الرضا، والمطلوب التدقيق بأسباب النشأة ومآلها. وفي سياق ذلك ندرس مسيرة الفرقة التي صرفت الامامة الى علي بن محمّد الجواد، لانها الفرقة الوحيدة من هذه الفرق التي تجاوزت المحن والصعاب، واستمرت كامتداد لامامة أهل البيت وفق العقيدة الشيعية الاثني عشرية.

---

(١) المقالات والفرق، ص ٩٤.

(٢) فرق الشيعة، ص ٨٦.

(٣) المقالات والفرق، ص ٩٤.

(٤) مقالات الاسلاميين، ص ٢٠.

(٥) فرق الشيعة، ص ٨٥.

(٦) الفرق والمقالات، ص ٩٣.

نلقي الضوء على فرقة (المؤلفة):

الذي نستفيده من رواية النوبختي (توفي سنة ٣٠٠/٣١٠هـ) أن هؤلاء قالوا بالوقف على موسى بن جعفر بعد موت الرضا، وفي الحقيقة ان هذا الموقف ليس مجرّداً من ماضٍ كان ساري المفعول في وسط هذه الفرقة بالذات، وسعد الاشعري يوضح لنا هذه النقطة الجوهريّة في خصوص الفرقة المذكورة، اذ يقول (... فقطعوا على امامة علي بن موسى بعد «وقوفهم» على موسى «وانكار موته»...)، وعليه فهؤلاء كانوا واقفة!! فالعودة هنا ليست مذهباً جديداً في تفكيرهم - بل هي عودة الى ماضٍ كان له حظ متين من الواقع والفاعلية. ولقد اثبتت الدراسات والبحوث قديماً وحديثاً ان الوقف حركة مشبوهة، تأسّست تحت تأثير اسباب اقتصاديّة ووجاهيته فزعماء هذه الطائفة او الفرقة المنشقة، قالوا بانتهاء سلسلة الامامة عند موسى الكاظم طمعاً في الحقوق التي جمعوها باسم هذا الامام الزاهد وهو في السجن.

ان هؤلاء قطعوا بوفاة الكاظم بعد فترة من الزمن، وآمنوا بقيادة الرضا، ولكن ما أن رحل هذا الأمام حتى عادوا الى الوقف... الوقف الذي قطعوا ببطلانه وفساده!... ان هذا التقلب العقيدي لا يعبّر عن قلق فكري، خاصّة وان كتب الفرق لم تذكر لنا اي مبّرر عقلي لهذا التحول الكثير الذي طالما نقرؤه في مثل هذه الحالات، والاّ فما هي مسوّغات هذه العودة، وقد مضى على اعتقادهم بموت الكاظم وامامة الرضا سنوات ليست بالقليلة؟!

الملاحظة الجديرة بالانتباه هنا، ان التاريخ لم يحفظ لنا شيئاً مثيراً عن هذه الفرقة المتقلبة، فليس لها تراث يذكر، ولم نعرف رجالاتها، كما ان مسيرتها مجذوذة، لم تكن تتمتع بحيوية التاريخ المستمر.[1]

---

(١) نستحدث مرّة اخرى عن هذه الفرقة في السطور التالية.

ولنتفحص موضوع فرقة (المحدثة):

كان قوامها من أهل الارجاء واصحاب الحديث!!

قطبان غريبان...

ولكن بالامكان ان نكتشف الجامع المشترك لهذين القطبين، والنوبختي صرّح بهذا الجامع الذي لا يعد غريباً أو مستحيلاً في معادلات الحياة والتاريخ.

يقول في نشأة هذه الفرقة (... وصاروا شيعة رغبة في الدنيا وتصّنعاً...)[1]، ومن حقنا ان نسأل: أين مستقر هذين المطلبين من امام لا يملك اسباب النعمة الموفورة ولا الوجاهة المرهوبة؟! اين مستقر هذين المطلبين من طائفة تعاني من ظلم واضطهاد لازمين؟!

يبدو لي ان اتجاه المرجئة واصحاب الحديث من «العامة»[2] الجديد جاء بسبب الموقع الكبير الذي احتله الرضا في الوسط الإسلامي آنذاك، وربما كان ذلك بعد ولاية العهد.

ونحن نعلم جيداً ان مذهب (الارجاء) ينطوي على مبادئ وافكار تنحو باصحابه الى ممالأة السلطان والتعايش مع النظام السياسي الحاكم والاقتراب من ذوي الحظوة والقوة. ان مشايعة اهل البيت كانت سوقاً رائجة ورابحة في عهد الامام الرضا، وهذا الرجل الصالح كان النجم العلوي السامق في تلك الفترة من خلافة بني العباس.

كل هذه المقتربات تجعلنا نستقرب ونتفهم تعليل النوبختي وتبعه في ذلك الاشعري، وهما يتعرضان الى السبب الكامن وراء هذه النشأة.. انها مخترعة آنية، مقطوعة الجذور، ولذا كانت العودة الى الأصل (فما توفي علي بن

---

(١) فرق الشيعة، ص ٨٦.

(٢) المقالات والفرق، ص ٩٤ مع الهامش.

موسى... رجعوا الى ما كانوا عليه)[1] ويخصص الاشعري بالذات (المرجئة...)[2]

وهذه الفرقة كسابقتها، لم نعرف لها مفكرين ومحدّثين وعلماء مشهورين، ولم تترك تراثاً يشير الى هويتها ومسيرتها، فهي فرقة على هامش التاريخ.

والفرقة الرابعة... تلك التي قوامها «الزيديّة» تلفت النظر حقاً، فالامام الرضا لم يخرج بالسيف، كان يتهرب من مسؤولية الحكم، ومن شرطه لقبول ولاية العهد: ان لا يفتي ولا يقضي ولا يولي ولا يعزل ولا يغير شيئاً ممّا هو قائم.[3] فأي معنى للانضواء تحت أمامة الرضا؟! ان سر هذا التحوّل الزيدي هو ولاية العهد!! فهؤلاء مالوا الى الرضا (عندما أظهر المأمون فضله وعقد بيعته...)[4]، والهدف هو (تصنّعاً للدنيا)[5]، ويبدو ان هؤلاء كانوا نشطين لتكوين محور خاص بهم تحت عباءة الرمز العلوي، اذ يقول عنهم النوبختي (واستكانوا الناس بذلك عصراً...)[6] وبلغة الاشعري صاحب المقالات والفرق (واستمالوا الناس بذلك دهراً...)[7]. فهو التطلع الى الموقع السياسي أو وسيلة للتستر على تكتل سياسي، ولهذا مجرّد ان مات الرمز (رجعوا الى فرقهم من الزيديّة...)[8]. والذي يلوح من النص ان هؤلاء الزيدية ليسو من اتجاه واحد،

---

(١) فرق الشيعة، ص ٨٦.

(٢) المقالات والفرق، ص ٩٤.

(٣) الارشاد للمفيد، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٤) فرق الشيعة، ص ٨٦.

(٥) المصدر نفسه، كذلك: المقالات والفرق، ص ٩٤.

(٦) فرق الشيعة، ص ٨٦.

(٧) المقالات والفرق، ص ٩٤.

(٨) ن.م. ص ٩٤.

بل هم اتجاهات متعدّدة، بدلالة (فرقهم...) فهذا الانطواء سياسي في جوهره وليس عقائدياً. ان العودة هي التي تفسّر او تكشف عن هذا السر، والاّ فان البون شاسع بين الرضا والعقائد الزيديّة في كل المقاييس. نعم، لو أن هؤلاء طوروا عقيدة الامامة، وانتقلوا الى غير الرضا، بذريعة أو أخرى، يمكن ان نقتنع ان ثمة مبرراً عقيدياً للالتفاف حول الرضا، اما ان يعودوا الى ذات (فرقهم...)، فليس له الاّ التفسير الذي طرحناه... ولم نعرف لهذا الاتجاه علماء بارزين او متكلمين مشهورين.

ولنتدارس الان فرقة (الاحمديّة):

قالت هذه الفرقة بأمامة (احمد بن موسى بن جعفر) اي اخي الامام (علي بن موسى ـ الرضا) وذلك بعد وفاة هذا الإمام «ع». ويدعي اصحاب هذا الاتجاه، ان الامام الكاظم كان قد أوصى للاخوين، احدهما بعد الآخر، وان الرضا نفسه كان قد اوصى بذلك ايضاً.

ان اول ما يصطدم به الباحث وهو يعالج هاتين الوصيتين غياب النص على ذلك، فليس هناك ما يشير اليهما، سواء في كتب التاريخ أو الحديث أو الفرق، وهذه ملاحظة دقيقة وجديرة بالتأمل، ولم نعهد لهذا الرجل جماعة تدافع عنه او تطرح اسمه أماماً او زعيماً بالاستناد الى نص محدّد او مسمّى، وذلك كما نلاحظ في امامة اسماعيل بن جعفر الصادق أو الامام الجواد او غيرهما!!

واذا عدنا الى حياة هذا الرجل سوف نصطدم بحياة شبه خاملة، فلم يعهد عنه اي نشاط سياسي او فكري او ديني ذي طابع قيادي، او يستشم منه رائحة التصدّي. فقد عرف عنه التقوى والصلاح، والانصراف للشأن العبادي الصرف. وفي الارشاد يروي الشيخ المفيد مرفوعاً الى اسماعيل بن موسى بن جعفر، ان الامام الرضا كان يرعى اخاه (احمد) ويحبّه ويتعهده.[1] ونلمس شيئا من

---

(١) الارشاد، ج ٢، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

الاضطراب في تاريخه، ففي كتاب (شدّ الأزار في حط الاوزار عن زوار المزار) الذي الفه ابو القاسم الجنيد الشيرازي المتوفى سنة ٧٩١هـ نقرأ (جاء أحمد بن موسى الى ايران قادماً من المدينة بعد أخيه الرضا ـ عليه السلام ـ ولما وصل الى شيراز توفي فيها...)(١) ولكن فرصت الدولة الشيرازي يقول في كتابه «آثار العجم» المطبوع في ايران: وكان لهذا السيد الجليل خدم وحشم كثيرون، قصد شيراز في عهد المأمون وبرفقته جمع غير من الناس، ليتوجه منها الى خراسان، حيث يقيم اخوه الرضا عليه السلام، وكان والي شيراز آنذاك شخصاً يدعى «بقتلغ»، ولما توالت الأخبار بقدوم ذلك السيد الجليل، توجه ـ اي والي شيراز ـ الى خان زيتان الذي يبعد ثمانية فراسخ عن شيراز، فالتقى الفريقان هناك، وصمّموا على القتال، وفي جدال دار بين الفريقين صاح أحد الجند من الجيش مخاطباً السيد احمد: اذا كان قصدك الوصول الى علي بن موسى، فانه قد مات، ولما سمع من كان حوله هذا الخبر، تفرّق بعضهم عنه، وبقي معه عدد من اخوانه واقاربه، وحيث لم تكن له فرصة للرجوع توجّه تلقاء شيراز، فلاحقه المخالفون فاستشهد هناك.(٢) وكتب بعضهم يقول: وعندما وصل الى شيراز انعزل في زاوية من زاياها، واشتغل بالعبادة الى ان انتقل الى جوار ربّه هناك، فذهب الى دار حقه.(٣)

هذا كل ما يذكره التاريخ عن هذا السيد الجليل، ولم يرد عنه اي رواية أو أطروحه أو فكر ـ ومن الملاحظ ان الناس تفرقوا عنه عندما عرفوا بموت اخيه الرضا، مما يشعر ان التفاف بعضهم حوله كان لاسباب سياسية وتطلّعاً إلى حظوة مرتقبة. وقد انتهت هذه الفرقة وأصبحت في ذمة التاريخ بسرعة

---

(١) نقلاً عن «موسوعة الفرق الإسلامية» للدكتور محمّد جوادمشكور، ص ٩١.

(٢) نقلاً عن «موسوعة الفرق الإسلامية» ص ٩٢.

(٣) ن.م. ص ٩٢.

قياسية، فلم يبق له أثر بعد وفاته التي كانت في زمن المأمون ـ بل ليس لها اثر حتى في حياته. فالفرقة مصنوعة انذاك حتى اذا كان لها عنوان، ولو كانت هناك حقاً وصيّة من الامام الكاظم او الرضا، بل حتى لو أُفتعلت وصيّة من هذا النوع لسرى اثرها بشكل من الاشكال ولو الى حين، ويبدو لي ان الذين قالوا بامامته ـ في وقتها ـ خدمه وحشمه، فيما يرويه المفيد في الارشاد (... ويُقال ان احمد بن موسى رضي الله عنه أعتق الف مملوك...).[1]

وقبل ان ننتقل الى الحديث عن الفرقة التي قالت بامامة «محمد بن علي الجواد» بعد أبيه نحاول معالجة نص مهم جداً لابي الحسن النوبختي:

قال (وكان سبب الفرقتين اللتين أئتمت واحدة منها «بأحمد بن موسى» ورجعت الأخرى الى القول بالوقف، ان أبا الحسن الرضا «ع» توفي وابنه «محمد» ـ الجواد ـ ابن سبع سنين، فاستصبوه واستصغروه، وقالوا: لا يجوز الامام الاّ بالغاً).[2]، فان لم يكن بالغاً (لا يفهم القضاء بين الناس ودقيقه وجليله وغامض الاحكام وشرايع الدين وجميع ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما تحتاج اليه الأمة الى يوم القيامة من أمر دينها ودنياها...).[3]

وفي الحقيقة، اذا كان ذلك سبباً موضوعيّاً لنشوء فرقة (الاحمديّة)، فانه ليس بالمسوّغ العلمي للعودة الى الوقف، ذلك ان هؤلاء قطعوا بموت الامام موسى بن جعفر، ومالوا الى الرضا، وصدّقوا أمامته، فما معنى الوقف مرّة اخرى وبنفس معطياته السابقة، إن قطعهم المذكور وسلوكهم الأخير يؤكدان انهم تجاوزوا الوقف، او ان هذه العقيدة اصبحت فاسدة، وليس من ريب لو ان هؤلاء صرفوا الامامة لغير الجواد، بتعلةٍ او اخرى لسجّلوا موقفاً اكثر حكمة ومعقوليّة.

---

(١) الارشاد، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٢) فرق الشيعة، ص ٨٨.

(٣) فرق الشيعة، ص ٨٨.

فالمسألة لا تعدو ان تكون ضمن دوافع سياسيّة وليس عقيديّة، والعملية تدخل في نطاق يجبر الفكر العقائدي لاغراض خارج عن هذه الدائرة أساساً.

هذا الجانب الاول من معالجة النص، اي علاقته بالمؤلفة الذين عادوا الى الوقف، أما الجانب الآخر فسوف يأتي في السطور التالية.

الفرقة التي قالت بامامة «محمد الجواد» هي الوحيدة التي صمدت من هذه الفرق الخمسة، ومراجعة واقع هذه الفرقة ومجرياتها وتضاعيف مسيرتها، تطلعنا على حقائق كثيرة، نجملها في النقاط التالية:

النقطة الاولى: انها الفرقة الوحيدة من بين هذه الفرق التي تستند الى نصوص منقولة عن ابي الحسن علي بن موسى الرضا، يوصي بها بامامة الجواد، وقد جمع المجلسي في البحار اكثر من ثلاثين نصّاً في هذا الخصوص، ونحن نشير الى هذه النقطة بغض النظر عن مدى صدق هذه النصوص ـ وفيها الصحيح التام ـ الان الغرض الكشف عن معالم التمايز ذي الطابع العلمي التي يقترن بها هذا الاتجاه عن نظرائه.

النقطة الثانية: انها الفرقة الوحيدة من بين هذه الفرق التي استطاعت ان تصمد للزمن، فقد استمرت تواصل مسيرتها بعد وفاة فارسها الجواد، وذلك رغم الصعاب والمعوقات.

في حين ان الفرق المناظرة والمنافسة طواها الزمن، وتحوّلت الى مجرّد ذكريات مسجّلة على صفحات التاريخ، والتاريخ المهمل.

النقطة الثالثة: انها الفرقة الوحيدة من هذه الفرق التي عرفت من خلال عيون شيعيّة متقدمة بالنشاط السياسي و الاجتماعي والثقافي، ويكفي ان نرجع الى اصحاب الامام الجواد في كتب الرجال، فنرى منهم (احمد بن محمّد ابي نصر البزنطي)، (احمد بن محمّد بن خالد ... البرقي)، (احمد بن اسحق بن عبدالله... الاشعري)، (ابراهيم بن مهزيار ابو اسحق الاهوازي)، (داود بن القاسم الجعفري...)، وفيهم المؤلف والمحدث والمتكلم ـ كما سنرى ـ فيما يخلو

التاريخ وكتب الرجال من اي اشارة الى أي رمز ينتمي الى الفرق الاخرى.

النقطة الرابعة: إنها الفرقة الوحيدة من هذه الفرق التي تركت تراثاً فكرياً وفقهيا ـ كما سنرى ـ وكان لهذا التراث دوره الجيد في فهم الحياة الفكرية للمجتمع الاسلامي بشكر عام.

النقطة الخامسة: انها الفرقة الوحيدة من بين هذه الفرق التي تشكل امتداداً طبيعيّاً لسلسلة الامامة السابقة عليها في سياق المعتقد الامامي الاثني عشري، وفي الوقت ذاته كانت تمهيداً لاستمرار هذه الامامة فيما بقى من حلقاتها الاخرى.

لا أريد ان استدل على امامة الجواد بهذه النقاط الخمس، ولا أهدف الى تأصيل هذه الفرقة وتزييف الفرق المعاصرة لها، التي تنتمي الى ذات الطيف الفكري العام، اي التشيع، ولكن أبغي الى بيان مدى تميّزها الجوهري، فهي ليست بالفرقة العابرة، ولم تتأسس عفويا، ولم تكن مخترعة مصطنعة.

كانت هناك حوارات ومناقشات جادّة في وسط هذه الفرقة، وكلها تنصبّ حول محور واحد، هو علم الامام الجواد، وسبب ذلك هو سنه الصغيرة عندما تولى منصب الأمامة ـ تسع سنوات على اكبر تقدير...

قال النوبختي (ثم ان الذين قالوا بأمامة ابي جعفر محمّد بن علي بن موسى عليهم السلام اختلفوا في كيْفيّة علمه لحداثة سنّة ضروباً من الاختلاف...)[1]، وبعد هذا شرع في بيان هذه الضروب المختلفة. وقد بدأ في تقبل ذلك بطرح اساس المشكلة بقوله: (فقال بعضهم لبعض الامام لا يكون الاّ عالماً وابو جعفر غير بالغ وابوه قد توفى فكيف علم ومن اين علم؟!)[2].

والحقيقة: ان هذا السؤال غامض في بعض خصوصياته، فهل كان في بدء أمامة الجواد أم فيما بعد؟! هل هو عن واقع حاصل أم عن واقع ينبغي ان

---

(١) فرق الشيعة، ص ٨٨.

(٢) ن.م. ص ٨٨.

يحصل؟ وهل هو سؤال مطروح لحل مشكلة فاتحة أم مجرّد لاستيعاب امر قائم بالفعل؟! من هنا علينا الاستنجاد بالاجوبة الحاسمة.

الجواب الاول: (... قال بعضهم من قبل أبيه، هو الذي علمه ومنه تعلم ولا يجوز غير ذلك...)[1].

الجواب الثاني: (... أنكر ذلك عليه الباقون، وقالوا: لم يكن ذلك من قبل أبيه وتعليمه أيه دون أباه حمل الى خراسان وابو جعفر ابن اربع سنين... ولكن الله علمّه ذلك عند البلوغ بضروب... مثل الألهام والنكت في القلب والنقر في الاذن والرؤيا في النوم... لان كل ذلك صحّ بالأخبار الصحيحة القوية الاسانيد... فاما قبل البلوغ فهو امام على معنى ان الامر له دون غيره.. اذ قد أوصى ابوه اليه وقلدّنا أمامته...).[2]

الجواب الثالث: (... انه امام على معنى ان ذلك المقام له دون غيره الى وقت البلوغ لا يجب له طاعة وامر ونهي، وليس عليهم الاّ الاقرار بانه الامام لا غيره، فاذا بلغ علم العلوم التي تحتاج الامّة اليها لدينهم ولدنياهم...)[3]، ولكن ليس ذلك بالالهام، والنكت والنقر، فكأن ذلك من شؤون النبوة، وانما (بالتوقيف والتعليم...)[4]... فهو (علم ذلك عند البلوغ من كتب أبيه وما ورثه من الأصول والفروع)[5]، ولهذا جوّزت هذه الفرقة للامام القياس في الاحكام.

الجواب الرابع: (وقال بعضهم: الامام لا يكون غير بالغٍ، وان قلت سنه، لانه حجة الله، فقد يجوز ان يعلم وان كان صبيّاً، ويجوز عليه وفيه الاسباب التي

---

(١) المقالات والفرق، ص ٩٧.

(٢) ن.م. والصفحة.

(٣) ن.م. والصفحة.

(٤) فرق الشيعة، ص ٩٠.

(٥) المقالات والفرق، ص ٩٨.

ذكرت من الالهام والنكت والنقر والرؤيا... فكل ذلك جائز عليه وفيه كما جاز ذلك فيمن سلف من حجج الله الماضين...).[1]

هذه هي الاجوبة المذكورة على السؤال الآنف، واذا دققنا النظر في تضاعيف الحلول المساقة لاكتشفنا ان السؤال المثار كان متأخراً، هذا ما نستكشفه من قول بعضهم (... ولكن الله علمه ذلك عند البلوغ!!...) ومن قول بعضهم (... فاذا بلغ علم العلوم...)... ومن قول بعضهم (هو - اي ابوه - الذي علمه...)، فان مضمون هذه الطروحات يؤكد ان السؤال لم يكن في بدء امامة الجواد، ويبين ايضاً ان هناك حالة قائمة يدور حولها السؤال المذكور، انها حالة الوعي بالدين والاحاطة بالشريعة، فان من العطاءات التي يمكن ان نستلهمها من الحلول المقترحة، هو ان الجواد كان عالماً حقاً، وان زمن ذلك هو البلوغ على احتمال كبير.

ونحن نعتقد ان الامام الجواد كان يجيد الأجابة على الأسئلة، كان جديراً بطرح الافكار الصائبة والرؤى المعمقة، وكان يملأ اي فراغ فكري يواجه الوسط الشيعي المؤمن بقيادته، وقد رزق قدرة قيادية وادارية فذة، وذلك منذ ان تولى زمام الامامة، والاّ كيف تجاوز فترة السن الحرجة؟! ونحن نطرح هذا السؤال، لان الشيعة في زمنه موجودون في بغداد وسامراء والري والمدينة وقم، وكانوا على صلة مستمرة بامامهم، مباشرة احياناً وبصورة غير مباشرة احياناً أخرى، يسألون ويراقبون ويحاورون، فلو لم يكن الامام صاحب مؤهلات راقية، وليس بامكانه مواجهة التحديات، لانتفت امامته عندهم، ولسقط بيده كل شيء. لو كانت هناك حقاً فترة جهل أو قصور أو جدب في حياة هذا الامام لفرضت نفسها، ولبانت بشكل وآخر، فمن غير المعقول ان تنطلي هذه الحقيقة الصارخة على الشيعة، وفيهم علماء جادون ومفكرون على مستوى راقٍ من العلم

---

(١) ن.م. ص ٩٨.

والتجربة، بل ان هذه المفارقة بالذات هي النقطة المشرقة في علائم امامته وقيادته. وفي سياق هذه الامضاءات نسجل وبسرعة الملاحظتين التاليتين:

الملاحظة الاولى: لم تذكر كتب التاريخ او التراجم او الادب ان هذا الامام .... درس على يد عالم، او مؤدب، او تلقى العلم على يد أحد، وهذه ملاحظة جديرة بالتأمل والدراسة والنظر، خاصّة وانه كان بعيداً عن أبيه، واضطلع بمهمة الامامة وعمره لا يتجاوز التاسعة.

الملاحظة الثانية: لم يخرج عليه أحد من ثقاته أو أصحابه أو خاصّته، بدعوى الجهل أو عدم الاطلاع بشؤون الدين والشريعة!! ومن غير الطبيعي أو المعقول ان يتوافق الجميع على ستر هذه الحقيقة واخفائها، وكيف يتسنى لهم ذلك وهو موجود؟! يمكن الاتصال به، ومجال امتحانه واختباره متوفر على الدوام. بل ان المجال مفتوح بين يدي السلطة للقيام باجراءٍ مثل هذا، كي تربك الوسط الشيعي وتقضي على اهم واخطر الممكنات التي تواجهها وتعاني من ضغوطاتها.

وهنا نقول: ان هذه القابلية التي كان يتمتع بها الامام منذ الصغر لسي امراً مستحيلاً، فليس من ريب ان لذكاءه الموروث عن ابائه دوراً، كما انه من الممكن قد أطلع على تراث ابيه واجداده، ولتجربة اليتم المبكر أمر في تفتيق طاقاته ومؤهلاته، وها نحن نرى ونسمع عن اطفال صغار، وصلوا الى مستويات راقية جداً من العلم في الطبيعة والرياضة بل وحتى في العلوم الشرعيّة، وحالة الامام الجواد من هذا القبيل ولكن بدرجة ارقى ومستوى اكمل واسمى.

هنا وفي هذا السياق نقرأ الرواية المهمّة التالية:

قال الكشي (حمدويه، قال: حدثنا الحسن بن موسى الخشاب، قال: حدّثنا ابراهيم بن ابي محمود، قال: دخلت على ابي جعفر (ع) ومعي كتب اليه من أبيه، فجعل يقرأها، ويضع كتاباً كبيراً على عينيه، ويقول: خط ابي والله، ويبكي حتى سالت دموعه على خديه، فقلت له: جعلت فداك، قد كان ابوك ربما قال

لي في المجلس الواحد مرّات: اسكنك الله الجنّة، قال: فقال: وانا أقول ادخلك الله الجنّة...).[1]

في السند: حمدويه: هو، حمدويه بن نصير الكشي، يروي عنه الكشي ـ صاحب الرجال كثيراً ـ وهو نفسه حمدويه بين نصير بن الشاهي الذي قال عنه الطوسي في رجاله في من (لم يرو عنهم) ـ باب الحاء ـ رقم «٩»: (عديم النظير في زمانه كثير العلم والرواية، ثقة، حسن المذهب)[2].

في السند: الحسن بن موسى الخشاب (... من وجوه أصحابنا، مشهور، كثير العلم، له مصنفات، منها: الرد على الواقفة)[3] وهو من اصحاب العسكري، وممن لم يرو عنهم.[4]

في السند: ابراهيم بن ابي محمود الخراساني (ثقة روى عن الرضا...)[5]، وفي الكشي (... روى عنه احمد بن محمد بن عيسى[6] مسائل موسى ـ الكاظم ـ قدر خمس وعشرين ورقة، وعاش بعد الرضا عليه السلام).[7]

فهي رواية تامّة السند، صحيحة، غير مضعفة، والنقل فيها يستند الى المباشرة الحسيّة، تتضمن كل شروط الصحّة والمتانة، سواء على صعيد علم التاريخ او الحديث او الرجال، والرواة ليس ثقاة فحسب، بل علماء معروفون. واذا جاء لنا ان نهمل او نشكك في مثل هذه الرواية، رغم متانة سندها وسلامة

---

(١) رجال الكشي رقم ١٠٧٣.

(٢) راجع معجم الخوئي ٦/ ٤٠١٤، ٤٠١٥، ٤٠١٦.

(٣) رجال النجاشي رقم ٨٥.

(٤) رجال الشيخ الطوسي ٣٠٥.

(٥) النجاشي رقم ٤٢.

(٦) ثقة معروف.

(٧) الكشي، ١٠٧٢، ١٠٧٣

مضمونها، فان ذلك يقودنا الى نسف التاريخ من أساسه والرواية تؤكد ان الامام الجواد كان على صلة بأبيه، وانه يقرأ منذ الصغر، وصاحب مواقف جادّة، والشيعة ترجع اليه، وكان ذا مسؤوليّة ازاء شيعته في زمن والده، نبه، نشط، فعّال، وليس في هذا من غرابة، فقد عهدنا الكثير من الصبيان الذين وهبهم الله العلم الفائق، والقابليات الفذة.

ان التتبع الدقيق لمجريات حياة هذا الامام الطيب يكشف عن ان «مسألة حداثة السن» كانت مطروحة في زمنه، وقد أثيرت اكثر من مرّة معه بالذات.

لنقرأ هذه الرواية المهمّة:

في الكافي (علي ابن ابراهيم عن أبيه قال: قال علي بن حسّان لابي جعفر ـ الجواد ـ: يا سيدي ان الناس ينكرون عليك حداثة سنّك! فقال: وما ينكرون من ذلك قول الله عزّوجل؟!

لقد قال الله عزوجل لنبيّه «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني» فوالله ما تبعه الاّ علي وله تسع سنين وانا ابن تسع سنين).[1]

والرواية صحيحة، فكل من علي بن ابراهيم وابنه ثقتان، وعلي بن حسّان هذا هو، علي بن حسّان الواسطي ابو الحسن القصير المعروف بالمنمّس، عمّر اكثر من مئة سنة، له كتاب، وهو من الثقاة الاجلاء، حتى ان الغضائري وهو المشهور بالتضعيف قال عنه (ثقة ثقة)[2]، وفي النجاشي (لا بأس به)[3]، ومن نقاط القوة في شهادة هذا الراوي انه عاش الى زمن الهادي ـ ابو الجواد ـ لان الصفار يروي عنه،[4] والصفار توفي سنة ٢٩٠هـ في قم، والحوار كان شفاهيّاً

---

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٨٤.

(٢) معجم الرجال، ج ١١، رقم ٧٩٨٤.

(٣) ٧٢٦/٢٧٦.

(٤) ن.م. والصفحة.

بين الراوي السائل والامام المسؤول.

من الواضح: ان النقاش كان يدور في الوسط الشيعي وغيره آنذاك عن هذه القضية، اي حداثة السن، والغريب ان التساؤل لم يكن عن (العلم) بل عن هذه النقطة بالذات، اي الحداثة، مما يشي عن حقيقة اكيدة، وهي ان الامام لم يكن محرجاً من الناحية العلميّة، ولو كان الامر كذلك لاحتجّ علي بن حسان الواسطي واسقط ما في يد الجواد، خاصّة ان هذا الرجل كان من ذوي الخبرة الدقيقة بموضوع الامام، فقد روى كثيراً عن الرضا، وكان مؤلفاً، وعمّر الى زمن الهادي، فالحوار كان يدور حول العمر وليس الكفاءة، وهي القضية ذاتها التي اثارها علي بن اسباط.

في تفسير القمي (قال علي بن ابراهيم حدثني ابي، عن علي بن أسباط، قال: قلت لابي جعفرالثاني عليه السلام: يا سيدي ان الناس ينكرون عليك حداثة سنك، قال: وما ينكرون عليّ من ذلك؟ فوالله لقد قال الله لنبيه عليه السلام: ﴿قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اِتبعني﴾ فما اتبعه غير علي عليه السلام، وكان ابن تسع سنين وانا ابن تسع سنين).[1]

وفي السند علي بن اسباط، فطحي، ادعى بعضهم انه تاب واهتدى على يد الجواد، ومنهم من قال انه لم يرجع حتى مات.[2] ولكن هناك جملة نقاط في الرجل يجب اخذها في الاعتبار:

اولاً: انه ثقة في نفسه، ففي النجاشي (كوفي ثقة).. بل (كان اوثق الناس واصدقهم لهجة).[3]

ثانياً: كان متغلغلاً في الوسط الشيعي الخاص، فقد خالطهم وروى عنهم

---

(١) تفسير القمي، ج ١، ص ٢٥٩.

(٢) معجم الرجال ج ٧٩٢٣/١١.

(٣) رجال النجاشي ٢٥٢/ ٦٦٢.

كثيراً.[1] وكانت بينه وبين علي بن مهزيار ـ احد كبار الشيعة ـ رسائل وحوار.[2]

ثالثاً: كان على علاقة وثيقة بالجواد، يستنصحه ويستفتيه، والجواد ترحّم عليه، وقد بلغت العلاقة بينهما ان يستشيره في زواج بناته.[3]

فالرواية صحيحة السند وصيغة المتن، رواتها من ذوي العلم والخبرة والاطلاع، فهم رواة وعلماء ومؤلفون.

ان الشيء الذي نريد بيانه هنا، هو ان التساؤل لم يكن يدور حول «علم الامام» وانما سنه!! فيبدو ان الامام كان قد تجاوز محنة أو امتحان الفكر، فعلي بن اسباط ليس رجلاً سهلاً حتى يفوت هذه الفرصة الذهبية كي ينتصر الى مذهبه (الفطحيّة).

وفي الواقع بغض النظر عن كل هذا، ان هذه الامامة اثبتت جدارتها من خلال التحدّي، اذ كيف يتسنى لانسان لم يبلغ العاشرة مثل هذا التحدي الخطير. لو لم يكن مؤهلاً لذلك اصلاً؟

وفي هذا يقول الشهيد الصدر: (... الامام الذي يبرز على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه اماماً روحيّاً وفكريا للمسلمين، ويدين له بالولاء، والامامة كل ذلك التيار الواسع لابد ان يكون على قدر واضح وملحوظ، بل وكبير من العلم والمعرفة وسعة الافق والتمكن من الفقه والتفسير والعقائد؛ لانه لو لم يكن كذلك لما امكن ان تقتنع تلك القواعد الشعبية بامامته مع ... ان الائمة كانوا في مواقع تتيح لقواعدهم التفاعل معهم، وللاضواء المختلفة ان تسلط على حياتهم وموازين شخصيتهم، فهل ترى ان صبيّاً يدعو الى امامة نفسه وينصب منها علماً للاسلام وهو على مرأى ومسمع من جماهير قواعده الشعبية، فتؤمن به، وتبذل في

---

(١) معجم الخوئي ج ١١/ ٧٩٢٣.

(٢) الكشي ٥٦٢/١٠٦١.

(٣) الكافي ج ٥، ص ٣٤٧.

سبيل ذلك الغالي من أمنها وحياتها بدون ان تكلف نفسها اكتشاف حاله، وبدون ان تهزها ظاهرة هذه الامامة المبكرة، لاستطلاع الموقف؟ فهل يمكن ان تمر المسألة اياماً وشهور، بل اعواماً دون ان تتكشف الحقيقة على الرغم من التفاعل الطبيعي المستمر بين الصبي الامام وسائر الناس؟ وهل من المعقول ان يكون صبياً في فكره وعلمه حقاً ثم لا يبدو ذلك من خلال التفاعل الطويل؟

واذا افترضنا ان القواعد الشعبية لامامة اهل البيت لم يتح لها ان تكتشف واقع الامر، فلماذا سكتت الخلافة القائمة ولم تعمل لكشف الحقيقة وهذا في صالحها؟ وما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الامام الصبي صبياً في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان، وما كان أنجحه من اسلوب ان تقدم هذا الصبي الى شيعته وغير شيعته على حقيقته حتى تبرهن على عدم كفاءته للامامة والزعامة الروحية الفكرية، فلئن كان من الصعب الاقناع بعدم كفاءة شخص في الاربعين او الخمسين قد احاط بقدر كبير من ثقافة عصره لتسلّم الامامة فليس هناك صعوبة في الاقناع بعدم كفاءة صبي اعتيادي، مهما كان ذكياً وفطناً للامامة ... وكان هذا أسهل وايسر من الطرق المعقدة واساليب القمع والمجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذ).[1]

في بصائر الدرجات (علي بن اسماعيل، عن محمد بن عمر،عن علي بن أسباط، قال: رأيت ابا جعفر قد خرج عليّ فاحدقت النظر اليه والى رأسه والى رجله لأصف قامته لاصحابنا بمصر، فخرّ ساجداً، وقال: ان الله احتجّ في الأمامة بمثل ما احتجّ في النبوة، قال الله تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبيّاً﴾، وقال الله تعالى: ﴿فلما بلغ اشدّه﴾، ﴿وبلغ اربعين سنة﴾ فقد يجوز ان يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز ان يؤتى وهو ابن اربعين سنة).[2]

---

(١) بحث حول المهدي، ط ٣، ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٢٣٨.

في السند: علي بن اسماعيل بن عيسى، ثقة.[1]

محمّد بن عمر ... الزيات، ثقة.[2]

علي بن اسباط، ثقة.[3]

فالرواية صحيحة، ورواها صاحب المناقب عن معلّى بن محمد عن ابن اسباط، كذلك الارشاد عن ابي قولويه عن الكليني عن الحسين بن محمّد عن ابن اسباط مثله.

ان الرواية صحيحة في لحاظ سند الصفار، وهذه مهمّة جداً، لانها تشير الى مجموعة دلالات تصب في قضية الامامة المبكرة، منها:

أن هذه القضية كانت مطروحة في زمن الامام الجواد نفسه، وكان الطرح مباشراً مع الامام الجواد عليه السلام، وقد مضى بنا بعض شواهد هذه الحقيقة، وادلى الجواد بالحجة الدقيقة في الموضوع، مستشهداً بموقف علي بن ابي طالب عليه السلام. وفي هذه الرواية يستشهد الامام بالقرآن الكريم. ومن الواضح ان الحوار الحاصل بين الجواد وابن اسباط كان في اوائل الامامة المبكرة وان ابن اسباط كان مندهشاً من شخصيّة الجواد، ومهتماً بموضوع أمامته، بحيث يريد ان ينقل مواصفات الامام الى اصحابه في مصر. على ان اهم ما في الحدث، هو ان الامام كان متمكناً من نفسه وعلمه ودوره، فهو لم يكن صبيّاً في فكره، واعتقد ان ابن اسباط كان بين يدي مفارقة، يتساءل عن سرّ هذا العالم الصبي، وليس في محل الرد او النقض، ومهما يكن من امر، الذي نستفيده من الرواية او من جملة ما نستفيده، ان هذا الامام كان عالماً منذ ان تولى الامامة.

---

(١) الكشي: ٤٩٠.

(٢) النجاشي ١٠٠١.

(٣) النجاشي ٦٦٣.

الفصل الرابع
الاصحاب والآل

ما وراء الظاهرة

ادرج الشيخ الطوسي في كتابه (الرجال) اكثر من مئة اسم في قائمة أصحاب الامام الجواد عليه السلام، وفي هذا الفصل سنقوم بدراسة عن أهم هؤلاء الاصحاب من نواحي عدّة، ثم نحاول استنطاق النتائج والمستحقات فيما يتصل بامامة محمد بن علي بن موسى، دلالة وسعة واثراً، فان من الجوانب التي لم تطرق بشكل كاف وناضج العلاقة بين الائمة واصحابهم، رغم انها تختزن الكثير من الحقائق العميقة التي من شأنها تسليط الاضواء على موضوعيّة الأمامة ودورها الايجابي في التاريخ.

من هم هؤلاء؟!

١ـ ايوب بن نوح بن دراج الكوفي:

هذا الرجل كان من اصحاب الرضا والجواد والعسكري، ثقة، له كتاب وروايات ومسائل،[1] وفيه يقول النجاشي (كان وكيلاً لابي الحسن وابي محمّد، عظيم المنزلة عندهما، مأموناً، شديد الورع، كثير العبادة...)[2] وفي الكشي (ايوب بن نوح

---

(١) المصدر، ج ٤، ص ٣٨٠.

(٢) فهرست الشيخ الطوسي رقم (٥٩).

بن دراج كان من الصالحين، ومات وما خلف الاّ مئة وخمسين ديناراً...).[1]

الذي يبدو ان ايوب هذا كان من الاصحاب النشطين، فهو مؤلف وراو ووكيل، ثم هو داعية جيد، ففي النجاشي (... قال محمّد بن سكين: نوح بن دراج دعاني الى هذا الامر)[2]، ومن الواقع ان ايمانه بالجواد كان مبكراً، اي انه دشن الامامة الصغيرة، وفي هذا دلالة كبيرة على القيمة الموضوعية لهذه الامامة، لان ايوب صاحب تجربة وعلم.

٢ـ ابن ابي نصر البزنطي:

هذا الرجل كان من اصحاب الرضا والجواد (... عظيم المنزلة عندهما... له كتب ... مات سنة ٢٢١هـ بعد وفاة علي بن فضال بثمانية اشهر، ذكر محمّد بن عيسى بن عبيد انه سمع منه سنة ٢١٠هـ)[3].

فهو عالم وراو واستاذ، وقد سمع عليه الثقة الكبير محمد بن عيسى، وبالتالي يملك تجربة فذة في قضيّة الامامة. ومن الواضح انه آمن بالجواد وخطا على نهجه. وايمان مثل هؤلاء شهادة مهمّة على موضوعية الامام الصغيرة، وانها حق. وكانت قائدة ورائدة. ومن الواضح ان ايمانه كان قوياً لا يتزعزع، وقد عاصر الجواد منذ صغره حتى بعد وفاته بسنة، فهو شاهد على صدق أمامته طوال عمرها «سبعة عشر عاماً». ومن الجدير بالملاحظة ان الرجل كان قد «لقي» الجواد[4]، مما يعزّز من شهادته الحسيّة بالنسبة لنا.

---

(١) النجاشي رقم ٢٥٤.

(٢) النجاشي رقم ٢٥٤.

(٣) ن.م. رقم ١٨٠.

(٤) ن.م. والصفحة.

٣ـ احمد بن اسحق بن عبدالله الاشعري القمي:

من أكابر الأصحاب والموالين. روى عن الجواد، وهو شيخ القميين ووافدهم. له كتب، وكان رغم مكانته الاجتماعية والعلميّة فقير الحال، واشتهر بانه من خاصّة الامام الهادي، ثم انه من الوكلاء والسفراء المعروفين.[١]

هذا الرجل ثقة وخزين من اسرار الجواد والهادي والعسكري!! ولأنه عالم، فقير، راوٍ، ترى ماذا نستنتج من ايمانه بقيادة الجواد رغم صغر سنه؟!

٤ـ صفوان بن يحيى البجلي:

من الثقاة الأجلاء وقد مرّ الحديث عن تجربته الشخصيّة وكذلك تجربة أبيه مع الأئمة. ايمانه بالجواد كان عن دراية ورواية.

٥ـ محمد بن الحسين بن ابي الخطاب:

هو: محمّد بن الحسين بن ابي الخطاب ابو جعفر الزيات الهمداني (... جليل... عظيم القدر، كثير الرواية، ثقة، عين، حسن التصانيف)،[٢] (كوفي ثقة)[٣]، من اصحاب الجواد والهادي والعسكري، توفي سنة ٢٦٢هـ اي بعد وفاة الجواد بـ ٤٢سنة، مما يشير الى انه عاصر الجواد وهو يتمتع بنباهة الشباب ويقظة الفكر، ويبدو ان أيمانه بعد بحث ونظر، لأن من مؤلفاته وكتبه (كتاب الامامة، كتاب وصايا الأئمة عليهم السلام...) ـ كما في النجاشي ـ فهو عالم وراوٍ وكاتب ومجرّب! فماذا نفهم من ايمانه بالامامة الصغيرة؟!

---

(١) النجاشي ٢٢٥/٩١، الفهرست ٧٨/٢٦، رجال الشيخ ١٢/٢٩٨، الكشي ٥٥٦/ ١٠٥.

(٢) النجاشي.

(٣) الفهرست رقم ٦٠٨.

٦ـ احمد بن محمّد بن عيسى الاشعري القمي:

اول من سكن قم وهاجر الى الكوفة واقام بها، وهو شيخ القميين ووجيههم، وفقيههم غير مدافع وكان الرئيس الذي يلقى السلطان. لقي الرضا والجواد والعسكري.[١]

اذن الرجل ليس ثقة وحسب، بل هو جوال، عارف بالرجال، حتى انه عرف بالتحرز في الرواية،[٢] وأشتهر بالتأليف الكثير. والرجل صاحب خبرة عقيديّة عميقة، ولقاؤه الامام الجواد وهو بهذه المواصفات، ومن ثم ايمانه الصلب به، من علائم موضوعية الإمامة الصغيرة.

٧ـ ابراهيم بن ابي محمود الخراساني:

وقد مرّ الكلام عنه مفصّلا. كانت له صلة خاصّة بالجواد منذ الصغر، في زمن أبيه، وهو راو وعالم، وصاحب خبرة.

٨ـ ابراهيم بن ابي الجلاد:

في النجاشي (... كان ثقة قارئاً أديباً... وكان للرضا اليه رسالة واثنى عليه...).[٣] وفي الفهرست (... له أصل...).[٤]

٩ـ اسماعيل بن مهران بن ابي نصر:

(هذا الرجل، مولى، كوفي، ثقة، معتمد عليه)[٥]، ومن ميزاته المهمّة انه كثير التأليف، ففي فهرست النجاشي (... لقي الرضا وروى عنه وصنّف مصنفات

---

(١) النجاشي رقم ١٩٨.

(٢) الكشي.

(٣) النجاشي رقم (٣٢).

(٤) الفهرست/٢٢.

(٥) النجاشي رقم (٤٩).

كثيرة...).[1] وفي الكشي (... كان تقياً خيّراً فاضلاً...)[2]، ويبدو لتعلقه بحب اهل البيت كان يرمى بالغلو (قال محمد بن مسعود: يكذبون عليه...)[3].

فالرجل اذن كان عالماً راوية، من المعتمد عليهم، ومما يثير الانتباه حقاً كثرة تصانيفه وتنوعها، وما قاله الغضائري من ان حديثة ليس نقياً لا ينفي وثاقته كما هو معلوم، خاصة وان تقييمات ابي الغضائري محل نظر. ومن العسير تفسير ايمان مثل هذا الرجل بالجواد بانه وهم أو كذب أو مصلحة، فالطريق الى الشهرة والحظوة والكسب متوفر لمثل هذه الطاقات، وليس صعباً ابداً. على العكس ان ايمان هؤلاء قد يؤدي بهم الى نتائج هم في غنىً عنها.

١٠ـ الحسن بن محبوب:

من اصحاب الكاظم والرضا، كوفي ثقة، وفي الكشي انه من الفقهاء الكبار عند شيعة الامامين المذكورين، توفى سنة ٢٢٤هـ، وهذا يعني ان الرجل عاصر كل حياة الامام الجواد (١٩٥ ـ ٢٢٠هـ) بعد ان اختزن خبرة طويلة من العمل الفكري، ذلك انه الف كثيراً في الفقه، وبتعبير الشيخ الطوسي (وكان جليل القدر، يُعد من الاركان الاربعة في عصره وله كتب كثيرة).[4] وكان الرجل من المقرّبين الى الامام الرضا جداً حتى انه وصفه بالصدق.[5]

١١ـ عبدالرحمن بن ابي نجران:

هذا الرجل كان فقيهاً متقدّماً (... كوفي ... روى عن الرضا (ع)، وروى أبوه نجران عن ابي عبدالله عليه السلام ـ الصادق ـ وكان عبدالرحمن ثقة ثقة

---

(١) المصدر رقم (٣٢)

(٢) المصدر، رقم (١١٠٢).

(٣) ن.م. والصفحة.

(٤) الفهرست رقم (١٦٢).

(٥) الكشي رقم ٥٨٥.

معتمداً على ما يرويه[1] ... له كتب كثيرة).

ونقاط القوة كثيرة في عبدالرحمن منها انه على تواصل تاريخي مع الائمة لأن اباه كان من اصحاب الصادق، وهو فقيه، ويروي عن ثامن الائمة، ثم يروي عن الجواد كثيراً.[2]

ان نظرة متفحصة الى هذه المواطن من القوة التي هي مزيج من التجربة والعلم والتقوى تشي عن ايمان علمي تجربي بامامة الجواد، فليس من المعقول ان يستسلم عبدالرحمن وامثاله لإمام صغير السن اذا لم تكن لديه من امارات وجوب الطاعة. وهذا النمط من الناس مسؤول ومحقق ومتابع، ... وكتبه كثيرة، وذات اختصاصات في الفقه والشريعة بل ان للرجل أحاديث عن الجواد في قضايا عقيدية معقدة، تتصل بالله ذاتاً وصفات وغيرها من المسائل المثيرة، وكان يكاتبه في ذلك.[3]

ان وجود مثل هذه الرموز ذات دلالة بل دلالات ينبغي ان تكون موضع دراسة وتفحص، خاصّة فيما يتصل بحالات مثل حالات الجواد(ع).

١٢ـ عبدالله بن الصلت القمي:

هذا الرجل كان من خواصّ الامام الرضا عليه السلام، ثقة، مسكون الى روايته، مفسّر للقرآن، وفي الكشي (... قال: كتبت الى ابي جعفر عليه السلام بأبيات شعر، وذكرت فيها اباه، وسألته ان يأذن لي في ان اقول فيه، فقطع الشعر وحبسه، وكتب في صدر ما تبقى من القرطاس: قد احسنت جزاك الله خيراً).[4]

---

(١) ن.م. رقم (٦٢٢).

(٢) معجم الخوئي ٩/ ٦٣٣٥.

(٣) اصول الكافي، ج ١٤، ص ٨٧.

(٤) المصدر ٥٢٤٥.

ان مثل هذه الوقائع تبرهن على أن الامام الجواد كان قد اكّد حضوره القيادي، وانه الرمز المتألق والنجم العلمي البارز، والاّ فبأي اعتبار يراسله مثل هذا الرجل الذي كان مفسّراً لكتاب الله، وأحد العارفين بأبيه الرضا؟! اننا نتوسل هنا بآليات طبيعية تفرضها قيم التعامل مع الحياة السائرة بين البشر. مرّة اخرى نقول: اذا رفضنا تحكيم هذه الآليات فاننا سننسف التاريخ تماماً. ولعله من المفارقات الكبيرة أن نستسلم لروايات ضعيفة السند ونؤسس اعتماداً عليها حقائق ووقائع، فيما نرفض منطق الاشياء الذي طالما نمارسه بانفسنا.

١٣ـ الحسن بن راشد البغدادي:

في رجال الشيخ (... بغدادي، ثقة، من اصحاب الجواد...)،[١] وفي الرسالة العددية للشيخ المفيد، انه من الفقهاء الاعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام، الذين لا يطعن عليهم بشيء ولا طريق لذمّ واحد منهم.

هذا الرجل كان وكيل الامام العسكري، عيّنه برسالة معنونة الى الموالي في بغداد والمدائن، ومن جملة ما قاله عنه (وقد أوجبت في طاعته طاعتي، وفي عصيانه عصاني).[٢] وكان ذلك في سنة ٢٣٢هـ.[٣] ويبدو ان الرجل مات شهيداً في عهد الامام العسكري.[٤]

١٤ـ عبدالعزيز بن المهتدي بن محمّد بن عبدالعزيز الاشعري:

(قمي، ثقة، روى عن الامام الرضا، له كتاب).[٥] وفي رجال الطوسي (...

---

(١) رجال الشيخ «٨».

(٢) غيبة الشيخ الطوسي، ص ٢١٢ والرواية صحيحة السند.

(٣) رجال الكشي/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) الكشي ٤٩٤.

(٥) رجال النجاشي.

عبدالعزيز بن المهتدي اشعري، قمي...)[1]، وفي الكشي (... جعفر بن معروف، قال: حدّثني الفضل بن شاذان بحديث عبدالعزيز المهتدي، فقال الفضل: ما رأيت قمياً يشبهه في زمانه).[2] كاتب الامام الجواد، وقد خاطبه الامام (... غفر الله ذنبك ورحمنا واياك ورضي الله عنك برضائي عنك).[3]

فهذا الرجل كان معروفاً بالتدين والتقوى والعلم. انقاد للجواد وآمن بإمامته!! فهل كان ذلك عن فراغ أو حبّ ساذج؟

(٢)

نكتفي بهذا القدر ـ كنموذج ـ ... والآن:

كيف ننظر الى هؤلاء الاصحاب؟

في الحقيقة: لا ينبغي ان نتعامل معهم كأسماء متناثرة وشخوص عابرة. ان الموقف العلمي يستوجب التعامل معهم كمركب قيمي وعلمي واخلاقي؛ لأن هؤلاء يجمعهم إطار عقائدي مرقم و مشخّص، وتنتظم سلوكهم قيم كلفتهم الكثير. وقد جمعوا بين العلم والتقوى والخبرة. فيهم المفسّر والفقيه والراوية والشاعر والسياسي، من مناطق متعدّدة، قم والكوفة وبغداد والري، رووا عن الجواد بواسطة وغير واسطة، راسلوه وكاتبوه، حدّثوه وناظروه، قالوا فيه شعراً ونثراً، توكلوا عنه ودعوا اليه، وشكلوا معه ـ كما سنرى ـ كتلة شيعية متماسكة.

ترى ماذا نستظهر من هذه الحقائق؟!

امور كثيرة، من اهمها الحضور القيادي والعلمي للجواد. الحضور الموجّه والرائد، منذ الصغر ومن الصعوبة البالغة أن نعزو هذه الحركة الفاعلة الى

---

(١) المصدر، رقم (١٠) من اصحاب الرضا (ع).

(٢) الكشي: ٣٦٩.

(٣) ن.م.

رموز خفيّة، كانت تتخذ من الجواد ستاراً او غطاءً لأهداف شخصيّة أو أسريّة؛ لأنه على تقدير هذا الموقف، كان الجواد صبياً في فكره كما هو صبي في عمره، وبذلك لا يصلح غطاءً، وليس من ريب ان فرص التصدّع بهذا المركب المصنوع كثيرة، وقد تتهيّأ من داخله اكثر من ان تتهيّأ من خارجه، خاصّة ان عدد الشيعة آنذاك كثير ومتوزع، والعديد منهم اصحاب تجارب مرّة وقاسيّة وعميقة في موضوع الامامة وملابساتها المعقدة، ولم نعثر الى الآن على اعتراف او تصريح او تلميح من رموز هذا الترتيب يشير الى هذا الاحتمال.

واذا كان هذا او ذاك فريسة خداع مدبّر، فليس من المعقول ان يقع الجميع في هذا الفخ، وكان بعضهم من اصحاب الرضا بل ومن اصحاب الكاظم عليهما السلام. وابتغاء النفع المادي والوجاهي لا يتأتى من التستر ثمن عباءة رثة بالية، بل يحتاج الى ذلك الى وسيلة محكمة متقنة، وليس من ريب ان إمامة فارغة هو نوع من الانتحار لمن يتخذها آلة للفوز بمثل هذا النوع من المكاسب والمغانم.

الثقة الجوهريّة الاخرى في هذا الموضوع، ان الامام الجواد نفسه لم يكن بعيداً عن الانظار، بل هو في بغداد، يتصل به اصحابه، وطالما شوهد وهو خارج او داخل على السلطان، وقد اجاب عن الاسئلة ووزع الحقوق ودافع عن أمامته. فهناك تداخل حي فاعل بين الامام والوسط الشيعي. وفي مثل هذه الحالة من الصعب جداً ان يتصدّى الجواد وهو إمام متداعي الفكر والارادة.

ان ظاهرة الاصحاب اكثر من كونها مجموعة اسماء، بل هي مركب من قيم ومواقف وافكار ورؤى وفاعليات واستحقاقات، وتشكل في النهاية آليّة اكتشاف وتقييم ومحاكمة وموازنة، وبالتالي فهي دالّة خطرة ومنتجة. ومن الملاحظ في رجالات الأئمة الاطهار، انهم جزء فاعل في حركة الظاهرة، اي انهم فواعل داخلة في الصميم، وعليه من خلالهم وخلال ادوارهم يمكننا تسليط الضوء على حقيقة الامام ومدى موضوعيّة إمامته وقيادته. خاصّة اذا كان الامام ظاهراً للعيان، يشار اليه من الخاص والعام، فان الصحبة ستكون اقدر على اداء دورها الاختباري، وتتبلور المسألة اكثر اذا كان هؤلاء الاصحاب قد عانوا وضحّوا.

(٣)

ونحن اذا دققنا في تفاصيل العلاقة بين الامام وهؤلاء الأصحاب وجدنا انها تتحدّد في المقتربات المهمّة التالية.

الاولى: الايمان.

الثانية: الدعوة.

الثالثة: التلقي.

الرابعة: الطاعة.

نحاول هنا ان نستعرض بعض الروايات والمواقف والشواهد التي تدل من خلال تداخلها وتفاعلها على هذه المقتربات ذات الدلالة الكبيرة.

في الكافي (... عن علي بن ابراهيم عن أبيه ـ قال: كنت عند ابي جعفر الثاني عليه السلام، اذ دخل عليه صالح بن محمّد بن سهل، وكان يتولى الوقف بقم، فقال: يا سيدي! اجعلني على عشرة آلاف في حل فإني انفقتها، فقال له: انت في حل. فلما خرج صالح قال ابو جعفر عليه السلام: احدهم يثب على اموال حق آل محمد وأيتامهم ومساكينهم وفقرائهم وابناء سبيلهم فيأخذه ثم يجيء فيقول: اجعلني في حل، اتراه ظن اني اقول: لا أفعل؟ والله ليسألنهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالاً حثيثاً).[١]

والرواية صحيحة، وهي تكشف عن رقم مهم. إن زمام القيادة كان بيد الجواد، والاّ كان باستطاعة صالح ان يتصرف على هواه. ان يتحايل على هذه الحقوق باكثر من طريقة ووسيلة. ويبدو ان الوسط الشيعي آنذاك كان منضبطاً جداً، ومن الصعب ان تمرّ على الجواد مفارقة خطيرة من شأنها تفكيك هذا الوسط واستغلاله. هذا من جهة، ومن جهة اخرى، ان الامام الجواد كان هو

---

(١) الكافي ج١، باب الفيء والانفال/ ١٢٠ ح ٢٧.

الذي يدير هذه الاوقاف وهو المسؤول عن توزيعها، وهو على رأس الهاشميين، يسيّر شؤونهم واحوالهم وظروفهم واوضاعهم، فيما كان فيهم من هو اكبر سناً!!

في الكشي (طاهر بن عيسى الوراق، قال حدثني جعفر بن احمد بن ايوب، قال حدثني الشجاعي، قال: حدثني ابراهيم بن محمد بن حاجب، قال: قرأت في رقعة مع الجواد عليه السلام يعلم من سأل . عن السيّاري: انه ليس في المكان الذي ادّعاه لنفسه وألاّ تدفعوا اليه شيئاً).[1]

في السند: طاهر بن عيسى الوراق: مسكوت عنه.[2]

جعفر بن احمد بن ايوب: كان صحيح المذهب والحديث.[3]

الشجاعي: مجهول او لا ترجمة له.[4]

ابراهيم بن محمد بن حاجب: ليس له ترجمة.[5]

ومن الطبيعي لا يمكن التعامل باطمئنان مع هذه الرواية، ولكن نستفيد من قرينة خارجية انها قد تكون صحيحة، ذلك ان السياري كان ضعيفاً متهالكاً!

قال النجاشي: (احمد بن محمّد بن سيار.. كان من كتّاب آل طاهر، في زمن ابي محمّد عليه السلام ويعرف بالسياري ضعيف الحديث، فاسد المذهب).

قال الشيخ رحمه الله: (احمد بن محمّد... ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفو الرواية، كثير المراسيل).

فالرواية يمكن الاعتماد عليها ـ اذن ـ وهي تكشف عن ان الجواد كان على

---

(١) الكشي رقم ١١٢٨.

(٢) الخوئي ٥٩٩٢/٩.

(٣) النجاشي رقم ٣١٠.

(٤) منتهى المقال ج ٧/ ٤٢٦.

(٥) الخوئي ٢٥٦/١.

رأس الوسط، ويبدو ان ظاهرة السياري هذه تشير الى محاولة لاختراق الوسط؛ لأن السياري من رجال آل طاهر، وهؤلاء من اعوان السلطان والقوى النافذة في زمن المأمون.

ان هذه الرسالة او هذا الجواب يبين بشكل واضح اطلاع الجواد على مجريات الوضع داخل الوسط، كان عيناً ساهرة، يتابع مفاصل الجماعة وما يجري داخلها.

في الكشي (ابن مسعود، قال حدثنا حمدان بن احمد القلانسي، قال حدثني معاوية بن حكيم، عن احمد بن محمّد بن ابي نصر، عن حمدان الخصيبي، قال: قلت لأبي جعفر ان اخي مات، فقال لي رحم الله اخاك فانه كان من خصيص شيعتي.

قال محمد بن مسعود: حمدان بن احمد من الخصيص؟ قال: الخاصة الخاصّة.[1]

في السند: ابن مسعود هو: (محمّد بن عياش السلمي السمرقندي... ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة).[2]

معاوية بن حكيم: (ثقة، جليل في اصحاب الرضا، قال ابو عبدالله الحسين بن عبيدالله: سمعت شيوخنا يقولون: روى معاوية بن حكيم اربعة وعشرين اصلاً لم يرو غيرها).[3]

وكان هذا الرجل من العلماء وعلى مذهب الفطحيّة.[4]

حمدان بن احمد القلانسي، كوفي، فقيه، خيّر، ثقة، وهو محمد بن احمد

---

(١) الكشي/ ١٠٦٤.

(٢) النجاشي/ ٩٤٤.

(٣) النجاشي/ ١٠٩٨.

(٤) الكشي (٤٤١ ـ ٤٤٤)

النهدي.[١]

احمد بن محمد بن ابي نصر: ثقة معروف.

وابن مسعود انما كان يسأل حمدان بن احمد القلانسي عن حمدان الحضيني، فاجابه (الخاصّة الخاصّة) فالرواية صحيحة.

ماذا نفهم من هذه الرواية السريعة؟!

ان الشيعة كانوا يستفتون الجواد رأيه في الناس بما فيهم القريبون منهم، من أجل الاطمئنان على حالهم العقيديّة والدينية، فأي مرجعيّة دينية وقيادية ـ اذن ـ كان يمثلها هذا الامام من قلوب محبيه واتباعه واصحابه؟!

وجواب الامام «شيعتي» اشارة الى موقعه الرائد من الوسط، فهو ليس بالانسان العادي الذي يتهرب من المسؤوليّة، انه قائد ومسؤول.

هذا النص يكشف عن مدى التفاعل الحي بين الامام وشيعته.

في أصول الكافي (عدّة من اصحابنا عن احمد بن محمّد «بن عيسى[٢]» عن محمد بن الحسن بن ابي خالد شينوله قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام، جعلت فداك! ان مشايخنا رووا عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع)، وكانت التقية على اشدّها، فكتموا كتبهم، ولم تروَ عنهم فلما ماتوا صارت الكتب الينا، فقال: حدّثوا بها فانها حق).[٣]

والرواية سليمة السند. نعم فيه: محمّد بن الحسن بن ابي خالد القمي الاشعري، ففي نظر الخوئي انه لم تثبت وثاقته وحسنه،[٤] ولكن لم يرد ذم في الرجل. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى ان مضمون الرواية لا يتعرض الى

---

(١) الكشي/ ٢٩٧/٤٠٥.

(٢) معجم الخوئي ١٥/١٠٢٥٨، ص ١٢.

(٣) اصول الكافي، طبع دار التعارف، ج ١، باب ١٧، ح ١٥.

(٤) ١٥/ ١٠٤٥٨.

قضايا عقيدية أو شرعية حتى نتحرز من الاخذ بها، وهي تتطابق مع الواقع الذي نعرفه عن الشيعة ومعاناتهم، ولذا يمكن الركون اليها في الكشف عن حدث تاريخي، وفي الحقيقة نقول مرّة اخرى، ان التعامل مع الرواية على اساس السند الكامل التام الصافي على الحدث التأريخي كالذي نحن فيه.. ان مثل هذا التعامل الخيالي ينسف التاريخ من أساسه.

الرواية تؤكد المرجعية الفكرية في الوسط الشيعي آنذاك، وانه هو المسؤول عن تصميم الحديث وليس غيره، حيث قد يدعي البعض ان هناك جماعة خفيّة كانت تسيّر الجواد وتوجهه حسب مصالح مرسومة ومعدّة سلفاً، مثل هذا الافتراض، فضلاً عن انعدام كل مبرراته، هناك من الشواهد ما يتعارض ومنطوقه ومفهومه وكل استحقاقاته.

في الكافي (عدّة من اصحابنا، عن احمد بن محمّد عن ابن ابي نصر، قال: كتبت الى ابي جعفر عليه السلام: الخمس اخرجه قبل المؤونة او بعد المؤونة؟ فكتب: بعد المؤونة).[1]

فالوسط ـ اذن ـ كان يرجع الى الجواد كـ (مرجعيّة) لشرعيته، تحدد الحلال والحرام من احكام الله تبارك وتعالى. فلم يكن بينهم صبيّاً ينتظرون بلوغه او ولياً يحمل صفة القداسة المجرّدة! بل هو مصمّم وموجّه. مع العلم ان ابا النصر الذي يسأل الامام كان من اصحاب الرضا، وقد كتب في الفكر الشيعي، وهكذا مع الكثير من السائلين والراجعين اليه!!

ومن هذا القبيل كثير.

في الكشي (محمد بن مسعود قال: حدثني حمداني الزهري، قال: حدثنا ابو طالب القمي، قال: كتبت الى ابي جعفر بن الرضا يأذن لي ان اندب ابا الحسن

---

(١) زبدة الكافي، ج ١، ص ٦٢.

ـ اعني اباه ـ قال: فكتب: اندبني واندب ابي).[1]

محمد بن مسعود العياشي، ثقة، معروف، وحمدان الفهري، ثقة، خيّر، فقيه، بنص الكشي رقم (٤٠٥)، وابو طالب هذا، هو: عبدالله بن الصلت ابو طالب القمي، مولى بني تميم، ثقة، مسكون الى روايته بنص النجاشي.[2]

فالرواية صحيحة، ويروى عن القمي سند آخر، ففي الكشي (علي بن محمد قال: حدثني محمد بن عبدالجبار عن ابي طالب القمي، قال: كتبت الى ابي جعفر عليه السلام بأبيات شعر وذكرت فيها اباه وسألته ان يأذن لي ان اقول فيه فقطع الشعر وحبسه، وكتب في صدر ما بقي من القرطاس: قد احسنت فجزاك الله خيرا)[3]، ويبدو انها حادثة اخرى.

ومهما يكن فاننا نستفيد من الرواية الاولى ان العلاقة بين الامام وشيعته كانت انقياديّة، مطبوعة بالثقة والايمان والتصديق.

وفي الحقيقة: اننا هنا نورد نماذج سريعة في هذا الصدد. وهناك امثلة واقعية اخرى، جميعها تؤكد موضوعيّة الامامة المبكرة، وليس هناك اي اشارة الى كون هذه الامامة مصمّمة من خارجها، بل هي نتيجة جهد ذاتي، والاّ فعلى الطرف المقابل ان يضع لنا الاصبع على هذا الشخص او ذاك، من راوية أو سلطان او كاتب او تاجر، كان وراء هذا التصميم، بل نحن نطالب هذا المدّعي ان يشير الينا ولو اشارة عابرة الى المسؤول عن تعليم وتربية هذا الامام، وهو الذي فارق اباه منذ ان كان عمره اربع سنوات، ومات ابوه ولم يتجاوز سنه التاسعة!!

لقد عالج الجواد موضوع العلاقة بين العمر والعلم بنفسه، وكان يمارس

---

(١) الكشي (٤٨٥).

(٢) النجاشي/ ٥٦٤.

(٣) المصدر (٤٥٨).

قيادة الوسط بقابلياته وقدراته، واحتل مكان الصدارة والآمرة والموجِّهة.

لنأخذ نموذجاً آخر.

في اصول الكافي: (عدّة من اصحابنا، عن سهل بن زياد ومحمّد بن يحيى عن احمد بن محمّد، جميعاً، عن علي بن مهزيار، قال: كتب محمّد بن حمزة الغنوي اليّ يسألني ان اكتب الى ابي جعفر (ع) في دعاءٍ يعلمه ويرجو به الفرج، فكتب الي: أمّا ما سأل محمد بن حمزة من تعليمه دعاءً يرجو به الفرج فقل له: يلزم «يا من يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء، اكفني ما أهمّني مما انا فيه» فأني ارجو ان يكفي ما فيه من الغم ان شاء الله تعالى، فاعلمته ذلك، فما اتى عليه الاّ قليل حتى خرج من السجن).[1]

ولا توجد علامة على عمق التفاعل بين الامام والمأمومين كالطلب في الدعاء. انها اعمق من الظفر بالحكم الشرعي او التصور العقيدي، ذلك ان هذا الطلب يستبطن ايماناً روحياً صميمياً بالامام.

الرواية صحيحة السند، وعلي بن مهزيار هذا هو غير علي بن ابراهيم بن مهزيار، كما يتوهم البعض، والمعروف عن علي بن مهزيار انه كاتب وراو، وله صلات عميقة بالجواد، وكان فيما سبق من اصحاب الرضا، وفيما بعد من اصحاب الهادي، توكل لهم، واخلص، وخرجت الى الشيعة توقيعات الائمة بكل خير.[2]

ومن مثل هذا الامر، تعليم الدعاء، نماذج اخرى، وهي تبرهن على جوهر العلاقة الروحية بين الامام وشيعته، علاقة نابعة من ايمان وتصديق وخبرة. واركّز على النقطة الاخيرة؛ لأن الكثير من هؤلاء الاعلام اصحاب تجارب

---

(١) تقلا عن زبدة الكافي، ج ١، ص ١٤٨.

(٢) معجم الخوئي، ١٢/ ٨٥٢٩.

فكريّة وسلوكية على صعيد الامامة، فقد عانوا وجرّبوا، وكم هو سهيل يسيرا! ان يفتضح صبي في افكاره مع هؤلاء المجرّبين، وكم هو عسير عليهم استثمار صبوته وسذاجته! ان كانوا مغرضين طامعين ـ في وسط متشعب متعدّد متلون الافكار والارومات والاتجاهات؟!

اذن، العلاقة بين الامام وشيعته كانت قياديّة، روحية، نظمية، اي شاملة، ولم تقتصر على جانب واحد او اجراء مماثل.

(٤)

هذا من جهة، ومن جهة اخرى، نجد ان أعلام بني هاشم آنذاك كانوا منقادين للامام الجواد، وهذا بطبيعة الحال يصبّ في ظاهرة الامام المبكرة. ولأجل ان تتضح الصورة اكثر في هذا الاطار نستعرض بعض النماذج المهمّة في هذا المجال.

١. عبدالعظيم بن عبدالله بن علي بن الحسين بن زيد بن الامام الحسن بن الامام علي بن ابي طالب، ويلقب بالحسني لانتسابه الى الامام الحسن، والرازي لإقامته بمدينة الري، وهو المعروف بـ «شاه عبدالعظيم» وقبره في جنوب طهران. كان ممدوحاً عند الائمة، عالماً بالدين، متخفياً من السلطان، يروي كثيراً عن الامام الجواد بواسطة، وله معه مكاتبات طويلة، وهذا يظهر لنا ان هناك اتصالاً سرياً بين الجواد وهذا الرجل العابد؛ لأن محمد بن علي في سامراء وعبدالعظيم في الري، ومهما يكن من امر، كان عبدالعظيم في دائرة

الانتماء الى الجواد عليه السلام.[1]

٢. علي بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين (ع)، ابو الحسن، العريضي، سُمي كذلك لأنه سكن العريض من نواحي المدينة.

قال الشيخ الطوسي: (علي بن جعفر اخو موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم اجمعين، جليل القدر، ثقة، له كتاب المناسك، ومسائل لأخيه موسى الكاظم بن جعفر (ع) سأله عنها).[2]

هذا الرجل كان ثقة، عاملاً، عمّر اكثر من مئة سنة، هو اخو موسى بن جعفر، عم الرضا، فيكون بمثابة الجد للجواد، ورغم هذا كان في دائرة الانتساب اليه!! دافع عن قيادته وامامته بحرارة الايمان والتجربة.[3]

٣. داود بن القاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب/ ابو هاشم الجعفري.

قال النجاشي (كان عظيم المنزلة عند الائمة، شريف القدر، ثقة، روى ابوه عن أبي عبدالله عليه السلام).[4] وفي رجال الشيخ: (... شاهد جماعة منهم الرضا والجواد والهادي والعسكري...)[5]، وذكره في اصحاب الجواد (... ثقة جليل القدر)[6] ... كان شديد الصلة بأبي جعفر، له معه مكاتبات ورسائل، لصيقاً به، وقد تعرض للسطان، واعتقل، عرف بصلابة العود والموقف.

---

(١) معجم الخوئي ١/ ٦٥٨٠.

(٢) الرجال/ ٢٧٩.

(٣) المصدر، رقم: ٤١١.

(٤) المصدر (٢٧٨).

(٥) والمصدر (١)

(٦) الكافي ج ١، كتاب الحجة باب ١٣ ح (٢).

هذا الرجل من عيون بني هاشم، الاّ انه كان ضمن دائرة الانتماء العقيدي والفكري والتربوي التي اسسها الامام الجواد. وعرف بولائه وطاعته وانقياده، وله تراجم جيدة في كتب الرجال.

نكتفي بهذه النماذج للاشارة الى المقصود، فعموم الهاشميين كانوا في دائرة الانتماء لهذا الامام الطيب.

وبعد: فاعتقد ان الصورة اصبحت واضحة فيما يخص العلاقة بين الجواد والوسط الشيعي، آنذاك، انها علاقة ايمان وقدوة وانقياد، فقد كان يمثل رأس هذا الوجود، وهو العقل المدبر الذي يسيّر حركته بدقة واتقان، وسنرى علائم اخرى في هذا الميدان.

الفصل الخامس

نظام الوكالة الآفاق والدلالات

كان للشيعة تواجد في بغداد و سامراء والري وقم بل وحتى مصر، وهو تواجد يكاد يكون نسبيّاً. هذا ما نستفيده من الروايات. ومن الواضح ان هذا التواجد كان مضطهداً ومطارداً من قبل السلطات العباسيّة، ولاجل معالجة هذه الحالة الصعبة ولاجل تسيير شؤون الامامة على الصعيد القيادي والتوجيهي، اختط الائمة منهج الوكالة. وبدت معالم هذا المنهج بشكل اوّلي بسيط في زمن الامام الصادق، وقد اتخذ مستوى اعمق وأوكد في زمن الامام الكاظم، ولكن يبدو انه انفرط وتراخى في عهد الامام الرضا، وربما كان لولاية العهد وانعكاساتها دور في هذه النتيجة، الاّ ان هذا النظم تطور بدرجة جيّدة مع استلام الجواد لموضوعة الامامة. بحيث يمكن القول: كان هناك شبه تنظيم. واعتقد ان اسباب هذا التطور تتصل بتعقيدات الظروف السياسيّة والاجتماعية آنذاك، كما ان لها علاقة بمحاصرة الامام ومراقبته ومتابعته.

كان (الجواد) على رأس هذه التشكيلة، وقد بيّنا ذلك بالتفصيل، فهو الذي يجيب على الاسئلة الشرعية وهو الذي يستلم الحقوق ويوزعها، وكان يكاتب شيعته ويكاتبونه، وشبكة الوكالة هي عصب الحركة، وللجواد وكلاء نشطون، منهم[1]:

---

(١) نعتقد ان الوكالة بتعيين الامام وتوقيعه من علائم الوثاقة. ولا نرى ان التمييز بين التوثيق الحالي والتوثيق الخبري عمليّة منطقية في لغة الخطاب العادي، ان هذا التمييز من ثمرات ☜

١ـ ابراهيم بن محمّد الهمداني:

كان وكيلاً للامام ويبدو انه وكيله في همدان، وكانت بينه وبين الجواد مراسلات[1] ذات شأن خطير تتعلق بالاموال والوكالة وبعض المشاكل في الوسط الشيعي، بما في ذلك علاقته مع رجال السلطة التي لم تكن على ما يرام. ومن الجدير بالذكر، انه روى عن الرضا، كما انه كان وكيلاً عن الهادي فيما بعد.

٢ـ ايوب بن نوح بن درّاج:

كان وكيلاً للامام في الكوفة التي كانت تموج بالشيعة وحركاتهم وافكارهم. وقد سبق ان تحدّثنا عنه في فصل «الاصحاب».

٣ـ صالح بن محمد بن سهل:

كان متولياً للاوقاف بقم، وقد مضى الحديث عنه.

٤ـ صفوان بن يحيى البجلي السابري:

روى عن اربعين رجلاً من اصحاب الامام الصادق، وكان من المقرّبين لدى الكاظم، من وكلاء الرضا ثم الجواد.

٥ـ علي بن مهزيار الاهوازي:

كان وكيلاً للامام في الاهواز (كان ابوه نصرانياً فأسلم ... روى عن الرضا

☜ الفكر الارسطي، يتجاهل وحدة السلوك الاخلاقي والتأثير المتبادل بين عناصره، فالحال بمثابة خبر والخبر بمنزلة الحال، تداولهما يخضع لذات المعايير التي تحكم ضمير الانسان ووجدانه. نقول ذلك انطلاقاً من وحدة النظرية والممارسة. نعم قد يكون هناك تفاوت في اداء المهمّة من حيث الاتقان والتحمل من الوكالة على الحال الى حمل الرواية، ولكن ليس هناك قطيعة كما تفيد النظرية الاخرى.

(١) الكشي ١١٢٥، ١١٢٦.

وابي جعفر عليهما السلام، واختصّ بأبي جعفر الثاني، وتوكل له وعظم محلّه منه...).[1] وفي رجال الشيخ (... رحمه الله جليل القدر، واسع الرواية، ثقة، له ثلاثة وثلاثون كتاباً).[2]

هذه نماذج سريعة، ويمكننا ان نسجّل الملاحظات التالية:

الملاحظة الاولى: ان هؤلاء الوكلاء قد عرفوا بالتقوى والصلاح، ففي الكشي وهو يتحدث عن علي بن مهزيار (... وكان من اهل الهند، كان في قرية من قرى فارس، ثم سكن الاهواز، فاقام بها... كان اذا طلعت الشمس سجد، وكان لا يرفع راسه حتى يدعو لألف من اخوانه بمثل ما دعى لنفسه وكان على جبهته سجادة مثل ركبة بعير...)[3]، ويقول عن ايوب بن نوح (... كان من الصالحين)[4] وعنه نقرأ في النجاشي (... شديد الورع، كثير العبادة...)[5]، وعن صفوان جاء في النجاشي (... وكان شريكاً لعبدالله بن جندب وعلي بن النعمان، وروى انهم تعاقدوا في بيت الله الحرام، انه من مات منهم صلّى من بقي صلاته و صام عنه صيامه وزكى عنه زكاته، فماتا، وبقي صفوان، فكان يصلي في كل يوم مائة وخمسين ركعة، ويصوم في السنة ثلاثة اشهر، ويزكي زكاته ثلاث دفعات، وكل ما يتبرع به عن نفسه ما عدا ذلك يتبرع عنهما بمثله...).[6] وهذا ابراهيم بن محمّد الهمداني، فقد (حجّ اربعين حجّة).[7]

---

(١) النجاشي/ ٦٦٤.

(٢) الفهرست رقم ٣٧٩.

(٣) المصدر «٤٢٢».

(٤) رقم (٤٦٦).

(٥) المصدر ٢٥٤.

(٦) المصدر ٥٢٤.

(٧) الكشي «٥٠٤».

هذا هو ديدن اكثر واغلب الوكلاء، الامر الذي يدعو الى تفسير ظاهرة انقيادهم للامامة المبكرة على اساس الرؤية الثاقبة، ومن منظور التقوى الصادقة.

الملاحظة الثانية: ان هؤلاء الوكلاء اصحاب تجارب جيّدة في الحياة والفكر والممارسة العمليّة. فمنهم من كان وكيلاً عن الرضا، ومنهم رواة عن الكاظم والرضا، ومنهم من امتدت وكالته الى الهادي، اشتغلوا في التجارة والقضاء، وكانوا على علاقة حذرة مع السلطة.

الملاحظة الثالثة: ان هؤلاء الوكلاء كانوا تحت رقابة اجتماعية دقيقة، نفهم ذلك من الشواهد التالية:

الاول: ما تذكرناه من امر «ابراهيم بن محمّد الهمداني»، فقد كان بامكانه مصادرة ذلك المبلغ بوسيلة واخرى، ولكن ـ يبدو ـ انه كان يخاف الرقابة! رقابة الشيعة واصحاب الحقوق.

الثاني: ما كان يشاع عن «ايوب بن نوح بن دراج النخعي»، فقد جاء في الكشي (... كان من الصالحين مات ولم يخلف الاّ مقدار مئة وخمسين ديناراً، وكان عند الناس ان عنده مالاً كثيراً لانه كان وكيلاً لهم...).[١]

فهو كان تحت الرصد والاشارة بسبب «الوكالة» هذه. ومن الاشارة المذكورة نستطيع ان نكون فكرة معمقة عن اهمية وكالتهم ودورها، بل عن الثقل الحركي للامام الجواد آنذاك. ولذا نعتقد ان الوكالة كانت أمنية، وانها تكليف وليس تشريفاً، واستحقاقاتها خطيرة وقاسية، ولذا، ليس غريباً ان تجاهد السلطة من اجل معرفة الوكلاء، وبالتالي ليس غريباً ان يتعرّض الكثير منهم الى الاستجواب والعقاب.

الملاحظة الرابعة: كانت العلاقة بين هولاء الوكلاء جيّدة، ولم تشهد حالات من التوتر الاّ في حدود نسبيّة، وهنا نذكر، أن هناك رواية تقول بطعن «صفوان

---

(١) الكشي ٤٦٦.

بن يحيى» بـ «يونس بن عبدالرحمن» استناداً الى تقييم الرضا، وهي رواية ضعيفة لانها مرسلة.[1] وما يقال عن ايقاع «ايوب بن نوح» بـ «يونس» (انما لم يثبت وانما هو يذكر عنه)[2]، وكل ما ورد من هذا القبيل اثبت العلماء كذبه وزيفه، وانه من اعمال الكذابين والدساسين.

الملاحظة الخامسة: ان هؤلاء الوكلاء كان بأمكانهم الارتزاق على اعتاب السلطة والاعتياش بطرائق كثيرة، وذلك لما يملكون من قابليات فكرية ونظميّة، ولا يوجد اي مبرّر موضوعي ـ اذا كانوا ثلة من الانتهازيين والكاذبين ـ ان يسلكوا هذا الطريق الصعب، الذي ثبت انه قد يؤدي باصحابه الى التهلكة. وهذا ما حصل فعلا في أحيان كثيرة.

الملاحظة السادسة: ان كل واحد من هؤلاء الوكلاء تشرّف بلقاء الامام الجواد واجرى معه حواراً، واستلم منه مباشرة الاحكام الشرعية والنصائح العمليّة، فهي ليست وكالة من بعد بل وكالة من قرب.

الملاحظة السابعة: لم نعثر على اي وكيل للأمام الجواد من الهاشميين، وهذا يدل اكثر على تماسك النظم وخضوعه لمعايير موضوعيّة، وهي نقطة مشرقة في هذا النظم المبارك، فنحن نعلم ان اكثر النقاط التي تثار في قضايا النظم الحركي والفئوي والجماعي اعتماد المعايير الشخصيّة، فهي نقطة ضعف قاتلة، قد تهدّد بفك الكيان كله، ولعل من الاسباب التي كانت تمدّ هذا النظم بعوامل الفاعلية والاستمرار هو هذه الميزة الرائعة الطيبة.

الملاحظة الثامنة: يبدو من خلال استمرار النظم وتقادمه، ومن مراجعة الروايات ذات العلاقة بهذا الشأن.. يبدو من كل هذه المقتربات ان الشيعة كانوا مطمئنين الى هؤلاء الوكلاء، ولذا يوصلون عن طريقهم الحقوق الى الامام،

---

(١) معجم الخوئي ٢٠/ ١٢٨٣٤، ص ٢١٣.

(٢) ن.م. ص ٢١٣.

وبواسطتهم تخرج التوقيعات، فمن الواضح ان هناك علاقة ثقة متبادلة بين الجواد والوكلاء والوسط.

نكتفي بهذه الملاحظات لنقول: حقاً ان نظام الوكالة يسترعي الانتباه، وينبغي دراسته ليس على صعيد دقة النظم واهميته فحسب، بل اضافة الى ذلك على صعيد دلالاته المعنوية من اخلاص وايمان وحب وتفاني في سياق ارتباطه العضوي بعمق التشيع وتطوره الطبيعي، الذي لا يظهر عليه التصنع والتكلف.

لقد ادّى هؤلاء الوكلاء ادواراً مهمّة، منها:

١ـ قبض الحقوق الشرعية وايصالها الى الامام.

٢ـ الدعوة الى هذا «الامر».

٣ـ اخراج التوقيعات بين الشيعة والامام.

٤ـ محاربة الغلو وفضح الانحرافات في ضوء الفكر الشيعي الأصيل.

٥ـ القيام بمهمات عاجلة.

وكما قلنا: ان الجواد كان على رأس الكيان، ونتحدى اي محاولة لاثبات العكس، وسوف ندرس وصيته على امامة الهادي في دراسة عن حياة هذا الامام الزكي.

ملاحظة ختامية

كان بودي ان ادرس الاحكام الشرعية، والمواعظ الاخلاقية التي وردت عن الامام واعمل مقارنة بين مضمونها ومجمل حياة الرجل العظيم، لكي نكشف مديات التطابق والانسجام في شخصية هذا الانسان الزاهد، ولكن هذا يحتاج الى جهد كبير غير قادر عليه الآن.

الباب الثاني

الامام الهادي (ع)

الفصل الاول
حياته وسيرته

(١)

اكثر المصادر تذهب الى انه ولد، سلام الله عليه، سنة ٢١٢ هـ. نصّ على ذلك صاحب المناقب واعلام الورى وروضة الواعظين وكشف الغمة. وفي الكافي (ولد عليه السلام للنصف من ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة ومائتين، ومضى لاربع بقين من جمادي الآخرة سنة ٢٥٤هـ...)[١] وهناك رأي بأن الولادة المباركة كانت سنة ٢١٤ هـ كما في كشف الغمة وغيرها من المصادر الاخرى. وعلماء السنة يرجحون التاريخ المتأخر. ولكن نظراً لامضاء الكليني والمفيد،[٢] فاننا نرجح هذا الرأي، بصرف النظر عن الشهر الذي ولد فيه، والذي يتراوح بين رجب وذي الحجّة، كذلك اليوم، فيكون عمره الشريف قرابة اثنتين واربعين سنة، كان قد تولى الامامة بعد وفاة ابيه الجواد سنة ٢٢٠هـ، وبذلك تكون مدتها أربعة وثلاثين عاماً او ما يقارب ذلك.

قال في اعلام الورى (وكانت في ايام أمامته بقية ملك المعتصم، ثم ملك الواثق خمس سنين وسبعة اشهر، ثم ملك المتوكل اربع عشرة سنة، ثم ملك ابنه المنتصر ستة اشهر، ثم ملك المستعين ـ وهو احمد بن محمّد بن المعتصم ـ

---

(١) اصول الكافي، ج ١، ص ٤٩٧.

(٢) الارشاد، ج ٢، ص ٢٩٧.

سنتين وتسعة أشهر، ثم ملك المعتز ـ وهو الزبير بن المتوكل ثماني سنين وستة أشهر...).[1]

كانت ولادته في (صريا) من المدينة المنورة، و(صريا) هذه قرية أسّسها الامام موسى بن جعفر عليه السلام على بعد ثلاثة أميال من المدينة،[2] وقد بقي فيها حتى استقدمه المتوكل الى عاصمته سامراء سنة ٢٤٣هـ، وسنأتي على بيان السبب، وبقي في سامرا حتى وافته المنيّة، حيث مكث فيها (عشر سنين وأشهرا)[3]، ولكن ابن شهرآشوب في المناقب يقول (ومدّة مقامه بسر من رأى عشرون سنة)[4]. ومال الى ذلك الشهيد محمّد الصدر اعتماداً على المصدر المذكور، ولكن توقيع الرسالة التي بعث بها المتوكل الى الامام لغرض استدعائه مؤرخ سنة ٢٤٣هـ كما في الارشاد. وفي تصوري هذا اكثر دقة وترجيحاً، وعليه نفهم، ان الامام مكث في المدينة احدى وثلاثين سنة من عمره الشريف. ولقد سجّل المؤرخون هذا الاستدعاء. ففي اليعقوبي (وكتب المتوكل الى علي بن محمد بن الرضا بن موسى بن جعفر بن محمّد في الشخوص من المدينة. وكان عبدالله بن محمّد بن داود الهاشمي قد كتب يذكر ان قوماً يقولون إنه الامام، فشخص من المدينة، وشخص يحيى بن هرثمة معه حتى صار الى بغداد، فلما كان بموضع يقال له الياسريّة نزل هناك، وركب اسحق بن ابراهيم لتلقيه، فرأى تشويق الناس اليه واجتماعهم لرؤيته، فاقام الى الليل، ودخل به في الليل، فاقام ببغداد بعض تلك الليلة، ثم نفذ الى سرّ من رأى).[5] ولكن المصادر

---

(١) المصدر، ج ٢، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) مناقب آل ابي طالب ٤: ٣٨٢.

(٣) الارشاد، ص ٣١٢.

(٤) المصدر، ج ٤، ص ٤٠١.

(٥) اليعقوبي، ج ٢: ٤٨٤.

الشيعية الخاصّة تفصل في الموضوع أكثر. ففي إرشاد المفيد (وكان سبب شخوص أبي الحسن عليه السلام إلى سرّ من رأى: أن عبدالله بن محمّد كان يتولى الحرب والصلاة في مدينة الرسول عليه السلام، فسعى بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل، وكان يقصده بالأذى، وبلغ أبا الحسن سعايته به، فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبدالله بن محمّد ويكذّبه فيما سعى به، فتقدم المتوكل باجابته عن كتابه ودعائه إلى حضور العسكر على جميل من الفعل والقول)[1].

وكانت الرسالة التي بعث بها المتوكل إلى الإمام رقيقة جداً، تفيض بالمشاعر الجيّاشة والعواطف الحارّة، يؤكد فيها براءته. وقد أقال عبدالله بن محمّد وأقام مكانه محمّد بن الفضل، يرجح له النزوح إلى سامراء اشتياقاً وحباً. ومما جاء في الرسالة (وأمير المؤمنين مشتاق إليك، يحب احداث العهد بك، والنظر إليك، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت، شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك، على مسهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت، وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت... فاستخر الله حتى توافي أمير المؤمنين، فما أحد من اخوته وولده وأهل بيته وخاصّته ألطف منه منزلة، إلاّ أحمد له أثرة، ولا هو لهم أنظر، وعليهم أشفق، وبهم أبرّ، وإليهم أسكن، منه إليك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته)[2].

ويرى الكتّاب الشيعة أن هذا الاستدعاء ليس بريئاً، وان المتوكل استغلّ شكوى الإمام من واليه في المدينة لاستقدامه، وذلك لغرض مراقبته والتضييق عليه والتقليل من خطره، بل ان المصادر الشيعية تذهب الى أن المتوكل كان يتحيّن الفرص للفتك بالإمام (واقام أبو الحسن عليه السلام مدّة مقامه بسرّ من رأى،

---

(١) الارشاد، ج٢، ص٣٠٩.

(٢) ن.م، ص٣١٠.

مكرماً في ظاهر حاله، يجتهد المتوكل في ايقاع حيله به فلا يتمكن من ذلك...)[1].

وفي الحقيقة من الصعب ان نفسّر هذا الاستقدام حباً وشوقاً، وانما هو لاهداف سياسيّة، فالمتوكل رجل دولة ويحسب للامور حسابها، ولكن هناك جملة اسباب موضوعيّة تستبعد المبّرر اللاانساني والعاطفي لهذا الاجراء، منها: ان المتوكل في الاساس كان معادياً للعلويين، ففي سنة ست وثلاثين امر بهدم قبر الحسين، وهدم ما حوله من الدور، وان يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته وخرّب وبقي صحراء)[2] ، خاصة وان المتوكل كان قمعياً ، فقد خرّب حملة الفكر النقلي، وصادر حريّة الرأي وقمع دعاة النظر العقلي، بل كان أوّل من تمذهب من الخلفاء، حيث اعتنق المذهب الشافعي[3]. وقد بالغ في مطاردة العلويين، فقد كان (... شديد الوطأة على آل ابي طالب، غليظاً على جماعتهم، مهتماً بامورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واستعمل على المدينة ومكة عمر بن فرج الرخجي فمنع آل ابي طالب من التعرّض لمسألة الناس. ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه ان احداً برّ احداً منهم بشيء، وان قل، الاّ أنهكه عقوبة واثقله غرماً، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويّات، يقيلهن فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقّعنه، ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر...)[4]. وقد يكون في هذا التصوير شيء من المبالغة، ولكنه لا ينفي بالتالي، ان المتوكل كان شديداً على العلويين. ولعلّ من علائم ذلك ان الثورات العلويّة كثرت في عهده، احصاها الشهيد محمّد الصدر باكثر من عشر، بشكل متوالي ومتسارع. وقد ادت هذه السياسة الظالمة الى تشتت العلويين في الامصار

---

(١) ن.م. ص ٢١١.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٣٤٧.

(٣) ن.م. ص ٢٥٢.

(٤) مقاتل الطالبيين، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

والنواحي[1]، بعد ان كانوا مجتمعين في سامراء زمن الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢) حيث (تدرُ الارزاق عليهم حتى تفرقوا في ايام المتوكل)[2]. فهذا الاستدعاء كان في سياق هذه السياسة، سياسة المطاردة والحصر والمضايقة والتجويع. ولا يُستبعد ان المتوكل استدعى الامام لانه كان ذا منزلة مؤثرة في المدينة المنورة. فان هناك اكثر من اشارة تفيد انه احتل موقعاً كبيراً في قلوب الناس، وهذا ما نستفيده من نص اليعقوبي بوضوح، وذلك عندما نزل «الياسرية». وهذا الامر الذي شخّصه بدقة المؤرخ ابن السبط الجوزي (قال علماء السير: وانما اشخصه المتوكل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى بغداد، لان المتوكل كان يبغض علياً وذريّته، فبلغه مقام علي بالمدينة، وميل الناس اليه، فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة وقال: اذهب الى المدينة، وانظر في حاله واشخصه الينا، قال يحيى: فذهبت الى المدينة، فلما دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً، ما سمع الناس بمثله، خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق، لانه كان محسناً اليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل الى الدنيا...)[3]. فالاستدعاء هو جزء من خطة كان قد اتبعها المتوكل، ترمي الى تشتيت العلويين وتفريق شملهم، وحصار كبارهم وزعمائهم. ومن الطبيعي ان يختلف الاسلوب مع الامام الهادي، لانه كان صاحب موقع في ضمائر المسلمين، خاصة شيعته واهل الحجاز، على ان هناك امراً ملفتاً للنظر، ذلك ان المتوكل كان يظهر للناس احترامه واعتزازه بالامام، واعتقد ان ذلك تغطية لما كان يفعله من اضطهاد بحق العلويين والشيعة، اي ان المتوكل يتستر بهذه السياسة الظاهرية للتغطية على الوجه الثاني من سياسته، وهذا موقف مدروس، يدل على حنكة ودهاء.

---

(١) ن.م ص ٤٠٦.

(٢) ن.م. ص ٢٩٤.

(٣) تذكرة الخواص، ٢٥٩.

بعد هذا العرض يمكننا ان نقول، ان هناك اكثر من هدف للمتوكل من هذا الاستقدام منها:

١ ـ الإمعان في تشتيت وتفريق العلويين وملاحقة رموزهم بالمراقبة والمضايقة.

٢ ــ الحيلولة دون التفاعل المباشر بين الامام والمسلمين، خاصّة في المدينة المنوّرة.

٣ ـ استخدام ذلك، خاصة مع التكريم الظاهري للتستر على سياسة الاضطهاد التي كان يمارسها الخليفة بحق العلويين والشيعة، وسوف نتحدث عن هذه النقطة لاحقاً.

(٢)

تجهز الامام وخرج من المدينة بصحبة ولده العسكري متوجهاً الى بغداد تحت رقابة يحيى بن هرثمة، فهو المكلف باستقدامه. وذلك بعد ان قام بتفتيش البيت بدقة، فلم يجد سوى المصاحف وكتب اوراد وادعية،[١] وهذا يؤكد خوف المتوكل من الامام، وكانت هناك اربع محطات في رحلته القسريّة هذه، نحاول ان نستجلي بعض الوقائع المهمّة التي حصلت خلال هذه المحطات.

الاولى: المدينة المنوّرة، اي مقام الامام عليه السلام، ومن ابرز ما يلفت النظر هنا، هو احتجاج او قلق اهل المدينة في خصوص المصير الذي ينتظر الهادي من هذا الاستدعاء، ولم يهدأ روعهم الاّ بعد ان طمأنهم يحيى بن هرثمة (... ضجّ اهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي ... قال يحيى: فجعلت اسكتهم، واحلف لهم، اني لم اؤمر فيه بمكروه، وانه لا بأس عليه...).[٢]

---

(١) مروج الذهب، ج ٤، ص ١١٣.

(٢) تذكرة الخواص، ص ٣٥٩.

الثانية: كانت كانت المحطة الثانية هي «الياسريّة»، وقد ذكر اليعقوبي ان الناس اجتمعوا هناك لرؤيته شوقاً، الامر الذي دعا هرثمة ان يتركه هناك الى الليل، ولم ينزح به الى بغداد الاّ في الليل خوفاً من تكرار هذه الظاهرة.

الثالثة: كانت المحطة الثالثة (بغداد)، وقد جاء في مروج الذهب للمسعودي (... عن يحيى بن هرثمة قال... فلما قدمت مدينة السلام بدأت باسحق بن ابراهيم الطاهري وكان على بغداد، فقال: يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله (ص)، والمتوكل من تعلم، وان حرّضته عليه قتله، وكان رسول الله (ص) خصمك، فقلت: والله! ما وقفت منه الاّ على امرٍ جميل...)[1]. وهذا النص يكشف عن مدى المنزلة التي كان يمثلها الامام الهادي في الضمير الإسلامي آنذاك، حتى على صعيد الحكام والنافذين.

الرابعة: سامراء، وهي المحطة الاخيرة، ويحدثنا المسعودي نقلاً عن يحيى بن هرثمة (... فصرت الى سامراء، فبدأت بوصيف التركي وكنت من اصحابه، فقال لي: والله! لئن سقط من راس هذا الرجل شعرة، لا يكون الطالب بها غيري، فتعجبت من قولهما ـ الطاهري ووصيف ـ وعرّفت المتوكل ما وقفت عليه من أمره، وسمعته، من الثناء فاحسن جائزته واظهر برّه ومكرمته)[2]. وفي الحقيقة: ان مما يدعو للاستغراب اهتمام هذين الرجلين بالامام الهادي، ترى ما هو السبب؟!

هل هذا الخلق الجميل الذي ظهر منه عليه السلام؟! ام لانه ابن رسول الله حقاً؟ ان هذين الرجلين لا يقيمان وزناً لمثل هذه الاعتبارات، واعتقد ان السبب أبعد، فان استدعاء الامام كان لغرض ستراتيجي يتعلق بسياسة المتوكل. كان المتوكل حريصاً على وصول الهادي سالماً مكرّماً، وكان حريصاً على ابقائه حيّاً

---

(١) مروج الذهب، ج ٤، ص ١١٣.

(٢) ن.م. ص ١٩٣.

تحت ناظره وفي رعايته، ليس ارضاءً للعلويين كما هو هدف المأمون من استقدام الرضا ـ ولا حباً وشوقاً كما كتب اليه ـ وانما كي يتستر بذلك على سياسته القمعيّة مع الشيعة والعلويين، فضلاً عن ان قتله لا ينفعه، لانهه ليس كباقي العلويين، وبالفعل، فان حصيلة الاخبار تفيد، بان المتوكل كان يكرّم الامام بمقدار ما كان يقمع آل ابي طالب وشيعتهم. من الطبيعي لا استبعد الرأي الذي يعتقد، ان الاستدعاء كان لغرض ابعاد الامام عن اهله وشيعته ومحبيه، ولكن هذه السياسة المزدوجة التي اشرنا اليها تؤكد ايضاً الرأي الذي ذكرته.

هنا نلتقي بحادثة مهمّة ... ففي الارشاد ان المتوكل قرّر بان يمتنع عن ملاقاة الامام فور وصوله سامراء، فأنزل الامام (... في خان يُعرف بخان الصعاليك واقام فيه يومه، ثم تقدم المتوكل بافراد دارٍ له، فانتقل اليها...).[1] ولهذا اصل يرويه الكليني، اذ جاء في اصول الكافي (الحسين بن محمّد عن مُعلّى بن محمّد عن احمد بن محمّد بن عبدالله، عن محمّد بن يحيى، عن صالح بن سعيد قال: دخلتُ على ابي الحسن (ع)، فقلت له: جعلت فداك! في كل الامور ارادوا اطفاء نورك والتقصير بك، حتى انزلوك هذا الخان الاشنع، خان الصعاليك؟! فقال: هاهنا انت يا ابن سعيد؟ ثم اومأ بيده وقال: انظر فنظرت، فاذا انا بروضات آنقات وروضات باسرات، فيهن خيرات عطرات، وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون واطيار وظباء وانهار تفور، فحار بصري، وحسرت عيني. فقال: حيث كنا فهذا لنا عتيد، لسنا في خان الصعاليك).[2] واخذهما المفيد عن الكليني.

هذه الرواية محل نظر للاسباب التالية:

---

(١) ارشاد المفيد، ج ٢، ص ٣١١.

(٢) اصول الكافي، ج ١، ص ٤٩٨.

اولا: السند. اذ فيه (مُعلّى بن محمّد). ففي النجاشي (... ابو الحسن مضطرب الحديث والمذهب).[1] وقد وثقه السيد الخوئي لوقوعه في سند كامل الزيارات، ولكنه (رحمه الله) عدل عن ذلك. وفيه ايضاً (احمد بن محمّد بن عبدالله)، لم يرد فيه مدح او ذم.

ثانيا: ان الرواية (معجزة) او (كرامة) وهذا ما لا يثبت بحديث آحاد.

ثالثا: لم ترد الرواية في اكثر مصادر التاريخ العام التي تعرّضت لخبر الاستقدام.

رابعا: من المستبعد ان يصدر هذا السلوك عن المتوكل في اول يوم ينزل به الامام سامراء، وكان حريصاً على تهدئته وطمأنته، ربما يصح مثل هذا التصرف بعد فترة، أمّا في هذه العجالة، فهو ليس من دلائل اللياقة السياسية، ولا من ضرورات المصلحة التي تصب في صالح الخليفة، اللهم الاّ كان ذلك لظرف طارئ وهو ما لا نعرف له وجهاً.

يشير المفيد الى ان المتوكل انزل في اليوم التالي الامام في دار أفردها له.[2] ويصف ابن الصباغ المالكي بقوله (ثم ان المتوكل أفرد له داراً حسنة، وانزله أياماً).[3] ويذكر ابن السبط الجوزي ان المتوكل اكرم الامام (وانزله معه سرّ من رأى)،[4] ولم يتطرق الى قضية الخان هذه، كذلك لم يرد لها اثر في مروج الذهب، ومهما يكن فهي رواية ضعيفة السند.

جاء في تاريخ بغداد (وفي هذه السنة ـ ٢٥٤هـ ـ توفي علي بن محمّد، ... في

---

(١) النجاشي رقم (١١١٧).

(٢) الارشاد، ص ٣١١.

(٣) الفصول المهمّة، ص ٢٨١.

(٤) تذكرة الخواص، ص ٣٥٩.

داره التي ابتاعها من دُليل بن يعقوب النصراني...)،[1] وهذا يعني ـ اذا صحت الرواية ـ ان الامام عليه السلام نزل اولاً في دارٍ استأجرها او هيّأها له المتوكل، ثم انتقل الى دارٍ اشتراها من ماله الخاص.

(٣)

نريد في هذه الفقرة ان نتتبع موقف المتوكل العبّاسي من الامام عليه السلام، أو بعبارة أكثر دقة، نريد استجلاء العلاقة بين الطرفين، وللاسف الشديد إن المعلومات التاريخية لا تسعفنا بالكثير، كما انها ان وجدت فهي في مصادر التاريخ الشيعي ــ ان سُمّيت مصادر بالمعنى التاريخي العلمي ــ ولا تفوتنا ملاحظة مهمّة في هذا الصدد، ان الامام عليه السلام عاصر اكثر من خمسة خلفاء من بني العباس، ولكن المعلومات المتوفرة لدينا على ندرتها، لا تتطرق الاّ لموضوع العلاقة بين الامام والمتوكل.

الاتجاه العام للمعلومات المتوفرة يؤكد ان العلاقة سلبيّة، ومصدر السلبيّة هو «المتوكل». ففي الارشاد: (واقام ابوالحسن عليه السلام مدّة مقامه بُسرّ من رأى مكرماً في ظاهر حاله يجتهد المتوكل في ايقاع حيله به، فلا يتمكن من ذلك...)[2]، فاعتماداً على هذا النص، كان المتوكل ينتهج سياسة مزدوجة ظاهرها التواصل الايجابي مع الامام، وباطنها الايقاع به. وفي هذا يقول ابن الصباغ المالكي: (فاقام ابو الحسن مدّة مقامه بسر من رأى مكرماً معظماً مبجلاً في ظاهر الحال، والمتوكل يبتغي له الغوائل في باطن الامر، فلم يقدره الله عليه)[3]. ويستشهد المؤرخون الشيعة على ذلك ببعض الحوادث والوقائع، التي

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/٥٧.

(٢) الارشاد، ج ٢، ص ٣١١.

(٣) الفصول المهمّة، ص ٢٨١.

تبدو بكل صراحة انها محاولات محمومة من المتوكل، يبغي من ورائها الايقاع بالامام.

الحادثة الاولى:

يرويها الكافي: (الحسين بن الحسن الحسيني قال: حدّثني الطيب المثنى يعقوب بن ياسر قال: كان المتوكل يقول: ويحكم! قد اعياني أمر ابي الرضا، أبى ان يشرب معي او ينادمني أو أجد منه فرصة في هذا، فقالوا له: فان لم تجد منه، فهذا اخوه موسى قصّاف عزّاف، يأكل ويشرب ويتعشق، قال: ابعثوا اليه فجيئوا به حتى نموّه به الناس، ونقول: ابن الرضا، فكتب اليه وأشخص مكرّماً، وتلقاه جميع بني هاشم والقواد والناس على انه اذا وافى اقطعه قطيعة، وبنى له فيها وحوَّل الخمارين والقيان اليه، ووصله وبرّه وجعل له منزلاً سرياً، حتى يزوره هو فيه...)[1]. وتمضي الرواية لتقول: ان الامام عليه السلام تلقى اخاه المخدوع هذا في (قنطرة وصيف)، فحذّره من المؤامرة، وكشف له عن أبعادها الخبيثة، ولما سأله اخوه عمّا يفعل اذا دعاه، فخبّره الامام (ع) (أما ان هذا مجلس لا تجتمع انت وهو عليه ابداً...)[2] وتأتي النبوءة صادقة مؤكدة (فاقام ـ أي موسى ـ ثلاث سنين، يبكّر كل يوم، فيقال له: قد تشاغل اليوم فرح فيروح، فيقال: قد سكر فبكّر، فيبكر، فيقال: شرب دواء، فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل المتوكل ولم يجتمع معه).[3]

الرواية ضعيفة، لجهالة (ابو الطيب المثنى يعقوب بن ياسر)[4]، كما ان

(١) الكافي ، ج ١، ص ٥٠٢، ح ٢٨١ ورواها الارشاد ج، ٢، ص ٣٠٧.

(٢) الكافي ، ج ١، ص ٥٠٢، ح ٢٨١ ورواها الارشاد ج، ٢، ص ٣٠٧.

(٣) الكافي ، ج ١، ص ٥٠٢، ح ٢٨١ ورواها الارشاد ج، ٢، ص ٣٠٧.

(٤) معجم السيد الخوئي، ج ٢٠، ص ١٤٦ في ترجمة (يعقوب بن ياسر).

(الحسين بن الحسن الحسيني) لم يرد فيه توثيق سوى قول الطوسي (فاضل)[1]، وهذا لا يكفي. واعتقد ان في المتن ما يدعو الى التشكيك في الرواية، فليس الناس بهذه السذاجة، بحيث لا يفرقون بين الامام القائم بينهم واخيه الوافد عليهم، بل ان المتوكل نفسه ليس بهذه السذاجة بحيث يوافق على مثل هذا الاقتراح العقيم. واعتقد ان ثلاث سنوات من التسكع على باب المتوكل بلا نتيجة أمر خارج عن دائرة المعقول، وهو سلوك لا يصدر من متعجل على ملاقاة الخليفة!!

ان هذه الرواية لا تصلح للاستدلال التاريخي.

الحادثة الثانية:

يروي الكليني (عن علي بن محمّد، عن ابراهيم بن محمّد الطاهري) معجزة للامام الهادي عليه السلام، ومما ألحق بالرواية قوله (... فلما كان بعد ايام ـ اي بعد أيام من حصول المعجزة ـ سعى البطحائي بابي الحسن عليه السلام الى المتوكل، فقال: عنده سلاح واموال، فتقدم المتوكل الى سعيد الحاجب ان يهجم ليلاً عليه، ويأخذ ما يجد عنده من الاموال والسلاح ويُحمل اليه. فقال ابراهيم بن محمّد: قال لي سعيد الحاجب: صرت الى دار ابي الحسن بالليل ومعي سُلّم، فصعدتُ الى السطح، ونزلت من الدّرجة الى بعضها في الظلمة فلم أدر كيف أصل الى الدار فناداني ابو الحسن عليه السلام من الدار: يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة...)[2]، وتختص الرواية فتفيد ان ابن الحاجب دخل البيت او البيوت، وفتشها تفتيشاً دقيقاً، فلم يجد سلاحاً ولا مالاً، ووجد تحت مصلاه درّة مختومة بخاتم ام المتوكل، كانت قد نذرتها اذا شفي

---

(١) رجال الشيخ ـ من لم يرو عنهم ـ رقم (٥).

(٢) الكافي ج ١، ص ٤٩٩١، ح (٦).

المتوكل من مرضه، وهو ما حصل على يد الامام ـ المعجزة المشار اليها في صدر الرواية..

أن اول ملاحظة على هذه الرواية تكمن في سندها، فان مصدرها الذي هو (ابراهيم بن محمّد الطاهري) مجهول الحال، لم يمدح ولم يذم، ولو صحّت الرواية فان السبب فيها هو الواشي، اي «البطحائي». ولكن من هو هذا الرجل؟! انه (ابو عبدالله محمّد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن اميرالمؤمنين، فهو من العلويين اساساً، وكان الموما اليه وابوه وجده من المظاهرين لبني العباس على سائر اولاد علي بن ابي طالب!!

بل ان الجد (الحسن بن زيد) كان امير المدينة من قبل ابو جعفر المنصور، وبالتالي، فان العمليّة برمتها كانت تعبر عن صراع داخل البيت العلوي، ونحن نتعامل مع سلوك المتوكل في هذا الموقف من منطلق رجل السياسة، لا اعني هنا براءة المتوكل، بل هو ظالم معروف، ولكن التحليل التاريخي لا يسمح لنا بادراج الحادث المذكور تحت عنوان محاولات المتوكل للايقاع بالامام سلام الله عليه.

الحادثة الثالثة:

ما رواه ارباب التاريخ ومدوّنو الادب، من ان جماعة سعت بالامام عليه السلام الى المتوكل حيث قيل له: ان في بيته السلاح والمال، يأتيانه من شيعته في «قم». فأمر بكبس داره وحمله اليه (فهاجموا داره، فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصى، وهو متوجه الى الله تعالى، يتلو آياً من القرآن ... وعلى هذه الحال حُمل الى المتوكل العباسي، وادخل عليه، وكان المتوكل في مجلس شراب، وبيده كأس الخمر، فناول الامام الهادي (ع)، فرد الامام: والله! ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني فاعفاه، فقال له: انشدني شعراً، فقال علي: أنا قليل الرواية للشعر، فقال: لابد، فانشده:

باتوا على قُلل الأجبالِ تحرسهم غلبُ الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعدٍ عزٍ من معاقلهم وأسكنوا حُفراً يا بئس ما نزلوا
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا فاصبحوا بعد طول الاكل قد أُكلوا

فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموعه، وبكى الحاضرون، ودفع الى علي عليه السلام اربعة آلاف دينار، ثم ردّه الى منزله مكرّما).

هذه الحادثة وردت في مصادر التاريخ العام والخاص. فقد رواها المسعودي ج ٤، ص ١١ وابن الوردي ج ١، ص ٢٣٢، وتذكرة الخواص للسبط ابن لجوزي ص ٢٦٠ ـ ٢٦١، والاتحاف بحب الأشراف ص ٦٧ وصاحب وفيات الاعيان ج ٢، ص ٤٣٤، وغيرهما من المصادر. ولنفترض انها صحيحة، ولكن هنا اكثر من ملاحظة:

١ـ ان أصل الحادثة «وشاية» ولا نعرف هويّة مصدرها، ولا نعرف الغاية منها، هل كان الواشي يقصد الاساءة الى الامام (ع)؟! أم الى المتوكل؟! أم الى كليهما؟!

٢ـ ان المتوكل لم يسئ الى الامام في مجلس شرابه، وسلوكه ناتج عن مجموع الملابسات التي كانت سائدة في هذا المجلس، فهو غير ملتزم وفي نشوة السكر.

٣ـ وتشير الرواية، ان المتوكل تفاعل مع وعظ الامام، بل اكرمه واجزل له العطاء.

وعليه فان جميع هذه القرائن لا تكشف عن سبق اصرار ولا تكشف عن نيّة اساءة او تنكيل، أما الامر بالهجوم والاستدعاء، فهذا من مقتضيات السياسة التي بطبعها لا تعرف المبادئ والقيم. ولا يعني هذا ان المتوكل كان طيباً رقيق القلب، او انه كان يحب الامام ويحترمه ويعزه، بل اقول، ان النص لا يفيد بأن المتوكل بهذا العمل كان هو المخطط، وكان يسعى للايقاع بالامام عليه السلام، كما يستفاد من بعض التحليلات، هذا والرواية مرسلة على كل حال.

الحادثة الرابعة:

وهي تتعلق بسجن المتوكل للامام عليه السلام، وهناك روايتان... نحاول قراءتهما سنداً ومتناً:

١ـ (ذكر الحسن بن محمّد بن جمهور القمّي في كتاب الواحدة. قال: حدّثني الحسين بن محمّد قال: كان لي صديق مؤدّب لولد بغا أو وصيف ـ الشك من عندي ـ فقال لي: قال لي الامير ... حبس اميرالمؤمنين هذا الذي يقولون ابن الرضا اليوم، ودفعه الى علي بن كركر، فسمعته يقول: انا اكرم على الله من ناقة صالح ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب﴾ وليس يفصح بالآية ولا الكلام اي شيء هذا؟ قال: قلت اعزّك الله توعّد، انظر ماذا يكون بعد ثلاثة ايام. فلما كان من الغد أطلقه واعتذر اليه، فلما كان في اليوم الثالث، وثب عليه ياغز وتامش وجماعة معهم فقتلوه، واقعدوا المنتصر ولده خليفته).[1]

الرواية مرسلة اساساً، وامّا صاحب كتاب الواحدة، اي ابو محمّد الحسن بن محمّد بن جمهور القمي، فهو حسب النجاشي (... ثقة في نفسه... يروي عن الضعفاء، ويعتمد على المراسيل...)[2]، واخوه ليس له ترجمة في كتب الرجال، ولم نعرف صديقه «المؤدّب» ولا المسؤول (الامير) الذي يروي!! فنحن نسير من مجهول الى مجهول!

الرواية ـ اذن ـ ضعيفة السند، ويبدو ان اقدم مصدر تاريخي شيعي يرويها هو الطبرسي صاحب (اعلام الورى)، ومنه انتقلت الى آخرين مختصرة.

حاول الشهيد السعيد آية الله الصدر أن يصحّح الرواية بحجّة انها تتضمن معلومات وردت في مصادر التاريخ العام، ويقصد بذلك (تسمية من باشر قتل

---

(١) اعلام الورى ج ٢، ص ١٢٣، المناقب، ج ٤، ص ٤٠٧ مختصراً.

(٢) رجال النجاشي رقم ١٤٤.

المتوكل من الأتراك...).[1] واعتقد انه تصحيح لا يقوم على اساس متين، فهذه المعلومة معروفة، ويمكن للوضّاعين تضمينها في المتون بسهولة، وهم في غاية الفن والدقة في هذه الامور، على ان اهم ما في الرواية، او الجوهر الاساسي غير وارد في مصادر التاريخ العام، وهذا هو المطلوب في عمليّة التصحيح. وارى ان هذا الامير الذي سمع الوعيد ليس من النوع الذي ينتظر بحكم مهنته، والاقرب الى المنطق، ان يبادر باخبار الخليفة ليتخذ ما يلزم.

٢ـ وقد اختصرها الشهيد السعيد آية الله الصدر بما يلي:

(ان المتوكل دفع الامام ابا الحسن الهادي(ع)، الى سعيد الحاجب ليقتله، فوضعه سعيد في السجن حتى يتم قتله، وحين قدم الراوي الى سامراء في ذلك الحين دخل على سعيد، وكان سعيد يعلم بكونه موالياً للامام (ع)، فقال له: اتحبُ ان تنظر الى إلهك؟ يقصد بذلك الامام استهزاءً واستصغاراً، ولكن الراوي كان غافلاً فلم يفهم واجاب: سبحان الله! الهي لا تدركه الابصار. فاوضح سعيد مراده قائلاً: هذا الذي تزعمون انه أمامكم، فصادف ذلك رغبة في نفس الراوي، الاّ انه اجاب بحذر قائلاً: ما اكره ذلك، فافهمه سعيد القصد من سجن الامام(ع)، وقال: قد امرني المتوكل بقتله، وانا فاعله غداً، وعنده صاحب البريد، فقال: اذا خرج فادخل اليه. وحين خرج صاحب البريد من الامام يدخل الراوي في الدار ـ يعني الغرفة ـ التي حُبس فيها الامام. فيرى قبراً حُفر. قال: فدخلت وسلمت وبكيت بكاءً فقال ـ اي الامام ـ: ما يبكيك؟ قلتُ: لما ارى؟ قال: لا تبكِ فانه لا يتم لهم ذلك، فسكن ما بي، فقال: انه لا يلبث يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته. قال: والله! ما مضى يومان حتى قتل).[2]

---

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٥٦.

(٢) الغيبة الصغرى، ص ١٥٢ ـ ١٥٥.

والرواية اصلاً في الخرايج والجرايح، فهي وهذه الحالة مرسلة، ويرويها صاحب الكتاب عن (... ابو سليمان عن ابن أرومة..)[1]. ولم تعرف منه (ابو سليمان). أما (ابن أرومة) الذي هو الراوي الاساسي، فقد اختلفت فيه الاراء الرجاليّة: الطوسي يضعّفه،[2] أما النجاشي فيذكر ان (... القميون.. غمزوا عليه ورموه بالغلو حتى دسّ عليه من يفتك به ـ فوجدوه يصلي من أوّل الليل الى آخره فتوقفوا عنه، وحكى جماعة من شيوخ القميين عن ابن الوليد انه قال: محمّد بن أرومة طعن عليه بالغلو، وكل ما كان في كتبه مما وجد في كتب الحسين بن سعد وغيره فقل به، وما تفرّد به فلا تعتمده...)[3]. فامره مردّد مريب، لا يمكن الاطمئنان اليه بارتياح، ثم هذا الحديث ممّا تفرّد به، فهي ـ الرواية ـ لا تصل للسند التاريخي. وفي الحقيقة ان تضاعيف المتن تثير الشكوك: ترى اين هذا السجن؟! وكيف وصل هذا الرجل القمي الى سامراء والى هذا السجن؟! وما هي العلاقة بين ابن أرومة والسجان سعيد بن الحاجب؟! وهنا نقاط اختلاف جوهريّة بين الروايتين.

* المشرف على السجن في الرواية الاولى هو: «علي بن كركر» فيما في الرواية الثانية هو: «سعيد بن الحاجب».

* توقيت تاريخ قتل المتوكل على لسان الامام في الرواية الاولى بعد ثلاثة ايام اعتماداً على ترنيمة الآية القرآنية الشريفة فيما في الرواية الثانية بعد يومين.

وللشهيد السعيد آية الله محمّد الصدر محاولات لتأويل هذه الفروق ولكنها تأويلات بعيدة جداً، ولست ادري ما قيمة هذه التأويلات مع ضعف السند الشديد في تينك الروايتين.

---

(١) المصدر ص ٢١٢، البحار ج ٥٠، ص ١٩٦.

(٢) رجال الشيخ رقم (٦٢١).

(٣)رجال النجاشي رقم ٨٩١.

سند ضعيف وتأويل بعيد... كلاهما يدعوان الى طرح هاتين الروايتين. ومن الجدير بالذكر، ان هذا الحبس الذي لا نعرف مكانه لم يدم اكثر من يوم واحد!! واعتقد لو ان الامام تعرّض للسجن حقاً لروى ذلك العيون من اصحاب الامام عليه السلام، لانه ليس بالحدث البسيط والهيّن.

هناك رواية ثالثة في صدد السجن، يرويها الصدوق في (كمال الدين وتمام النعمة) والرواية تشير الى ان الامام كان محبوساً. وكان ذلك في الايام الاولى من مجيئه الى سامراء (... عن الصقر بن ابي دلف قال: لما حمل المتوكل سيدنا ابا الحسن (ع) جئت لأسأل عن خبره...)، فيعرف الراوي انه في السجن، ويدخله عليه السجان لانه من الشيعة ولكنه يتخفى، وهناك يطمئنه الامام بأن لا شيء عليه، ويعلّمه فقه حديثٍ كان غامضاً عليه،[1] والغريب ان الشهيد محمّد الصدر ـ رحمه الله تعالى ـ لم يستشهد بهذه الرواية، رغم ان سندها متصل! ولكن رغم ذلك فان السند ضعيف، فان احد رواته غير موثق، وهو (عبدالله بن أحمد الموصلي).[2] كما ان الراوي الاصلي لم يوثق ايضاً، اي (الصقر بن ابي دلف).[3]

ان كل الروايات، وهي ثلاث، التي تخبرنا عن حبس المتوكل للامام مضطربة سنداً ومتناً، وليس هناك اي قرائن داخلية او خارجيّة من شأنها تصحيح هذه الروايات. وفي الحقيقة: يجب التشديد السندي في مثل هذه الروايات لان الموضوع الذي تعالجه ليس عاديّاً، فان اعتقال الامام وتعريضه للقتل حدث خطير وبالتالي، لابد من التحقيق فيه جيّداً.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٢٥٥، ح ٨.

(٢) معجم السيد الخوئي ١٠/١٠٧.

(٣) ن.م. ٩/١٣٩.

(٤)

نقرأ في تاريخ بغداد (اخبرني الازهري، حدّثنا ابو أحمد عبدالله بن محمّد المقرئ حدثنا محمّد بن يحيى النديم، حدّثنا الحسين بن يحيى قال: اعتلّ المتوكل في اول خلافته، فقال: لئن برئتُ لاتصدقن بدنانير كثيرة، فلما برئ جمع الفقهاء، فسألهم عن ذلك فاختلفوا، فبعث الى علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر، فسأله، فقال: يتصدّق بثلاثة وثمانين ديناراً. فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا: تسأله يا اميرالمؤمنين، من اين له هذا؟ فردّ الرسول اليه، فقال له: قل لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالنذر، لان الله تعالى يقول ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾، فروى اهلنا جميعاً ، ان المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وان يوم حنين كان الرابع والثمانين، وكلما زاد اميرالمؤمنين في فعل الخير كان انفع له، وأجر عليه في الدنيا والآخرة).[1]

رواه عن الخطيب ابن الجوزي صاحب المنتظم في ج ١٢، ص ٧٤.

تذكر كتب التاريخ والسيرة الخاصّة مجموعة حوادث تكشف عن ان الامام الهادي عليه السلام كان حذراً اتجاه المتوكل، يصانعه ويتقيه ويتجنب شروره واثارته، فقد وصف له علاجاً لمرض ألمّ به، وكان ذلك سبباً في شفاءه حيث كان المتوكل يائساً من الشفاء،[2] وتبين هذه الكتب ان المتوكل كان كثيراً ما يستفتي الامام في مسائل فقهية يستعصي حلّها عند الفقهاء الكبار،[3] شافعاً ذلك بالتحدي الذي من شأنه ايقاع الامام،[4] واعتقد ان الفطنة توجب على

---

(١) تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٥٦.

(٢) الارشاد، ج ٢، ص ٣٠٢، المناقب، ج ٤، ص ٥١٧.

(٣) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٢٣.

(٤) ن.م. والصفحة.

المتوكل ان لا يُكثر من هذا الموقف اذا نجح الامام في الامتحان مرّة او مرتين، لان ذلك ليس في صالحه وانما في صالح الامام والعلويين والشيعة بشكل عام. ويبدو ان استفتاء الامام ظاهرة كانت معروفة لدى الخلفاء، لاننا نقرأ في تاريخ بغداد:

(... حدّثنا الحسين بن مروان الانباري، حدّثني محمّد بن يحيى المعاذي، قال: قال يحيى ابن أكثم في مجلس الواثق - والفقهاء بحضرته - من حلق رأس آدم حين حج؟ فتعايى القوم عن الجواب، فقال الواثق: أنا أحضر لكم من ينبئكم بالخبر، فبعث الى علي بن محمد ... فأحضر، فقال: يا ابا الحسن من حلق رأس آدم؟ فقال: سألتكم بالله يا اميرالمؤمنين الا أعفيتني، قال: اقسمت عليك لتقولن. قال: اما اذا أبيت، فان ابي حدّثني عن جدي عن ابيه عن جده. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أمر جبريل ان ينزل بياقوتة من الجنّة، فهبط بها، فمسح بها رأس آدم، فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً).[1]

لا اريد ان اقول: ان العلقفة بين الامام العظيم والمتوكل وبقية الخلفاء الآخرين كانت وديّة آمنة، بل هي على حذر، واعتقد ان المتوكل اعاد تجربة المأمون، ولكن بصيغة أخرى، لعلها اكثر تطوراً، فان المأمون استقدم امامنا الرضا عليه السلام، وقلّده ولاية العهد، كي يمتص النقمة العلويّة التي كانت متأججة آنذاك، يخمدُ هذا التطلع الثوري - وكان في اغلبه زيديّاً - الذي كان مدعاة لالتفات الجماهير المسلمة حول هؤلاء الثوار، وهو الامر الذي أفلح به المأمون، أما المتوكل فقد كان صاحب سياسة اخرى، انه يريد استئصال العلويين، اعلن الحرب الشاملة والمستمرة عليهم، وقد استقدم الامام الهادي واكرمه واحترمه، كي يضعه بين ناظريه، ولكي يتستر بهذا الاكرام على جرائمه

---

(١) تاريخ بغداد، ج ١٢/ ص ٥٦.

بحق العلويين، وبالفعل فان المتوكل واصل سياسته القمعيّة ضد العلويين، ولكنه في الوقت ذاته كان يعامل الامام الهادي بالاكرام والتبجيل. سياسة مزدوجة مدروسة، خاصة ان (الامام) كان الرقم العلوي المتألق، كان الرمز والقدوة، ومن ثم كان له وزنه الكبير عند مسلمي المدينة.

يشدّد كاتب عظيم على مسألة (كبس دار) الامام من قبل المتوكل، ويعد ذلك من ابرز معالم حفظ هذا الخليفة للايقاع بالامام سلام الله عليه، ولكننا بيّنا ان الروايات الواردة في هذا الصدد لا تتمتع بسند قوي ولا بمتنٍ متسق، بل ان متونها مليئة بالثقوب والنتوءات، فضلاً عن ذلك ان هذه العملية ـ كبس دار الامام ـ كانت على اثر وشاية، ومصدر الوشاية مجهول وغامض، زيادة على ان الروايات التي تتعرّض لهذه القضية محاطة بالخوارق والمعاجز!! وكل هذا يصعّب الاعتماد على هذه الروايات في التدوين التاريخي العلمي، على انه ليس من العسير على (المتوكل) ان يختلق تهمة كبيرة ويلبسها الامام زوراً وبهتاناً.

الفصل الثاني
الشيعة في عصر ا لامام (ع)

(١)

كان الشيعة المؤمنون بقيادة الامام الهادي موزّعين في مناطق متفرقة من العالم الإسلامي المترامي الاطراف، ويمكننا ان نعلم هذه المناطق بالصورة التالية:

اولا ـ قم:

«قم» هي العاصمة، فقد كانت كلها شيعية، وشهدت حركة «حديثية» نشطة، خرّجت عشرات المحدّثين والعلماء، وكان أهلها متشددين بالرواية، مواقفهم صلبة إزاء الغلاة. مما يذكر هنا ان معنى (الغلو) في الفكر القمي آنذاك، هو (نفي السهو عن المعصومين عليهم السلام)،[1] كما ان العصمة في فكر القميين (قريبة من العصمة المعروفة لدى العامّة آنذاك)،[2] ولهذا طردوا اكثر من راوية بحجة الغلو. وكان القميون حركة دائبة في نشر حديث اهل البيت، رحل عيونهم الى بغداد والكوفة لهذا الغرض النبيل.

هذه البقعة الصغيرة من العالم الإسلامي كانت معروفة بتشيعها وولائها للأئمة الواحد تلو الآخر، منذ الكاظم عليه السلام حتى المهدي المنتظر. وقد

---

(١) الفروع من فقه اهل البيت/ حسن عز الدين بحر العلوم. ص ١٨١.

(٢) ن.م. ص ١٨١.

راجعت اخبارها في عهد الائمة الاواخر، اي الجواد والهادي والعسكري فلاحظت انها مستقرة على العموم، فلم تشهد ما عرفته الكوفة من انتفاضات وثورات، ولم تتعرّض لاضطهار منظم، ولم يحدثنا التاريخ الاّ عن مقتلة واحدة عملها بهم (مُفلح) في سنة ٢٥٤هـ، ولم يذكر التاريخ شيئاً عن اسبابها ومجرياتها، فهي حادثة غامضة،[1] بل لعلّ هناك ما يشير الى ان الخلافة العباسيّة كانت تبغي رضا القميين، فقد روى ابن الجوزي في (المنتظم) في حوادث سنة ٢٥٣، ان (وصيف التركي) جاء الى «قم» اميراً، وقد تودّد لهم وغلبت عليه خدمتهم، حتى انه خاطبهم يوم مقدمه: (يا مشايخ قم! انتم شيوخي، ما على الارض اوجب حقاً عليّ منكم، الاّ أني أخالفكم في الرفض، فأني درت الآفاق، وعرفت المذاهب، فما وجدت على اعتقادكم أحد، ومن المحال وقوع الاجماع على ضلال وانفرادكم بين الناس بالحق...).[2] وقد كان من عيون الحديث والعلم يلتقي السلطان وكبار رجال الدولة، بل لم نقرأ عن اي عمل قمعي لاهل قم حتى في عصر المتوكل. ولعلّ هذا الهدوء العام الذي نعمت به قم، كان من اسباب الانتعاش العلمي، بل من اسباب التعامل العقلي مع الغلو الذي كان محاصراً بحق وحقيقة في هذه البلدة الشيعية العظيمة.

من المظاهر الجديرة بالاهتمام في صدد «قم» انها لم تشهد عمليات انشقاق الى فرق بعد رحيل الامام، وهي ظاهرة كانت معروفة في تاريخ التشيع، وارى ان وجود الواعين العارفين بالحديث الشريف كان من اسباب هذا الاتساق العقائدي للشيعة هناك، وسوف نتحدث اكثر في هذا الموضوع.

---

(١) الكامل،ج ٧، ص ١٨٩.

(٢) المنتظم لابن الجوزي، ج ١٢، ص ٧١ ـ ٧٢.

ثانيا ـ الكوفة:

تلي «قم» أهميّة في الجغرافيـة الشـيعيّة، وهـي خليـط مـن الزيديّـة وشـيعة أئمتنا والآخرين، كما انها كانت خليطاً من العـرب والفـرس، واعداء الخلافة واصدقائها. ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة ان تصطرع الاتجاهات وتتخلّق الأفكار وتكثر الاتجاهات، وشكلت الكوفة مصدر ازعاج للخلافة العباسيّة، نظراً لتاريخها المرتبط بعلي بن ابي طالب، ولوجود تيار شيعي متعدّد الأطياف، وفي فترة امامنا الهادي عليه السلام اي فترة امامته وهي (٢٢٠ ـ ٢٥٤ هـ) شهدت الكوفة اكثر من حادث كبير على الصعيد السياسي. منها: ثورة يحيى بن عمر العلوي سنة ٢٥١هـ وثورة الحسين بن احمد الطالبي سنة ٢٥١هـ، وفي كلتا الحادثتين تضرّر اهل الكوفة، نظراً لقسوة الموقف الخلافي من ذلك، فقد كانت الخلافة العباسيّة لا تتساهل مع اي ثائر علوي مهما كان اتجاهه. ومن الصعب في مثل هذه الحالة تمييز موقف شيعة الامام الهادي عليه السلام، على ان الكوفة خرّجت محدثين من بين هؤلاء الشيعة من الطراز الرفيع، منهم (بنو فضّال، ايوب بن نوح بن دراج، علي بن محمّد المنقري...) وغيرهم، وكما قلنا: ان العلاقة بين قم والكوفة كانت قائمة على صعيد التواصل العلمي، وهناك حقيقة مهمة، وهي ان التشيع كمذهب متكامل، وان وضعت بذرته الاولى على عهد رسول الله، فانه بدأ يتفتق عن هذه البذرة على يد الائمة الاوائل، ولكن تبلور التشيع على شكل نظر وقياس وفكر معمّق باطروحات الباقر والصادق والكاظم. وقد كان الكوفيون جنود هذا الفكر وحملته ودعامته قبل ان تتأسس «قم»، وقبل ان ينتشر التشيع في بغداد وشمال العراق وسوريا. ولم تكن المدينة او الحجاز جاهزتين لمثل هذا الطرح المعمّق والفكر الدقيق، لانهما مشبعتان بفكر النقل وليس العقل، ولانهما تعيشان على امجاد الصحابة وذكرياتهم، فكانت افكار وطروحات الائمة الاواسط تجد رواجها في الكوفة، لانها موطن الفكر بل موطن الصراع الفكري. واذا كانت هذه البلد تسمى بحق (كوفة

الجند)، فانها بحق وحقيقة (كوفة القبائل)، ثم بحق وحقيقة دونما منازع (كوفة الفكر) في حين كانت الحجاز والمدينة اسيرتي العلم الحرفي، العلم النقلي، فجهود الكوفيين هي التي وفرت لطروحات الائمة الاواسط اجواء الانتشار والانتعاش. كانوا يروون عن الصادق وينقلون منه الفكر والعلم.

ثالثا ـ بغداد وسامراء:

كان للتشيع فيهما حضور ملموس، يكفي ان نعرف أن السفراء الاربعة كانوا من بغداد، ونشاطهم في بغداد، وللامام وكلاء فيها، وقد عرفت نجوماً متألقة في العلم والموقف، لعل من اشهرهم «ابو هاشم الجعفري» الذي عاصر خمسة أئمة، ومن الواضح ان الوجود الشيعي في بغداد يرجع الى ايام التأسيس. وقد (ظهر التشيع ـ في سامراء ـ جليّاً بعد ان اقام الامامان فيها، وشاهد الناس ما لهما من علم وسجايا حميدة...)،[1] مع العلم ان تأسيس سامراء كان اوائل القرن الثالث الهجري.

هذه هي أهم حواضر الشيعة في زمن الامام (علي بن محمد الهادي عليه السلام)، ولان الشيعة أقليّة والامام مراقب، كان هناك نسق من النظم، وهذا النظم لم يقم بتخطيط الامام، ولا هو وريث لجهود سابقة وحسب، بل هو إفراز للواقع، تصيّر بفواعل داخليّة وضرورات قاهرة، اي هو نتيجة حركة التاريخ. ولكن بلا ريب، كان للامام دور كبير في توجيهه وتسييره، ولم تكن مهمّة هذا النظم القيام باعمال سياسيّة، او شيء من هذا القبيل، بل غايته القصوى الحفاظ على الكيان الشيعي بشكل عام، توكيد وتجذير هذا الكيان ضمن علاقات ايمانية وتكافليّة. ولم نعهد لهذا النظم نشاطاً على مستوى الدعوة لهذا الامر، بل كان النشاط منصبّاً على الداخل. إحكام هذا الداخل، وربطه

---

(١) تاريخ الشيعة/ المظفر ص ١٠٧.

بالامام كقيادة روحيّة وفكريّة ووجدانية والذي ساعد على بلورة وتمكين هذا النظم من أموره واهدافه، المقتربات التالية:

المقترب الاول:

الموروث النظمي الذي إنتقل من التجربة السابقة، اي تجربة الشيعة في ظل أمامة محمّد الجواد عليه السلام، فقد كان الشيعة على درجة واضحة من النسق النظمي، وكان ذلك من اسباب الحفاظ على هذا الكيان، وسوف نشير الى بعض النقاط التي تؤكد هذا المقترب.

المقترب الثاني:

انتقال الامامة من الجواد (ع) الى الهادي (ع) بهدوء ودونما ملابسات، وهذه ملاحظة جديرة بالانتباه في خصوص امامة علي بن محمّد الهادي عليه السلام، (فنزل اصحاب «محمد بن علي» ـ الجواد ـ عليه السلام الذين ثبتوا على امامته، الى القول بامامة ابنه ووصيّه «علي بن محمد» الهادي ـ عليه السلام، فلم يزالوا على ذلك سوى نفر منهم يسير عدلوا عنه الى القول بامامة أخيه «موسى بن محمّد»، ثم لم يلبثوا على ذلك الاّ قليلاً، حتى رجعوا الى امامة «علي بن محمد» ـ الجواد ـ عليه السلام، ورفضوا امامة «موسى بن محمد»، فلم يزالوا كذلك حتى توفي).[١]

لقد انقاد كل الشيعة بعد وفاة الامام الجواد الى امامة الهادي، وذلك من محدّثين وعلماء وتجار وشعراء فضلاً عن القواعد الشعبيّة العامّة، وهي ظاهرة تكاد تكون فريدة، لان انقسام الشيعة بعد وفاة الامام ظاهرة طاغية وملفتة للنظر.

---

(١) فرق الشيعة، ص ٩١ ـ ٩٢.

المقترب الثالث:

وجود كوادر كفوءة على صعيد الربط والتواصل بين القيادة الاماميّة من جهة وبين القواعد الشيعيّة من جهة أخرى، ومن الملاحظ ان بعض هذه الكوادر تمتلك تجربة سابقة لانها كانت تمارس شيئاً من هذه المهمات في زمن الامام الجواد عليه السلام، وستتضح بعض معالم هذا المقترب لاحقاً.

ان مراجعة هذا النظم بشكل عام توضّح انه كان يتقوم بالعناصر التالية:

١ـ القيادة متمثلة بالامام (علي بن محمد الهادي) عليه السلام، وقد تعيّنت بالنص وانقياد الشيعة اليها في قم وبغداد وسامراء والكوفة... .

٢ـ أمانة السر، وتتمثل في البواب، وكان (بوابه: محمّد بن عثمان العمري)[1]، والحقيقة لم يكن هذا الرجل مجرّد شاخص على عتبة الدار، بل كان يساهم في تنظيم العلاقات، يعرف الداخل والخارج، فهو (أمين سر)، بل هو بمثابة (وكيل خاص)، ولذا ليس صدفة ان يمتدحه الامام الهادي بالخصوص، ويثني عليه ثناءً متميزاً (هذا ابو عمر الثقة الامين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه اليكم فعني يؤديه).[2] والرواية صحيحة.

وفي الواقع ان هذا التقييم لا يُقال بحق «بواب» بالمعنى الشائع والمتعارف، وانما هو تعيين لأمين سر، (ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه لكم فعني يؤديه)، وهو بمثابة نص تعيين وتكليف في آن واحد، وقد مضى في هذه المهمة لمدّة اربعة وثلاثين عاماً، الامر الذي هيّأه لان يكون من ابرز الناشطين في امامة العسكري، ومن ثم ان يكون هو السفير الاول عن المهدي عليه السلام.

٣ـ الوكلاء: وهم معتمدو الأمام في المناطق، مهمتهم تنظيم العلاقة بين الامام وقواعده الشعبية سواء في نقل الاخبار والاوامر والتوجيهات، أم استلام

---

(١) كشف الغمة، ص ٤٠٢.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي، ص ٢١٥.

وتسليم الحقوق الشرعيّة. والاساس في اختيار الوكيل الكفاءة والنزاهة، ولا يشترط العلم، ويبدو من مراجعة أخبار هؤلاء الوكلاء، وفحص بعض المراسلات بينهم وبين الامام، ان تعيينهم ومهمتهم سريّة، اي مخفية عن السلطة، ولكنها معروفة للموالين والشيعة.

وفي نص لابن شهرآشوب يوجز لنا هذا النظم، اذ يقول:

(... بوّابه: محمّد بن عثمان العمري، ومن ثقاته: احمد بن حمزة بن اليسع، وصالح بن محمّد الهمداني، ومحمّد بن جزك الجمال، ويعقوب بن يزيد بن الكاتب، وابو الحسن بن هلال، وابراهيم بن اسحاق، وخيران الخادم، والنضر بن محمّد الهمداني، ومن وكلائه: جعفر بن سهيل الصيقل ومن اصحابه: داود بن زيد وابو سليمان زنكان، والحسين بن محمّد المدائني...).[1]

وفي ضوء هذا النص يمكننا ان نترسّم مفاصل هذا النظم، انه يتألف من:

* قيادة.
* أمين سر (وكيل عام).
* وكلاء عامّون (معتمد ومناطق).
* جهاز فكري (الثقاة)، فهم حملة فكره وأحاديثه عليه السلام، ثقاة مأمونون على النقل.
* أنصار (اصحابه) وسوف نوضح هذا المصطلح لاحقاً.

ويمكننا ان نضيف هنا الشعراء باعتبارهم لساناً اعلاميّاً، منهم مثلاً: مسلم المنبجي وغيره.[2]

وكان التواصل يتم على نحوين:

النحو الأوّل: المشافهة.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤، ص ٤٠٢.

(٢) البحار، ج ٥٠، ص ٢١٦.

النحول الثاني: المراسلة.

ويتقوّم النظم مالياً بالحقوق الشرعيّة التي كان الموالون يدفعونها للامام بواسطة الوكلاء المنتدبين، أما اهداف النظم، فسوف تتضح في فقرة آتية. ويبدو ان معالم هذا النظم هو التقسيم المناطقي، ومن ثم تجري أمور النظم وشؤونه وفق هذا التقييم، وقد صدرت في هذا الموضوع تعاليم صارمة.

(٢)

الآن نستعرض بعض النصوص والتي هي في الاساس المادّة الاولى التي استقينا منها المواد السابقة:

* قال الكشي (٤٦٦): (...حدّثني محمّد بن احمد النهدي كوفي، وهو محدث القلانسي، وذكر ايوب بن نوح، وقال: كان من الصالحين، مات ولم يخلف الاّ مقدار مئة وخمسين ديناراً، وكان عند الناس ان عنده مالاً كثيراً، لانه كان وكيلاً لهم...). والرواية صحيحة.

* قال الكشي (١٠١٠): (محمّد بن مسعود: حدّثني علي بن محمّد، قال: حدّثني أحمد بن محمّد بن عيسى، قال: قرأنا في كتاب الدهقان وخط الرجل في القزويني، وكان كتب اليه الدهقان يخبره باضطراب النّاس في هذا الامر، وان الموادعين قد أمسكوا عن بعض ما كانوا فيه. لهذه العلة من الخلاف. فكتب: كذّبوه وهتكوه، ابعده الله واخزاه، فهو كاذب في جميع ما يدّعي ويصف. ولكن صونوا انفسكم عن الخوض والكلام في ذلك، وتوقوا مشاورته، ولا تجعلوا له السبيل الى طلب الشر. كفى الله مؤونته، ومؤونة من كان مثله).

وسند الرواية لا بأس به.

قال السيد الخوئي: (ان الكلمات اتفقت على ان قتل فارس بن حاتم كان بأمر من ابي الحسن العسكري عليه السلام في زمانه، ولكن ظاهر عبارة ابن الغضائري المتقدمة ان القاتل من اصحاب ابي محمّد عليه السلام، وهو ظاهر في ان القتل كان في زمانه...) ١٣/٩٢٩٢.

هذا وقد اورد الكشي اكثر من عشرة نصوص في هذه القضية. كلها على شكل رسائل سريّة تتعلق بالموقف من الغلاة، وبالذات «فارس بن حاتم القزويني»، وهي من المشاكل الكبيرة التي كان الوسط الشيعي يعاني منها، وتفيد المصادر الرجالية ان الامام كان قلقاً إزاء هذه الظاهرة الخبيثة، وقد عالجها بالرسائل المتبادلة بينه وبين رموز شيعته.

في رجال الشيخ الطوسي:

(علي بن جعفر وكيل ثقة) رجال الهادي رقم (١٥).

(علي بن جعفر قيّم لابي الحسن عليه السلام، ثقة) رجال العسكري رقم (١).

وقد أورد الكشي رسائل بين الامام الهادي وعلي بن جعفر تتعلق بشؤون الكيان وما ينبغي عمله من اجل صالحها وتطورها وثباتها.

» في غيبة الشيخ الطوسي: (... ومنهم ـ اي الممدوحين من وكلاء الأئمة عليهم السلام ـ : ابو علي بن راشد، اخبرني بن ابي جبر، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن محمّد بن عيسى قال: كتب ابو الحسن العسكري عليه السلام الى الموالي ببغداد والمدائن والسواد وما يليها، قد أقمت أبا علي بن راشد، مقام علي بن الحسين بن عبدربه، ومن قبله من وكلائي، وقد اوجبت في طاعته طاعتي، وفي عصيانه الخروج على عصياني، وكتبتُ بخط يدي).

والرواية صحيحة السند (السيد الخوئي ٢٨٨٣/٤، ص ٣٢٤ـ ٣٢٦).

هذه الرواية الصحيحة تفيدنا كثيراً من الحقائق التي كانت تخصّ هذا «النظم» الشيعي في ذلك الوقت، ومنها على سبيل المثال:

١ـ ان الوكالة نقطة مركزيّة في مبادئ هذا النظم.

٢ـ التقسيم المناطقي كان علامة رئيسية في هذا النظم.

٣ـ ان الشيعة كانوا يتعاملون مع (الامام) بانه صاحب الكلمة الفاصلة.

٤ـ لقد كان للامام الدور الفاعل والرئيسي في تسيير شؤون الكيان.

ويبدو ان التغيير في مقام الوكالة كان لاسباب نظميّة بحتة، لان المستبدل

الذي هو (علي بن الحسين بن عبدربه) كان من الوكلاء المخلصين.

هذه بعض النصوص السريعة التي يمكن ان نستنتج منها صيغة النظم الذي كان عليه الكيان الشيعي في زمن الامام الهادي عليه السلام، ويبدو لي ان هذا النظم كان اكثر اهتماماً وتقنية في بغداد وسامراء والمدائن منه في (قم). واعتقد ان السبب يكمن في طبيعة الوجود الشيعي والظروف التي تحيط به، فهو في «قم» و«الكوفة» يتمتع بحريّة اكثر، ولانه اغلبية طاغية، وبالتالي، لا يحتاج الوضع الى (نظم) معقد او بتلك الصورة من الإحكام. ان الغرض من النظم ليس هو (العمل السري) بل هو حماية الكيان من الضربات الخارجية، ومن الاختراق. هذا اوّلاً، ومن ثم الصيانة من الداخل، وخاصة الغلو، وتشير بعض الاخبار، ان السلطة كانت جادّة في تفعيل هذا الخطر الخبيث.

(٣)

قلنا سابقاً إنّ الشيعة انتقلت برمّتها الى القول بامامة (علي بن محمّد العسكري) عليه السلام، وهذه ظاهرة متميزة، ولم يتخلّف الاّ نفر يسير، ولكن في زمن امامته حصل شرخ في الجسم الشيعي، وذلك بظهور (محمد بن نصير النميري)، فقد ادّعي هذا الرجل النبوة وقال إن الامام الهادي أرسله، اي قال بربوبيته، ونقض كثيراً من الاحكام، وبهذا انشأ ديناً جديداً.

وفي الحقيقة ان حركة هذا الرجل مفردة من مفردات اتجاهٍ كان ينشط في تلك الفترة، أقصد الغلو، وقد كان من أصحاب الامام غلاة خطرون، مثل «احمد بن هلال المعبرتائي، بغدادي» و«اسحق بن محمّد البصري» و«الحسن بن علي بن ابي عثمان» و«الحسين بن عبيدالله القمي» و«الحسن بن محمّد بن بابا» و«علي بن يحيى الدهقان» و«عروة النخاس الدهقان» و«فارس بن حاتم القزويني» و«القاسم اليقطيني الشعراني» و«محمد بن عبدالله بن مهران الكرخي»[1]

---

(١) راجع اسماءهم في رجال الشيخ (اصحاب الهادي عليه السلام).

وغيرهم. وكان بعض هؤلاء الغلاة يستأكون باسم الامام، الامر الذي يكشف عن دوافع اقتصاديّة، وقد أحدثوا قلقاً واضطراباً داخل الجسم الشيعي، مما دعا الامام الى الوقوف بحسم لوضع حدٍ نهائي لهذه الظاهرة الخطيرة، فارسل الرسائل التي من شأنها فضح هؤلاء، وقد ركز الامام على ضرورة مقاطعتهم والابتعاد عنهم، بل أمر بقتل احدهم، نظراً لما كان يسببه من احراج شديد للتشيع. على ان ظاهرة «النميري» كانت اكثر خطورة من غيرها، لان هذا الغالي استطاع ان يشكل (فرقة)، وقد وضع أسساً وقواعد عقائديّة وشرعية واخلاقية، كالتناسخ واباحة المحارم ورفع الواجبات، وغيرها مما يُعد نقضاً للاسلام، وقد التحق به بعض الجهلة والمغفلين، وقد تطورت افكاره ومواقفه، فادعى انه يقوم مقام العمري في السفارة عن الامام المهدي. ومهما يكن من امر فان مما ينبغي ذكره هنا، هو ان السلطة او بعض رجالها كانوا يشجعون مثل هذه الاتجاهات المنحرفة داخل الجسم الشيعي. فبالنسبة الى النميري هذا (كان محمّد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوّي اسبابه).[1] والرجل المذكور من وزراء السلطة المعروفين بظلمهم وبطشهم. ولا اعتقد ان هذا الدعم بدافع عقائدي، وانما بدافع سياسي، امّا للفتك بالتشيع، وإما لأجل استثمار الحالة الجديدة لاغراض وجاهيّة او نفوذية، خاصة ان (آل فرات) من العوائل الشيعيّة المعروفة في ذلك الوقت.

ظاهرة الغلو هذه كانت خطرة ومزعجة، وقد سكن الامام عليه السلام من رجالها، وقد اتخذ اكثر من اسلوب في مواجهتها، منها:

أ ـ البراءة من الدعوة ورجالها ولعنهم علناً وسراً.

ب ـ توصية الشيعة بالابتعاد عن رموز الدعوة المشبوهة وعدم الاختلاط بهم.

ج ـ تفنيد الآراء الواردة على لسانهم، المخالفة للعقيدة والشريعة.

---

(١) رجال الكشي.

د ـ تصفية بعض الرموز الخطرة.[1]

وقد نجح الامام عليه السلام في تطويق هذه الحركة، اذ سقط الكثير من رموزها، وانزوت ظاهرة النميري على شكل شذرات ونتف مرفوضة من كل المسلمين في العالم، على ان الشيء الذي نريد ان نركز عليه هنا، هو: لولا (النظم) الذي كان يحكم العلاقة الداخلية للكيان الشيعي، لما استطاع الامام واصحابه القضاء على هذه الظاهرة الخبيثة. لقد تمت ملاحقتها وتطويقها وحصرها عبر حركة داخلية نشطة، قوامها رموز الكيان، وكانت الرسائل سريعة وفاعلة، والاخبار يتداولها المؤمنون بامانة وتعهد، اي ان (النظم) هو السرّ في نجاح العمل.

---

(١) راجع اخبار الغلاة في مختلف المصادر الرجالية، مع ضرورة التدقيق بالأسانيد والمتون، حتى يتم استيفاء نظرة موضوعية في هذا الخصوص.

الفصل الثالث
النشاط السياسي للامام الهادي

(١)

اتسم موقف الامام عليه السلام من الخلافة العباسيّة بشكل عام، بأنه لم يعلّق على الاحداث الجسام التي كانت تمرّ بها الامة الاسلاميّة الاّ عابراً وعلى الهامش. ومن الطبيعي ان هذا لا يعني ان الامام لم يكن يراقب هذه الاحداث ويرصدها، وربما يحللها، لان ذلك يخصّه، فهو مرصود، وزعيم كتلة معروفة بالتقاطع بدرجة او اخرى مع السلطة الحاكمة، كما ان هناك الثورات العلويّة المتتالية، وبالتالي، لابد ان يسمع ويتابع، وربما يوجّه.

ان الوشاية التي دسّها الوالي عبدالله بن محمّد ضدّه، والتي تمّ بموجبها الاستقدام الى سامراء، تشي بان الامام كان ذا نشاط، ولكن ما هي نوعيّة هذا النشاط؟!

ان التاريخ لم يُفصح لنا عن ذلك، على ان رواية الاستقدام، وهي صحيحة السند، تكشف بوضوح عن كونه عليه السلام رمزاً روحيّاً محبوباً من قبل اهل المدينة، وهذا قد يفيد بأن نشاطه كان ذا طابع معنوي، يجمع بين العلم والاخلاق، ولكن للاسف الشديد لم تصلنا تفاصيل، وطبيعة الوشاية افتراء، واقعها الحسد والغيرة، فان التفاف الناس ينبغي ان يكون حول الوالي المنصوب من قبل الخليفة، وليس حول الامام المجرّد من كل صلاحيّة سياسيّة.

يحاول بعض الباحثين ان يُضفي على نشاط الامام في المدينة طابعاً سياسيّاً، رغم ندرة المعلومات الواردة في اصل الموضوع وملابساته وخفاياه. وفي الحقيقة،

او على الارجح، لو كان هذا النشاط ذا لون سياسي لما تساهل في خصوصه المتوكل، بل لوجد الوالي فرصته الذهبيّة في تحقيق هدفه المركزي، الهدف الذي يكمن في التخلص من المنافس الروحي. وكما قلنا: ان هذا لا يتعارض مع استطلاع الامام لما يجري ويحصل على الصعيد السياسي، وجل ما عندنا في هذا الخصوص، انه عليه السلام كان يسأل عن مصير خليفة أو رجل دولة كبير او مسؤول متقدم. لقد كان للامام موقعه في غير اهل المدينة، وهؤلاء كانوا يجلون بقايا «علي بن ابي طالب» لاسباب تعود الى الجذور الاولى لنشأة وصيرورة التاريخ الاسلامي، اذ علينا ان لا ننسى انها مدينة الصحابة وقد اثبت اباؤه ـ عليهم السلام ـ انهم أهل للاقتداء الفكري والروحي والاخلاقي.

يروي الطبري: (السيد ابو طالب محمّد بن الحسين الحسني الجرجاني، عن والده الحسين بن الحسن، عن ابي الحسين طاهر بن محمّد الجعفري، عن احمد بن محمّد بن عياش، عن عبدالله بن احمد بن يعقوب، عن الحسين بن احمد المالكي، عن ابي هاشم الجعفري، قال: كنت في المدينة حتى مرّ بها بغا ايام الواثق في طلب الاعراب، فقال ابو الحسن: اخرجوا بنا حتى ننظر الى تعبية هذا التركي ...)[1]

وفي ذيل الرواية معجزة، مفادها ان الامام عليه السلام حدّث بغا باسمه الذي سُمّي به في صغره، ولم يكن يعلمه أحد! حتى ان بغا توهّمه «نبياً».

يستدل احد علمائنا الاعلام بهذه الرواية على نشاط الامام السياسي، ولكن ما هي قيمة السند؟

* ابو طالب محمّد بن الحسين ... «لم يوثق».
* الحسين بن الحسن الحسيني ... «لم يوثق».
* ابو الحسين طاهر بن محمّد الجعفري، يوجد عندنا في كتب الرجال

---

(١) اعلام الورى، ج ٢، ص ١١٧.

(طاهر بن محمّد) وهو «لم يوثق».[1]

* احمد بن محمّد... بن عياش، قال النجاشي (... سمعت منه كثيراً، ورأيت شيوخنا يضعفونه فلم أرو منه شيئاً وتجنبته).[2]

* عبدالله بن احمد بن محمّد بن يعقوب، وهو عبد بن ابي زيد، اختلف في حاله بين مضعّف وموثق، وفي النجاشي (... وكان اصحابنا البغداديون يرمونه بالارتفاع)[3] اي الغلو.

* الحسين بن احمد المالكي «لم يوثق».[4]

لا اعتقد ان هذه الرواية بمثل هذا السند تثبت وتصلح للتحليل التاريخي وللاستشهاد على قضية هي محل خلاف جوهري بين الباحثين.

وسوف نبني على ان (الرواية) صحيحة، فهي لا تفيد ان الامام كان يشتغل بالسياسة بالمعنى الذي نعرفه، انه موقف الانسان المسؤول عن عمل تخريبي ربما يصل الى الامام نفسه. انه اشبه بموقف جدّه الامام السجاد في الدعاء لأهل الثغور. وماذا ترى يكون موقف هذا الانسان العظيم، وهو يرى الاعراب يقتلون الناس وينهبون الممتلكات ويقطعون الطريق بين مكة والمدينة؟[5] على ان الرواية تفيد ـ اذا صحّت ـ ان الامام كان ذا كلمة في ضواحي المدينة، وانا اقول (ضواحي) لانه سلام الله عليه كان يعيش على بعد ثلاثة اميال من مدينة الرسول في (صريا)، ولان الرواية التاريخية تشير الى ان هذه الحادثة وقعت (بنواحي المدينة) او (حول المدينة)،[6] وفي الحقيقة ان الرواية تفيد كل هذه

---

(١) معجم رجال الخوئي ٩/٥٩٩٤.

(٢) النجاشي رقم ٢٠٧.

(٣) رقم ٦١٧.

(٤) معجم الخوئي ٥/٣٣٠٣.

(٥) الكامل في التاريخ ج ٧، ص ١٢ ـ ١٣.

(٦) ن.م. ص ١٢.

المعطيات حتى اذا طرحنا (المعجزة) الواردة في ذيلها.

ان موقف الامام عليه السلام هو موقف كل مسلم، ليس في خدمة الدولة القائمة، وإنما في خدمة المصلحة العامّة.

على اني اشير هنا الى نقطة نقديّة مهمّة في خصوص الرواية المذكورة، فإن (بُغا) التركي توهّم الامام «نبيّاً»، فقد سمّاه باسمه الذي كان قد أُعطي له في صغره ولم يعلمه أحدا! وفي الحقيقة: لا اعتقد ان هذه البادرة ولا غيرها تدعو (بُغا) الى هذا الوهم، فان هذا يستدعي القول، بان بُغا كان يساوي بين النبوّة ومثل هذه الممارسات، وهو موقف غريب في ظل مجتمع مضت على نبوة محمّد وخاتميتها فيه اكثر من مائتي سنة ـ ان التعامل مع النصوص يجب ان يكون في ضوء المنطق، وفي ضوء المكوّن الثقافي العام للمجتمع ولا اعتقد ان (بُغا) بهذه الدرجة من الجهالة، خاصة أنه كان قائداً مهماً في الجيش، وقد لعب ادواراً رئيسية في تسيير امور الدولة.

يروي: (محمّد بن يعقوب، عن الحسين بن محمّد، عن مُعلّى بن محمّد، عن الوشّاء عن خيران الاسباطي، قال: قدمت على ابي الحسن علي بن محمّد عليهما السلام في المدينة فقال لي «ما خبرُ الواثق عندك»؟!.

قلت: جعلت فداك! خلّفته في عافية، أنا أقرب الناس عهداً به منذ عشرة ايام.

قال: فقال: «ان الناس يقولون: انه مات». فعلمتُ انه يعني نفسه، ثم قال: «ما فعل جعفر»؟

قلت: تركته اسوأ الناس حالاً في السجن.

قال: فقال: «أما انه صاحب الامر، ما فعل ابن الزيّات»؟

قلت: الناسُ معه، والامر أمره.

فقال: «اما إنه شؤم عليه»، ثم سكت وقال لي: لابد ان تجري مقادير الله واحكامه، يا خيران مات الواثق، وقعد المتوكل جعفر، وقتل ابن الزيات.

قلت: متى جعلت فداك؟

فقال: «بعدخروجك بستة ايام».[1]

السند صحيح لولا «معلى بن محمّد» الذي مرّ عنه الكلام، ولكن يشفع له ان النجاشي لم يضعّفه صراحة، ونستطيع ان نأخذ بالرواية، وهي تدل صراحة ان الامام كان يتقصى الاخبار ويستطلع الاوضاع السياسية في الدولة والمجتمع، ولكن يبدو بكل وضوح أن الإمام كان حذراً في التعليق، فهو لم يتعد دائرة المنقول لتصحيح المعلومات الخاطئة لدى الراوي (خيران)، ولم يعلق بما يسيء الى السلطة الحاكمة بشيء، رغم ان (خيران كان من أخلص الناس أو من الثقاة المؤمنين، فنحن هنا لسنا بين يدي نشاط سياسي، بل بين يدي اطلاع سياسي، وأرى ان الايام الستة كافية في وصول الخبر.

في هذا السياق نحاول ان ندرس الثورات العلويّة في ذلك الوقت لنتعرف اكثر على سياسة الامام الهادي عليه السلام، ذلك ان بعض الباحثين يذهب الى ان الامام كان يدعم ويساند هذه الثورات.

لقد قامت ثورات علويّة كثيرة في زمنه عليه السلام ــ وخاصّة في فترة المتوكل، ويُعزى السبب في ذلك الى موقفه المتشدد من آل ابي طالب، ونعتقد انه من الضروري ان نقيّم ولو على نحو أوّلي الطابع العام لهذه الثورات. ومن الملاحظ في هذا الخصوص، ان اغلب هذه الثورات كانت بفعل وقيادة علويين من الاتجاه (الزيدي)، وهذا ليس بالمستغرب، لان من اساسيّات هذا المذهب الخروج بالسيف على السلطة او السلطان الظالم، فمن الثوار (محمّد بن القاسم ... بن الحسين)، نهض بثورته سنة ٢٥٠ هـ ايام المعتصم و(كان يذهب الىالقول بالعدل والتوحيد، ويرى رأي الزيديّة)،[2] فهو صاحب مذهب مزدوج، وفي سنة ٢٥٠هـ غلب على طبرستان ونواحي الديلم،[3] والمشهور انه من

---

(١) اعلام الورى، ج ٢، ص ١١٤.

(٢) المقاتل، ص ٣٨٤.

(٣) ن.م. ص ٤٠٦.

الزيديّة. وكان المتوكل يخاف كلاً من (احمد بن عيسى بن زيد وعبدالله بن موسى... بن الحسن بن علي بن ابي طالب) العلويين (... ويحذر حركتهما، لما يعلمه من فضلهما واستنصار الشيعة الزيديّة بهما، واطاعتها لهما لو ارادوا الخروج...)[1]، بل وعبدالله بن موسى (كان يذهب مذهب الشراة)[2]. وفي سنة ٢٥١هـ ظهر الحسين بن احمد ... بن الحسين بن علي بن ابي طالب) وكان جنده في الكوفة (جماعة من بني اسد ومن الزيديّة)[3]... ومن هذا اللون كثير. ومما يلاحظ في هذا الصدد ايضاً، ان بعض هؤلاء الثوار من العلويين لم يُحسنوا السيرة، بل كانوا اصحاب مطامع شخصية، وقد اساءوا كثيراً للمجتمع.

فهذا هو الثائر العلوي (اسماعيل بن يوسف ... بن الحسن بن علي بن ابي طالب) الذي خرج سنة ٢٥١ هـ (... قتل الجند وجماعة من اهل مكة، واخذ ما كان حُمل لاصلاح القبر من المال وما في الكعبة وخزائنها من الذهب والفضة وغير ذلك، اخذ كسوة الكعبة، واخذ من الناس نحواً من مائتي الف دينار، وخرج منها بعد ان نهبها...)[4]. والثائر العلوي (الحسين بن محمّد بن حمزة) الذي ظهر في الكوفة سنة ٢٥١هـ، وفي سنوات اخرى قد (أفسد... ولم يكن ممن يُمدح مذهبه ... ولقد رأيت جماعة من اهل الكوفة يعيرون من خرج معه بذلك ويسبونه به)[5]... وبعض الثورات كان بدافع شخصي، فيحيى بن عمر الطالبي الذي ظهر سنة ٢٥٠ في الكوفة بدعم جماعة من الزيديّة، ظهر بسبب ذل اصابه واهانة تلقاها من عمّال المتوكل. عمر بن فرج في خراسان ووصيف في سامراء.[6]

---

(١) ن.م. ص ٤١٧.

(٢) ن.م. ص ٤١٨.

(٣) الكامل، ج ٧، ص ١٦٤.

(٤) ن.م. ص ١٦٥.

(٥) المقاتل، ص ٤٣١.

(٦) الكامل ج ٧، ص ١٢٦، تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٨١.

لقد كانت هذه الثورات تقوم تحت شعار (الرضا من آل محمّد)، وليس المقصود بهذا الشعار الامام المعصوم الذي نؤمن به نحن، بل شعار عام، ولا ارى هذه الثورات كانت دائماً منبعثة من اهداف اجتماعيّة كبرى، وانما كانت تعبيراً عن سخط شخصي أو عائلي على السلطة بسبب الحرمان او الاضطهاد. وبعض الامثلة السابقة تدل على ذلك بوضوح، واوضح من هذا، هو (انه في عهد الخليفة المنتصر، الذي كان يميل الى أهل البيت، خلافاً لابيه وسلفه المتوكل، لم تحصل ثورة، ولم يجر منه على احد من العلويين قتل أو حبس أو مكروه...)، في حين ان الاوضاع العامّة لاتجاهات الخلافة ازاء المجتمع بقيت على حالها، أي لم يكن هناك ما يستدعي ايقاف تيار الثورة، اذا كانت ذات اهداف سياسيّة عريضة، تخص صميم المجتمع وقضاياه الكبيرة. في ضوء هذه المقتربات ماذا سيكون موقف الامام؟!

ان موقفه سلام الله عليه يتحدّد بمقدار وضوح الثورة ومدى جذريتها وجديّة برامجها. هذه ثورات عابرة، وقتية، كثيراً ما تأتي على شكل ردود افعال، والامام ذو نظرة ثاقبة تنفذ الى ما وراء الظاهر من الاحداث، ومن الجدير بالذكر أنه لم يحفظ لنا تاريخنا أي اشارة تكشف عن اشتراك موالي الامام بهذه الثورات، سواء من الوكلاء أم الرواة أم الثقاة أو الخدام، ماليّاً أو اعلاميّاً أو قتالياً، وربما كان سكوت هذه النماذج من الموالين، يسلط الاضواء على الموقف الحقيقي للامام: ان هؤلاء، وتحت القيادة المعصومة، كانوا منصرفين الى تجذير الاعتقاد الإمامي، والى تمتين العلائق الاجتماعية داخل الوسط. ان سياسة الامام ازاء هذه الثورات كانت (الحياد) على اقل تقدير. ويبدو لي ان الحفاظ على الكتلة الشيعيّة التي تبلورت عبر اكثر من قرنين من الزمن، كانت اهم عند الامام من الثورة غير المحسوبة بدقة، وبهذا حافظ سلام الله عليه على هذا الكيان العقيدي البشري المتكافل، وانا لا انفي ولا يمكن ان انفي، ان هناك ثواراً مخلصين مؤمنين ـ وهذا مؤكد .، ولكن هذا لا يكفي لاعطاء التأييد والشرعيّة فضلاً عن المشاركة والمساهمة، لان هذه المواقف

تعتمد على الاصالة العقيدية للثورة، وعلى مدى انسجامها مع قوانين التاريخ وقدرتها على توسيع وتكثير المفردات الايجابيّة. على ان العمدة في اكتشاف الموقف، هو الخبر، وهو هنا ضعيف.

يتوسل اصحاب النظرية المعاكسة ببعض الشواهد الهامشية، كأن يدعو الامام للثائر بالنصر، او يبكي لقتله، او يترحّم عليه، أو يعول أهله. وفي الحقيقة، ان هذه المفردات لا تشكل ادلة تاريخية بالمعنى العلمي. ان بعض المحققين لا يستند اليها في عملية التوثيق الرجالي، فكيف والموضوع يتعلق بثورة قد تفشل فتحرق الاخضر واليابس؟! فالدعاء بالنصر لا يُفهم منه بالضرورة الايمان بموضوعه، تماماً كالدعاء لاي مشروع آخر، رغم أنه لم يحرز رضا الداعي، وفي الواقع ان هذا النوع من المناقشة بالذات، يكشف عن ازمة هذا الدليل، والتاريخ شواهد حيّة، اذا اردنا ان نؤسس رؤية متماسكة.

هنا، في هذا الاطار نريد ان نعالج رواية مهمّة، ذلك ان الكامل يروي (ولما وصل الخبر بقتل يحيى جلس محمّد بن عبدالله يهنّا بذلك، فدخل عليه داود بن الهيثم ابو هاشم الجعفري، فقال: ايها الاميرا انك لتهنّأ بقتل رجل، لو كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حيّاً لعزي به...)،[1] والرواية موجودة في تاريخنا الخاص، ويحيى، هو «يحيى بن عمر... بن زيد .... بن الحسين» الذي مرّ ذكره، ومحمّد بن عبدالله، هو عامل الدولة على بغداد، وابو هاشم الجعفري من خلّص الشيعة الجعفريّة، عاصر الامام الجواد والهادي والعسكري، وكان ذا عارضة ولسان، وربما يستفيد البعض من هذا الموقف دليلاً على تأييد الامام لثورة هذا العلوي العظيم، ولكن هنا أورد اكثر من اشارة:

اولا: ان هذا لا يدل دلالة كافية على ان الامام كان راضياً بهذه الثورة، وفي

---

(١) المصدر، ج ٧، ص ١٢٩.

الحقيقة، ان هذا الثائر العلوي كان يستحق هذا الموقف، لانه اشتهر بالتدين وصفاء السريرة، وقد حاز بسبب ذلك هوى الناس، حتى قال ابو الفرج الاصفهاني (وما بلغني ان احداً ممّن قتل في الدولة العباسيّة من آل ابي طالب رُثي بأكثر مما رُثي به يحيى..).[1]

ثانيا: ان الموقف المذكور يدلّل على ان هناك تقديراً خاصّاً للامام الهادي عليه السلام عند الخلافة، فان (الجعفري) هذا من اكثر الناس التصاقاً بالامام، واعتقد ان ممّا شفع له بهذه الجرأة هو موقعه من الامام، كما ان عدم التعرّض له من قبل (محمّد بن عبدالله الطاهري) انما بهذا اللحاظ.

ثالثاً: من خلال تتبع اخبار الامام الهادي عليه السلام واصحابه لم نظفر بموقف مشابه، بل هناك صمت، سواء على صعيد الامام أم ثقاته من الوكلاء والرواة والعيون. الذي اريد ان اخلص اليه بعد هذا التعرض، اننا لم نعثر على اي دليل تاريخي واضح، يبرهن على ان الهادي سلام الله عليه كان يدعم هؤلاء الثوار، او انه يؤيد مشاريعهم الثورية.

(٣)

لقد انقسم العلويين اكثر من اتجاه في زمن الامام الهادي او الأئمة الأواخر، وارى من المفيد جداً ان نجلي هذه النقطة. ونقصد بالاتجاهات هنا الموقف السياسي ازاء السلطة الحاكمة بشكل عام. وليس من ريب ان هناك اكثر من اتجاه في هذا الخصوص، فان العلويين كغيرهم من البشر، تتأثر مواقفهم بمجمل الظروف التي تحيط بهم، وبالحامل العقيدي والمضمون الاخلاقي لكل فرد، وبالتالي، فان من المعقول جداً ان تتنازع العلويين المواقف المتعدّدة من السلطة، خاصة وانهم ابتلوا بالاضطهاد والقتل، وانهم جماعة متميزة في المجتمع الإسلامي.

---

(١) المقاتل، ص ٤٢٣.

الاتجاه الأول:

يتمثل في المظاهرين لبني العباس، المنخرطين في خدمة السلطة، وقد كانت بعض نماذج هذا الاتجاه معادين لأهل البيت، بل للائمة عليهم السلام، مارسوا الوشاية عنهم، ومن هؤلاء ـ على سبيل المثال ـ البحطائية. فقد (كان الحسن بن زيد بن الحسن بن اميرالمؤمنين اميراً على المدينة من قبل المنصور الدوانيقي، وكان مظاهراً لبني العباس على بني عمّه الحسن الثاني، وهو اول من لبس السواد من قبل العلويين...)[1]، وكان ابنه «القاسم بن الحسن» ... (مظاهراً لبني العبّاس على بني عمّه...)[2]. وكان ابن هذا الاخير «محمّد بن القاسم»... عاملاً على المدينة من قبل المتوكل، وقد سعى بالامام عليه السلام الى السلطان، متهماً اياه بالعمل ضد الخليفة!!. وقد ولّى الخليفة المعتز الكوفة «ابو احمد محمّد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب» بعدما هزم «مزاحم بن خاقان» عنها العلوي الذي ظهر بالكوفة سنة ٢٥١، اي «الحسين بن احمد بن حمزة... بن الحسين بن علي بن ابي طالب».[3] ومن هذه النظائر كثير،[4] ولم يكن هؤلاء يمثلون انفسهم، بل شرائح من اقاربهم وذويهم.

الاتجاه الثاني:

يتمثل في الثائرين والخارجين والرافضين، وكثير من هؤلاء ينتمون الى المذهب الزيدي، الذي نشأ بعد استشهاد الامام العظيم زيد بن علي، رحمة الله

---

(١) عمدة الطالب في انساب ابي طالب؟

(٢) عمدة الطالب في انساب ابي طالب.

(٣) تاريخ الكوفة، ص ٢٥٤.

(٤) ومنهم ـ مثلاً ـ موسى المبرقع بن محمّد الجواد (عمدة الطالب).

عليه. كان هذا النمط من العلويين يتمتعون بشعبيّة عريضة في الكوفة وخراسان، وقد شكلوا مصدر قلق وازعاج للخلافة العباسيّة، خاصّة المتوكل.[1] وتتحدث المصادر كثيراً عن التفاف الناس حول الثوار العلويين من تبعة المذهب الزيدي، ممّا اثار حفيظة الخلفاء العباسيين، وبالتالي، كان مدعاة لمجازر متوالية في الشيعة، وبالخصوص في شيعة الكوفة.

وكما ذكرت آنفاً، ان بعض هؤلاء الثوار لم يُحسنوا السيرة، وقد أهمل ابوالفرج الاصفهاني ذكر كثير منهم لهذا السبب، فهو يقول (... مقتصرون في ذكر أخبارهم على من كان محمود الطريقة سديد المذهب، لا من كان خلاف ذلك، او عدل عن سبيل أهله، ومذاهب اسلافه، او كان خروجه على سبيل عيث وفساد...).[2] ورغم ذلك، فان بعض من سرد سيرتهم عاث وافسد!!

الاتجاه الثالث:

وهو الاتجاه الوسطى اذا صحّ التعبير، لا يثير السلطة ولا يندك بها، وهو اتجاه دبلوماسي بشكل عام، يرمي الحفاظ على نفسه واهله وجماعته اذا كان زعيماً روحياً وفكريّاً، وكان الأئمة الاواخر من أهل البيت عليهم السلام نموذجاً رائعاً في تمثيل هذا الاتجاه العقلاني الموضوعي، يداري ويقاطع، ينتقد في حدود مرسومة، ويظاهر عند الضرورة، من غير أن يساء فهمه. أو يكون واجهة دعاية واعلان، يوازن في الموقف بين المصلحة والمفسدة بدقة وفن، وقد استطاع هؤلاء الأئمة الابرار بناء الكتلة الصالحة والجماعة المؤمنة. ولولا هذه السياسة الحكيمة لما حُفظ التشيع والشيعة.

ولقد تعاملت السلطة مع هذه الاتجاهات وفق مقاييس دقيقة، أغدقت

---

(١) مقاتل الطالبين، ص ٤١٧.

(٢) المقاتل/ المقدمة ص ٢.

العطاء على العلويين الذين انخرطوا في ركابها، وقتّلت الثوار، ومارست لعبة القط والفار مع اصحاب الاتجاه الثالث، وليس سراً، ان خلافاً بين اجنحة البيت العلوي كان ينشبُ بين فترة واخرى، وللسلطة دور في ذلك.

ان ما يلفت النظر حقاً هو علاقة الامام الهادي بالعلويين، فاننا اذا قمنا بعملية مراجعة للدوائر التي تحيط به، سنجد هناك ندرة على الصعيد العلوي ـ لقد عُدّ اصحاب الامام بـ (١٧٧) رجلاً بين ثقة ومهمل ومطعون، ليس فيهم من العلويين ما يزيد على اصابع اليد الواحدة، وهم بالتحديد (الحسن بن علي ... الاطروش، عبدالعظيم الحسيني، ابو هاشم الجعفري).[1] ولم نجد له وكيلاً من العلويين، ولم نقرأ اسماً لهم في زمرة ثقاته!! وانا أعلم ان بعض الكتاب سوف يبررون ذلك بالسريّة، وبان هذه الظاهرة من علائم التخطيط وغيرها من المبررات الاخرى، وكل هذه مجرد دعاوى وتعلاّت، من العسير قبولها، خاصة وانها تفتقر الى الشواهد والامارات، والتاريخ لم يُفصح لنا عن معلومات تجلي هذا الامر، بل اكثر من هذا، فان من العلويين من أساء الى الامام وناصبه العداء وعرّضه للسجن والموت. ومن الغريب ان نجهل علاقته باقرب الناس اليه، اي أخيه (موسى بن محمد ... المبرقع)، بل هناك من يتهمه بالاساءة الى الامام، وان كانت الرواية ضعيفة كما مرّ بنا.

---

(١) وجعفر بن محمّد بن جعفر ... بن الحسن بن اميرالمؤمنين.

الفصل الرابع

اصحابه وتلاميذه ... الشخصيّة والدور!

ذكر الشيخ الطوسي في كتابه الرجالي المعروف (مائة وخمسة وثمانون) صحابياً للامام علي بن محمد الهادي عليه السلام، وكإحصاء أوّلي، يمكننا ان نصنفهم وفق الخريطة التالية:

اولاً: ان هناك اكثر من خمسين من هؤلاء الاصحاب «ثقاة» وخمسة عشر غالياً والباقون لم يوثقوا أو اختلف في توثيقهم «نادر جداً».

ثانياً: ان ثقاة الامام هؤلاء منهم بغدادي وكوفي وقمي و بصري.

ثالثاً: من هؤلاء الاصحاب وكلاء وخدم.

ونريد هنا ان نستجلي بعض الحقائق ـ بخصوص «ثقاة» الامام ـ التي من شأنها أن تكشف عن دور الامام ووضع الشيعة والتشيع في ذلك الوقت.

والطريقة التي افضلها هنا، هي ان نترجم للثقة ومن ثم نستكشف بعض المقتربات التي تصب في الموضوع الذي نحن في صدده.

١ ـ احمد بن اسحق بن عبدالله بن سعد الاشعري.

هذا الرجل كان من ثقاة الامام الهادي، فهو سائر على خطه ملتزم بأمامته، ولكن ما قيمة هذا الايمان؟! نستطيع ان نعرف ذلك من الخصائص والمزايا التي عرف بها.

قال النجاشي (احمد بن اسحق ... الاشعري: كان وافد القميين، وروى عن ابي جعفر الثاني وابي الحسن عليهما السلام، وكان خاصّة ابي محمّد عليه السلام. قال ابو الحسن الحميري: ... رأيت من كتبه: كتاب علل الصوم ....

مسائل الرجال لأبي الحسن، جمعه ...).[1]

قال الشيخ الطوسي (احمد بن اسحق... الاشعري كبير القدر، وكان من خواص ابي محمّد عليه السلام، ورأى صاحب الزمان عليه السلام، وهو شيخ القميين ووافدهم...).[2]

نكتفي بهذا القدر لنعرف:

* ان هذا الرجل عاصر ثلاثة أئمة (الجواد، الهادي، العسكري). وقد استدل السيد الخوئي رحمه الله على بقائه بعد «العسكري» اضافة الى ما ذكره الطوسي بعدّة روايات.[3]

* لقد كان هذا الرجل من خاصّة ـ العسكري ـ وهذا يعني انه مرّ بتطور خلال علاقته بالامامين السابقين، اي الجواد والهادي، وانه كسب ثقتهما الكبيرة، ويكشف عن عمق تجربته بالأمامة والتشيع. فالخاصة هنا مصطلح دقيق، لا يشير الى جوانب معرفية فقط، بل الى جوانب اخرى، لعلّ منها ذات طابع نظمي، يتصل بوضع الشيعة الاجتماعي والسياسي.

* وتقول الترجمة (... وكان وافد القميين...)، اي هو مبعوث القميين الى الأئمة الهداة، يوصل لهم ويأخذ منهم، ولا اعتقد ان ذلك على مستوى الاحكام الشرعية فقط، بل الاموال والتوجيهات والأخبار. والميزة تكشف عن منزلة هذا الرجل عند القميين أيضاً.

* ان هذا الرجل الثقة كان من المؤلفين، كتب في الصوم وغيره.

وبالتالي، فان الرجل: ثقة، عالم، صاحب تجربة ثريّة بالائمة من اهل البيت عليهم السلام. كان مبعوث القميين الى الأئمة، من خاصّة والد المهدي، راوية

---

(١) رقم (٢٢٥).

(٢) رقم (٧٧).

(٣) معجم الخوئي ٢/ ٤٣٣ ـ ص ٤٩.

... وبهذا لا يمكن ان نهمل شهادة هذا الرجل في انقياده للامام الهادي، فهي عن علم ودراية. واذا كانت فكرة (الامامة الاثني عشريّة) هي اساساً من صنع الكوفة كما يعتقد احد الكتاب، فأين نضع ايمان هذا الرجل وغيره من القميين، علماً ان اهل «قم» كانوا من المتشددين في المدينة، ولهم رأي خاص بالعصمة يقترب من فكرة علماء السنة؟!

٢ ـ الحسين بن سعيد بن حماد الاهوازي:

قال الشيخ (... بن حماد الاهوازي: من موالي علي بن الحسين عليه السلام، ثقة، روى عن الرضا وابي جعفر الثاني وابي الحسن الثالث، واصله كوفي. وانتقل مع أخيه الحسن الى الاهواز ثم تحوّل الى قم، فنزل على الحسن بن ابان، وتوفي في قم وله ثلاثون كتاباً...).[١]

« ان هذا الثقة الجليل هو «ورِيث» عائلة كانت في خدمة أهل البيت عليهم السلام ومما يذكر هنا، ان «الحسن بن سعيد»، كان هو الآخر من الرواة العلماء، وقد جاء في ترجمته، في النجاشي (الحسن بن سعيد... بن حماد بن مهران مولى علي بن الحسين عليه السلام... شارك أخاه الحسين في الكتب الثلاثين المصنّفة... وكتب ابني سعيد حسنة، معول عليها وهي ثلاثون كتابا...)[٢]، فهي عائلة محيطة بعلم آل محمّد عليهم السلام.

انتقل الحسين بن سعيد مع اخيه الحسن الى الأهواز ثم الى «قم» وسكن هناك ومات بها، ومن هنا نفهم، ان الرجل صاحب تجربة جيّدة في الوسط الشيعي، مكث في مفاصل الوجود الشيعي الاصيل (الكوفة، الاهواز، قم)، ويبدو ان تراث الرجل كان محل عناية القميين، فقد رواها النجاشي عن اكثر من

---

(١) الفهرست رقم (٢٣١).

(٢) رقم (١٣٧).

واسطة، ومما جاء في هذا السياق (... واما الحسين بن الحسن بن ابان القمي. فقد حدّثنا محمّد بن احمد الصفواني. قال: حدثنا ابن بطّة عن الحسين بن الحسن بن أبان، وانه اخرج اليهم بخط الحسين بن سعيد، وانه كان ضيف أبيه، ومات بقم، فسمعه منه قبل موته.[1]

وقد كان من كتبه «الرد على الغالية» ممّا يدل على اهتمامه البليغ بتنقية الوسط الشيعي من هذه الآفة الخطيرة، التي كان الائمة الاواخر، خاصة الهادي والعسكري يعانون منها. وفي الواقع: ان لمثل هذا الوزن الرفيع دلالة اذا آمن بامامة الهادي عليه السلام، وليس من ريب ان هذه الترجمة البسيطة تكشف عن مدى التعاون العلمي والتكافل الاجتماعي بين الشيعة في ذلك الوقت، ومما يذكر في هذا السياق، ان ابن «الحسين بن سعيد» المسمّى «احمد بن الحسين بن سعيد» كان متهماً بالغلو ـ كما يقول القميون .. ففي النجاشي (احمد بن الحسين ... الاهوازي ... روى عن جميع شيوخ أبيه، الاّ حماد بن عيسى فيما زعم اصحابنا القميون، وضعّفوه فقالوا: هوغالٍ وحديثه يعرف وينكر).[2] ومن هذا النص نستفيد ما يلي:

أ ـ ان انتساب (احمد الى عائلة شيعية ملتزمة لم يشفع له في تقييم حديثه ورواياته، وهذا يعرّفنا جيداً، بان الموضوعيّة كانت سائدة في عمليّة التقييم هذه.

ب ـ ان المجتمع القمي كان يمتلك حسّاسية علميّة رائعة إزاء الغلاة.

مهما يكن من امر فإن انقياد مثل الحسين بن سعيد الاهوازي واخيه الى أمامة الهادي عليه السلام ذو مغزى كبير، لانه عالم، فقيه، ثقة، مجرّب، مؤلف، مقبول في الوسط الشيعي، وخاصة على صعيد العلماء والمحدثين.

---

(١) النجاشي رقم (١٣٧).

(٢) رقم (١٨٣).

٣- علي بن مهزيار الاهوازي:

قال النجاشي (علي بن مهزيار الاهوازي، ابو الحسن، دروقي الاصل، مولى، كان ابوه نصرانياً فأسلم ... ومنّ الله عليه بمعرفة هذا الامر وتفقهه، وروى عن الرضا وابي جعفر عليهما السلام، واختصّ بأبي جعفر الثاني، وتوكل له، وعظم محله منه وكذلك ابو الحسن الثالث عليه السلام، وتوكل لهم في بعض النواحي، وخرجت الى الشيعة فيه توقيعات بكل خير، وكان ثقة في روايته لا يطعن عليه، صحيحاً اعتقاده وصنّف الكتب المشهورة، وهي مثل كتب الحسين بن سعيد وزيادة...).[1]

ويذكر الكشي اكثر من كتاب بينه وبين الامام ابي جعفر الثاني، ومهما يكن هذا الرجل الثقة، كان صاحب تجربة دينية عميقة، خاصة والاخبار تشير الى انه (كان من اهل الهند، كان في قرية من قرى فارس، ثم سكن الاهواز...)[2]، بل يظهر من مكاتباته للامام ابي جعفر انه كثير السفر، وكان واعياً لطبيعة المرحلة، خاصّة الفكرية، ذلك ان من كتبه (الرد على الغلاة)، بل يبدو انه محيط حقاً بالعقيدة الامامية، لان من كتبه (كتاب القائم)[3]، وهذا يشير الى ان عقيدة المهدي كانت مختمرة في الذهن الشيعي آنذاك، وان ذلك كان قبل الامام العسكري عليه السلام، فان (بقاء علي بن مهزيار الى زمان الامام العسكري عليه السلام لا اساس له)[4]. فعلي بن مهزيار كان ذا وزن ثقيل، سواء على صعيد الفكر والتأليف أم الحركة، وقد شهد له بالتدين الجميل، وتلاحظ قيمته الاجتماعية في كلام النجاشي عند (... وتوكل لهم في بعض

---

(١) رقم (٦٦٤).

(٢) الكشي.

(٣) فهرست الشيخ (٣٨١)، النجاشي (٦٦٤).

(٤) معجم السيد الخوئي، ج ١٢، ص ١٩٨.

النواحي...) فهذا النص يشير الى ان الرجل كان طاقة متحركة في خدمة الامام والشيعة.

٤ ـ الفضل بن شاذان النيسابوري:

قال النجاشي (... ابو محمّد الأزدي النيشابوري، كان ابوه من أصحاب موسى، وروى عن ابي جعفر الثاني، وقيل عن الرضا عليهما السلام، وكان ثقة، أحد اصحابنا الفقهاء والمتكلمين، وله جلالة في هذه الطائفة، وهو في قدره اشهر من ان نصفه، وذكر الكنجي انه صنّف مائة وثمانين كتاباً...).[١]

هذا علم آخر، يمتاز على سابقيه بانه خرّيت في علم الكلام، ومراجعة لأسماء الكتب التي ألّفها الفضل سنجد ان أغلبها يصبّ في علم الكلام،[٢] ونلتقي ايضاً بتلك العلامة ذات الدلالة المهمّة، ذلك ان من كتبه (الرد على الغلاة) وكتاب (القائم عليه السلام)، على ان الفضل بن شاذان كان يشكل نقطة وصل بين الاعلام المتقدمين وعصره، اذ يقول عن نفسه (... انا خلف لمن مضى، ادركت محمّد بن ابي عمير وصفوان بن يحيى وغيرهما، وحملت عنهم منذ خمسين سنة، ومضى هشام بن الحكم رحمه الله، وكان يونس بن عبدالرحمن رحمه الله خلفه، كان يرد على المخالفين، ثم مضى يونس بن عبدالرحمن ولم يخلف خلفاً غير السكاك، فردّ على المخالفين، وانا خلف لهم من بعدهم رحمهم الله)،[٣] وبهذا يكون الفضل قد ادّى دوراً مفصليّاً في تاريخ الفكر الشيعي، ويبدو ان لفكره دوراً مؤثراً، الامر الذي جعله محل رقابة السلطة، ففي الكشي (ذكر ابو الحسن محمّد بن اسماعيل البندقي

(١) رقم (٨٤٠).

(٢) فهرست الشيخ (٥٦٤).

(٣) الكشي: ١٠٢٥.

النيسابوري: ان الفضل بن شاذان بن الخليل نفاه عبدالله بن ظاهر عن نيسابور، بعد ان ادعى به واستعلم كتبه، وامره ان يكتبها، قال: فكتب تحته: الإسلام الشهادتان وما يتلوهما، فذكر: انه يجب ان يقف على قوله في السلف. فقال ابو محمّد: اتولى ابا بكر واتبرأ من عمر، فقال له: ولم تتبرأ من عمر؟ فقال: لاخراجه العباس من الشورى، فتخلّص منه بذلك).[1] والرواية يمكن الركون اليها، لان البندقي وان لم يرد فيه مدح الاّ ان موضوع الرواية لا يشكل قضيّة خطيرة ذات بعد مناقبي أو دعائي، الاّ ان (امارة التقية في قول الفضل ظاهرة ويؤكد ذلك، انه لا يوجد في المسلمين من يتولى أبا بكر ويتبرأ من عمر...)[2]، ويبدو من الاخبار انه كان ذا موقع اجتماعي كبير في الوسط الشيعي في نيسابور.

في اعتقادي ان اهم نقطة في هذه الشخصية، هو كونها واسطة التواصل بين الرعيل الشيعي المتقدم في زمن الائمة الاواسط وبين الائمة الأواخر، فهو يروي عن ابن ابي عمير (٣٤٤مورداً)، وحماد بن عيسى (١٠٠ مورد) وصفوان بن يحيى (١٨٩) مورداً، ومحمّد بن سنان، وغيرهم من نجوم المرحلة المتوسطة من تاريخ التشيع الامامي الاثني عشري، وبهذا فان ايمانه بالامام الهادي وانقياده له لم يكن من فراغ، وانما عبر تجربة علميّة متوارثة، دقيقة، ومما يزيد هذه الحقيقة قوّة، ان ابا الفضل (شاذان بن الخليل) كان من الثقاة الاعلام، احد الفقهاء والمتكلمين، وكان من اصحاب الرضا والجواد عليهما السلام.[3]

---

(١) الكشي رقم (١٠٢٤).

(٢) معجم الخوئي، ج ١٢، ص ٢٩٤.

(٣) معجم الخوئي، ج ٩، ص ٨.

ان مراجعة بسيطة لهذه العينات من الاصحاب تكشف عن وجود ثُلّة مؤمنة عالمة ذات كفاءة غير عاديّة على صعيد الفكر والرواية، وهذه الثلة قامت بدور كبير في حفظ التشيع وذلك من خلال استذكار الكتب التي الفتها. ومن الملحوظ في هذا الجانب الطابع الفقهي في الكثير من هذه الكتب. فان قراءة العناوين تبرهن على تغطيتها لموضوعات الفقه على تنوعها وتشعبها. ومن الطبيعي ان يكون الغالب على مضمونها الحديث والرواية والسيرة، واكثر هذه الكتب مرويّة عن طريق العلماء الثقاة، وبالتالي هي متداولة علماً ودراسة وقراءة، ومن هنا أعتقد أن الشيعة لم تكن في حاجة الى مرجعيّة حديثيّة ملحّة في ذلك الزمان، فان هؤلاء الرواة كانوا قد نقلوا تراث الباقر والصادق والكاظم والرضا، وكان هذا التراث متداولاً معمولاً به. على ان النقطة التي ينبغي الاشارة اليها في هذا السياق، ان بعض هؤلاء الاصحاب كانوا على صلة بالسلطان، وذلك رغم نزاهتم الدينية ومنزلتهم العلميّة وقربهم من الامامة وفارسها، ومن الامثلة على ذلك:

أ ـ أحمد بن محمد بن عيسى الاشعري القمي:

قال النجاشي (أحمد بن محمد... الاشعري ... يكنى أبا جعفر ... شيخ القميين ووجيههم، وفقيههم غير مدافع وكان ايضاً الذي يلقى السلطان...).[1]

وهذا الرجل الثقة كان سليل عائلة علميّة ووجاهيّة معروفة، وقد تصدّى للغلاة في قم، له وزنه الاجتماعي الكبير في المجتمع الشيعي، وعلاقته بالسلطان ليست عابرة، بل كزعيم قمي فاعل ومسؤول؛ ولذا لا اعتقد ان قربه من السلطان كان بعدم رضا الأئمة عليهم السلام، كما لا اعتقد ان السلطان كان جاهلاً بعلاقة الرجل بالامام والشيعة والتشيع.

---

(١) رقم (١٩٨).

ب ـ محمّد بن علي بن عيسى القمي:

قال النجاشي: (محمد بن علي ... كان وجيهاً بقم. واميراً عليها من قبل السلطان... له مسائل لابي محمّد العسكري عليه السلام).[١]

هذا نموذج آخر، انه ثقة عالم، وفي الوقت نفسه هو المسؤول عن ادارة «قم» سياسيّاً واداريّاً من قبل السلطان، ومن الطبيعي في مثل هذه الحال، ان يكون على علاقة اسميّة بالسلطان في حين كان من اصحاب الامام، بل كتب مسائله! ولا أتصور ان السلطان كان جاهلاً بمذهب واتجاه (محمّد بن علي ... القمي).

جـ ـ يعقوب بن اسحق السكيت:

قال النجاشي (يعقوب بن اسحق السكيت... كان متقدماً عند ابي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام، وكانا يختصّان به، وله عن ابي جعفر عليه السلام رواية ومسائل، وكان وجيهاً في علم العربيّة... ثقة، مصدقاً لا يطعن عليه...).[٢]

هذا الرجل الذي كان قريباً جداً لهذين الامامين، كان معلّماً للمعتز والمؤيد ابني المتوكل!! والمتوكل من الدّ اعداء علي بن ابي طالب والعلويين بصورة عامة، فكيف جمع بين هذا وذاك؟! ويقال ان المتوكل قتله لانه رفض تفضيل ابنيه على الحسن والحسين! حقاً ان مثل هذه الظواهر في تاريخ اصحاب الائمة تستوجب اعمال النظر.

هذه ثلاثة نماذج مهمّة، تدعو الى التأمل العميق. ترى هل الامر راجع الى تخطيط مقصود؟! أم هي طبائع الاشياء تسير على سجيتها، وكل ظاهرة محكومة بظروفها وتقدير فرسانها وابطالها؟! الذي أعتقده ان القضية برمّتها

---

(١) رقم (١٠١٠).

(٢) رقم (١٢١٤)

قائمة على محاكمة الأمر في سياق ظروفه، وليس هناك تخطيط مسّبق ابداً، وهذا بطبيعة الحال لا ينفي ان يستفيد الامام من الموقع السياسي لاصحابه، وان هؤلاء الاصحاب لا يتلقون توجيهاً من الامام، ولكن بصورة عامة، هناك أمر واقع، والموقف يتحدّد في ضوء هذا الواقع.

ان هذه المسألة تدعو الى الدراسة لان هناك من خواص الأئمة جداً مَنْ يتمتعون بعلاقة طيبة مع السلطان، كان ذلك صراحة وعلناً، وان هؤلاء الخواص من العلماء والمجاهدين، ربما تجمعهم مع الامام صلة القرابة القريبة، فضلاً عن الايمان والانقياد فهناك مثلاً «داود بن القسام الجعفري ابو هاشم»، فقد ترجمه الطوسي قائلاً:

(... من اهل بغداد، جليل القدر، عظيم المنزلة عند الائمة، وقد شاهد جماعة منهم الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الامر(ع).. وكان مقدماً عند السلطان).[1]

فأبو هاشم كان على علاقة حميمة بالأئمة، من خواصّهم الممدوحين المعروفين المعتمدين، ولكنه في الوقت نفسه صاحب حظوة ومنزلة عند السلطان العباسي، بل تشير بعض الاخبار إلى انه كان سليط اللسان مع ولاة الخلافة وعمّالها، خاصّة فيما يتعلق بشوون الائمة عليهم السلام، فماذا يعني هذا؟! بصرف النظر عن التأويلات البعيدة، يمكننا ان نتماشى مع التفسير العادي للامور، فربما شخصية ابي هاشم وبعض مزاياه تفسح له مثل هذه الفرصة، وفي السياق يتم استثمارها والاستفادة منها، واستبعد هنا قضية التخطيط المركزي الموجّه، لان الشواهد على مثل هذا الاستنتاج غير متوفرة، على ان هذه الظاهرة، تدل على ان الأئمة ـ او ان الشيعة ـ لم يتقاطعوا مع السلطة بشكل مطلق، وانها قد تعطينا درساً في المناورة السياسيّة، ونموذجاً في التعامل مع

---

(١) الفهرست رقم ٢٧٦.

اصحاب القوة وصنّاع القرار، والمرتكز الاساسي هو تقدير الواقع، وفي ضوئه يمكننا ان نفهم هذه المفارقة، ففي الوقت الذي كان فيه أحد اصحاب الائمة وهو «عبدالعظيم الحسيني» مطارداً، كان «ابو هاشم» مقدّماً عند السلطان.

وفي الحقيقة: ان اهم نقطة تدعو الى التأمل في اصحاب الائمة، بما فيهم الهادي عليه السلام هو عطاؤهم العلمي. ومن المعروف ان الرواية عن الامام الهادي قليلة، واقصد الرواية الصحيحة، وهذا يدعونا الى النظر بتأليف هؤلاء الاصحاب، ولو على صعيد العناوين، ونحن لو رجعنا الى هذه العناوين لوجدنا انها تغطي حاجتين بشكل عام:

الاولى: الحاجات الفقهية، وهذا ما نستشفه بوضوح من مؤلفات بعض هؤلاء الاصحاب، فمن كتبهم مثلاً (كتاب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الصوم... كتاب التجارات، كتاب الوصايا، كتاب الفرائض، كتاب الشهادات...) الى غيره من ابواب الفقه، واعتقد ان الطابع الغالب عليها هو «الرواية» عن الائمة السابقين.

الثاني: الحاجات العقديّة، وهذا ما نستشفه بوضوح من مؤلفات الفضل بن شاذان مثلاً (كتاب المسائل الاربع في الامامة. كتاب الرد على ابن كرام، كتاب النقض على الاسكافي في الجسم، كتاب الجواهر والاعراض، كتاب الوعيد والمسائل في العالم وحدوثه، كتاب الرد على الغلاة، وكتاب الرد على المثلثة...).

ولا نملك معلومات عن علاقة الامام بهذه المؤلفات والكتب، ترى هل كان يطلع عليها مثلاً؟! هل كان يمضيها؟! ربما هناك شاهد او شاهدان لكتاب او كتابين، ولكن هذا لا يساعد على تأسيس رؤية واثقة في هذا الخصوص.

اذا كان بعض الاصحاب رواة ومحدثين، تكفلوا بحمل العلم وحفظه، فان منهم وكلاء، تبوّأوا مهمة تسيير النظم وإدارة شؤونه بشكل عام، منهم:

١ـ إبراهيم بن محمّد الهمداني:

قال الكشي (... محمّد بن سعد بن مزيد ابو الحسن، قال حدّثنا محمّد بن

جعفر بن ابراهيم الهمداني، وكان وكيلاً، وكان حجّ اربعين حجّة...).

اي وكيلاً عن الامام الهادي عليه السلام، والمعروف عن هذا الرجل انه كان من اصحاب الرضا والجواد عليهما السلام، لم يوثق.

٢- علي بن مهزيار:

وقد مضى عند الحديث مفصّلاً، ويبدو انه كان وكيلاً لاكثر من امام ولاكثر من ناحية، في غاية الثقة والامانة.

٣- علي بن جعفر الهمّاني:

قال الشيخ: (علي بن جعفر، وكيل ثقة).[١]

قال: (علي بن جعفر قيم لابي الحسن عليه السلام ثقة).[٢]

اذن هذا وكيل ثقة، ولكن ورد في خصوصه اكثر من خبر، من الضروري تجليتها... وجاءت هذه الاخبار في الكشي.

فقد روى الكشي ان المتوكل حبسهُ باعتباره وكيلاً، وان امره عُرض على المتوكل لاطلاق سراحه، ولكن الخليفة رفض ذلك باعتبار الوكالة المذكورة، فكتب الى الامام يشكو حاله في السجن ويخاف على نفسه الشك، فوعده الامام ان يقصد الله فيه، وبالفعل أطلق سراحه (وصار الى مكّة بامر ابي الحسن (ع) فجاور بها...).[٣]

الرواية ضعيفة بضعف راويها الاساس الذي هو (يوسف بن السخن).[٤]

وروى الكشي ان الامام الهادي عليه السلام امتدح «علي بن جعفر الهمّاني»

---

(١) اصحاب الهادي رقم: (١٥).

(٢) اصحاب العسكري رقم (١).

(٣) رقم: (١١٢٩) (١١٢٠).

(٤) معجم السيد الخوئي ٢٠/١٢٧٩٤.

في مقايسة بينه وبين فارس بن حاتم القزويني، وكان المدح عالياً جداً (... ليس عن مثل هذا ـ اي علي بن جعفر ـ يسأل ولا في مثله يشك، قد عظم الله قدر علي بن جعفر).[1]

وفي رواية اخرى (... وقد عظّم الله من حُرمة العليل ـ اي جعفر بن علي الهمّاني ـ ان يقاس عليه القزويني..).[2]

قال السيد الخوئي (ان هذه الروايات كلها ضعيفة).[3]

والذي نخلص اليه، ان «جعفر بن علي» كان وكيلاً وثقة في آنٍ واحد، الاّ اننا لا يمكن ان نعتمد على الروايات الضعيفة في ترسيم حياة هذا الوكيل اكثر من هذه الاشارة، خاصّة فيما يتعلق بسجنه، فإنها رواية ضعيفة.

هذه نماذج من وكلاء الامام الهادي عليه السلام، ويبدو ان الوكالة اجراء نظمي، ولذا قد لا يشترط فيها الوثاقة بالمعنى الاصطلاحي.

وهنا ادرج ما يلي:

أولا: من السرد السابق نفهم جيداً وبوضوح، ان اصحاب الامام، خاصّة الثقاة، كانوا عصب التشيع، وان ادوارهم كانت مفصليّة وقاطعة، بل لولا هذه الثلة من المؤمنين الصادقين لتوقفت حركة العامة عن العطاء والبناء، وبالتالي، يمكننا ان ندرك مدى الخطأ الذي يقع فيه بعض الدارسين، عندما يهمل هذا الدور الهام للاصحاب، وذلك من خلال التركيز عن الامام وحده، او بشكل رئيسي.

ثانيا: لم يكن من اصحاب الامام عليه السلام وثقاته علويون او هاشميون الاّ نادراً جداً، وهذه الظاهرة غريبة وينبغي ان تفسّر، وانا استبعد ان يكون

---

(١) رقم: (١٠٠٥).

(٢) رقم: ١٠٠٩.

(٣) معجم السيد الخوئي، ج ١١/ ٧٩٦٨، ص ٢٩٦.

سبب ذلك تخطيط مقصود من قبل الامام[1] للاسباب التالية:

أـ ان هذه القاعدة منقوضة بوجود المصداق المعاكس، كما هو الحال في الثقة الجليل أبي هاشم المعروف بلسانه السليط ومواقفه الشجاعة.

ب ـ ان عدد اصحاب الامام كما هو مذكور في كتاب الشيخ مائة وخمسة وثمانون شخصاً، وعليه فان وجود عدد من العلويين او الهاشميين بنسبة قليلة الى هذا الكم لا يشكل خطراً ملحوظاً.

جـ ـ جاء على الامام اكثر من عصر ارتفع به الخوف والضغط على العلويين والهاشميين، فلا داعي لمثل هذا التخطيط، كما ان ظاهرة أبي هاشم يمكن ان تكرر.

د ـ ان مثل هذه التخوفات والتحفظات تكون معقولة في حالة الوكالة ـ مثلاً ـ أو نشاط يقترب من شؤون الحال والنظم، أمّا في حالة الرواية عن الامام، فهي لا تشكل ذلك الخطر المعهود، وقد كان هناك محدثون عن الامام لم يذلهم خطر السلطان، مع انهم رواة من الوزن الثقيل.

وفي الحقيقة ان هذه الظاهرة لا تخص الامام الهادي وحده، بل هي ملموسة مع بقية الائمة عليهم السلام، ولنا ان نتصفح كتاب الشيخ الطوسي كي نتأكد من ذلك، لنأخذ مثلاً اصحاب الامام الباقر، فسوف نصطدم بهذا الفراغ المثير، فان اصحابه من العلويين والهاشميين يدخل في مفهوم الندرة بمعنى الكلمة، واعتقد، ان سبب هذا الفراغ، هو ان البيت العلوي والهاشمي كانت تتنازعه تيارات وزعامات، كما انهم اختلفوا في الموقف من السلطة والسياسة والمجتمع، فضلاً عن انصراف الكثير منهم الى العمل التجاري، وربما يكون للتضييق على الامام دور في هذه الندوة الموسعة ولذا، لا نستغرب ان اكثر تلاميذ واصحاب الامام اخلاصاً ورواية لم يكونوا من هذا النسب الطاهر.

---

(١) لاخفاء تحركه او لحماية العلويين او لاضطلاعهم بمهام سريّة خفية.

الفصل الخامس
جهاده العلمي

من العلائم الملفتة للنظر في تراث الامام العظيم «علي بن موسى الرضا»، اي الامام الثامن عليه السلام، انه اكثر وبدرجة غالبة الرواية عن أبائه عليهم السلام. فكان كثيراً ما يقول: (... حدّثني ابي موسى بن جعفر، قال: حدثني ابي جعفر بن محمّد، قال: حدثني ابي محمّد بن علي، قال: حدثني ابي علي بن الحسين، قال: حدثني ابي الحسين بن علي، قال: حدّثي رسول الله (ص)...).

وقد تتابع هذا الاسناد في كتاب (عيون اخبار الرضا) الجزء الثاني لاكثر من مائة وثمانين شاهداً.[1] وقد يكون عن صيغة اخرى (... حدّثني علي بن موسى الرضا عن ابيه موسى عن ابيه جعفر عن أبيه محمّد عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن علي، قال: قال رسول الله (ص)...)، وبهذا الاسناد عشرات من الروايات المبثوثة في كتاب (العيون) الذي جمع فيه «الصدوق» اخبار الامام الرضا عليه السلام. وفي الواقع: هذا هو الاساس في كل روايات الائمة عليهم السلام، بما فيهم الصادق.[2] وهو السبب الذي تذرع به (زرارة بن أعين) في تلمذته على يدِ الصادق دون غيره، ولكن هذه الظاهرة بلغت ذروتها على لسان الامام الرضا...

---

(١) عيون اخبار الرضا، ج ١(٢٨ ـ ٥٣).

(٢) ففي اكثر من رواية صحيحة، ان حديثه انما هوَ حديث ابيه عن جده عن رسول الله، وان كان السند خالياً من ذلك. فطبق كلامه نفهم انما يروي عن آبائه عليهم السلام.

لماذا؟!

اعتقد ان هناك اكثر من سبب موضوعي، منها على سبيل المثال:

اولاً: ان الامام الرضا يريد مواجهة (الواقفة) الذين توقفوا عند الامام موسى الكاظم عليه السلام. فان هذا الرجوع الى الآباء يؤكد موضع الرضا الامتداي بهم على صعيد القيادة الفكرية والروحية خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار نقطتين اساسيتين:

أ ـ ان هذا الرجوع كان في غالب الاحيان ينصبّ على «الاحكام الفقهيّة»، فيما نجد الموضوعات العقدية التي تتعلق بالله وتوحيده وصفاته وملائكته والنبوة وموضوعاتها والأمامة واشكالياتها... في مثل هذه القضية يتفرد سلام الله عليه في الجواب عليها ومعالجتها، ونادراً ما يروي ذلك عن آبائه عليهم السلام، يروي احياناً عن آبائه شيئاً من التاريخ.

ب ـ ان الامام الرضا سلام الله عليه حصر هذا الرجوع بآبائه فقط، متسلسلاً الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الامر الذي يهدف من ورائه حصر العلم بهؤلاء الاطهار، ومن ثم البرهنة على انهم الورثة الحقيقيون للنبي العظيم، وفي هذا اشارة الى ضرورة الرجوع اليهم دون غيرهم.

ثانياً: يمكننا القول بأن الامام في هذا الاجراء الرائع يهدف توكيد خط الأمامة، بل انه في هذا الموقف يُرسي فكرة النص ويرسخها. انه يبلور خطاً فكرياً روحياً مشخصاً بالاسم والشكل والمضمون والفعل. ذلك ان روايته عن آبائه الكرام بهذا الإصرار والوضوح والبيان ليست ظاهرة محسوبة برواية أو روايتين، بل هي ظاهرة عامّة، وقراءة بسيطة لعيون اخبار الامام الرضا تدل على ذلك ببساطة، فهو قد ارجع علمه بالاحكام وبعض الموضوعات التاريخية ـ ذات الصلة بالصراع على الامامة والخلافة ـ الى آبائه، الى علي بن ابي طالب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو اذن صاحب السيادة والمرجعيّة، وان هذا الخط هو النهج الصحيح للاسلام.

هذه الظاهرة نجدها عند الامام (علي بن محمّد الهادي) عليه السلام رغم ندرة الروايات والاحاديث والاخبار المنقولة عنه! فهي على قلتها تحمل هذا الطابع، وهذا قد يشي بانه اذا كان هناك تراث روائي للامام ـ وهو موجود حتماً ـ ولم يصل الينا، فانه من المحتمل ان يحمل ذات الطابع.

ففي (عيون اخبار الرضا) للصدوق نجد اسمه الشريف في سلسلة سند متصل الى رسول الله عبر آبائه الكرام في الاخبار المروية عنه. (ج ١/ ب ١١ ح ٣٦، ٣٧، ٣٨، ب ٢٦، ح ٤، ب ٢٨، ٣٠، ٣٥، ٤٤، ٥٤، ٦٠، ٦٥، ٨١، ٨٦، ج ٢/ ب ٣٠ ح ٢٤، ٢٩. ب ٣١، ح ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣. ب ٢٥، ح ١٢٩. ب ٣٧، ح ١٤٤...).

واعتقد ان الامام الهادي عليه السلام ينتحي ذات الاهداف التي ينتحيها سابقاً، اي تجذير خط الامامة، وتوكيد هذه المرجعية الدينية، بل ان هذا التعاهد بالرواية، أباً عن جد الى علي اميرالمؤمنين الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا الحرص الشديد والبيان الواضح يعادل النص في دلالته، بل هو اكبر دلالة من النص في التعيين والتجذير، والاّ لماذا لا يروي الامام عن غير آبائه؟! لماذا هذا الاصرار؟

ولقد تجسّدت جهود الامام الهادي ـ رغم الظروف الصعبة ـ على صعيد تجذير مبدأ الامامة وفكرة النص عبر عمل رائع، ذلك هو الزيارة!!

أقصد (الزيارة الجامعة)[1] كما يصطلح عليها في كتب الحديث والادعية، وكما هو متعارف عليها على لسان الشيعة المتدينين، ولقد علّق عليها المجلسي صاحب البحار (... هي أرقى الزيارات الجامعة متناً وسنداً وهي افصحها وابلغها...).[2] ولقد رواها الصدوق في كتاب (العيون) بالسند التالي: (حدّثنا علي بن احمد بن محمّد بن عمران الدقاق رضي الله عنه ومحمّد بن احمد

---

(١) وللامام زيارة ثانية عنه.

(٢) المجلد الخاص بالمزارات.

السناني وعلي بن عبدالله الوراق والحسين بن ابراهيم بن احمد بن هشام المكتب، قالوا: حدّثنا محمّد بن ابي عبدالله الكوفي وابو الحسين الاسدي، قالوا: حدثنا محمّد بن اسماعيل المكي البرمكي، قال حدّثنا موسى بن عمران النخعي، قال: قلت لعلي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر... بن علي بن ابي طالب (ع)، علّمْني يابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً اذا زرت واحداً منكم، فقال: ...).[1]

في السند:

علي بن احمد بن محمّد بن عمران الدقاق، لم يرد فيه مدح او ذم، ولكن الصدوق طالما يروي عنه، وقد ترضّى عنه اكثر من مرّة في (العيون)، (ج١ ب١١ ح ١٠، ب ٢٨ ح ٨٦، ج ٢ ص ٣٠٥) وغيرها من المواضع الاخرى.

محمد بن احمد السناني، لم يوثق، حديثه مضطرب.

علي بن عبدالله الوراق، لم يوثق، ولكن الصدوق ترضّى عليه اكثر من مرّة.

الحسين بن ابراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، لم يوثق، ولكنه من مشايخ الصدوق.[2] وقد ترحّم عليه في كل الموارد.

محمّد بن ابي عبدالله الكوفي.. ثقة.

ابو الحسين الاسدي... لم يرد فيه توثيق.

محمّد بن اسماعيل المكي البرمكي... ثقة.

موسى بن عمران النخعي... لم يرد فيه توثيق.

وهذا السند ليس بالقوي كما نرى، ولكن يمكن الاخذ بالرواية كما يلي:

أ ـ ليس في السند ضعيف أو متهم.

---

(١) عيون اخبار الرضا، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٢) لم يرد في مشايخ الصدوق توثيق/ معجم السيد الخوئي ج ١٥، ص ١٥٤ في ترجمة (ابو الحسين الاسدي) رقم (٥٠٢٦٥).

ب ـ ان متن الزيارة جاء طبقاً لمواصفات الطالب أو الملتمس الذي هو «موسى بن عمران»، فقد جاءت الزيارة ـ حقاً ـ قولاً بليغاً كاملاً، وذلك واضح لكل من يقرؤها لاول مرّة.

ج ـ ان متن الرواية او بالاحرى تضاعيف الزيارة جاءت مطابقة تماماً لاحاديث الرسول في اهل البيت واحاديث الائمة صلوات الله عليهم عن واقعهم وهويتهم، وبالتالي، يمكننا الاطمئنان الى الزيارة.

جاءت الزيارة تعليميّة عقائديّة... ويمكن للقارئ ان يعود في كل جملة من جملها الى نص نبوي او إمامي ... لنقرأ:

ـ (السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرسالة وخزان العلم ومنتهى الحلم...).

ـ (اشهد أنكم الائمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون المطيعون...).

ـ (بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء ان تقع على الارض الاّ بأذنه وبكم ينفس الهم وبكم يكشف الضرّ).[1]

ـ (من اطاعكم فقد اطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله ومن أحبكم فقد

---

(١) لست من الذين يؤمنون بالولاية التكوينية، بل بالولاية التشريعية للائمة الاطهار، وفي الحقيقة ان مثل هذه التعبيرات يمكن فهمها على ضوء القرآن الكريم، وذلك بان الكون خلق من اجل الانسان، ووجوده واستمراره من اجل الانسان، وقد مُهِّد ورِّض وهيّئ من اجل الانسان، ويذكر الائمة هنا باعتبارهم الرموز الحقيقية للانسان الكامل، او باعتبارهم خلاصة الطهر الانساني، والباء الواردة هنا ليست سببية، بل تفيد الغاية، اي من اجلكم نزل الغيث، أمسك بالسماء، وخُصُّوا بالذكر لانهم خاصّة الله تعالى ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعاً...﴾ وبفكرهم واخلاقهم التي هي شريعة الله تُنَفّسُ الكروب ويقال البلاء وينكشف الضر... وليس هنا محل الاطالة.

احب الله ومن بغضكم فقد بغض الله...).

وتمضي الزيارة على هذا الوقع، وهي بريئة من كل مغالاة وخالية من الطعن والشتم، مليئة بالدعاء والتذرع الى الله. ويستطيع القارئ ان يستذكر مع كل فقرة رواية تطابقها وتماهيها، وبالتالي، يمكن الاطمئنان الى صدورها عن الامام الهادي عليه السلام.

ان الزيارة ـ كما قلت ـ درس عقائدي في التوحيد والنبوة والأمامة ... وهي تأسيس لنظرية النص بشكل غير مباشر، وللامام زيارتان أخريان قصيرتان سندهما غير قوي.

وكان عمل الامام الآخر هو النص على ولده العسكري بالامامة من بعده، ففي صحيح الكافي تقرأ الرواية التالية:

(محمّد بن يحيى وغيره عن سعيد بن عبدالله، عن جماعة من بني هاشم، منهم الحسن بن الحسن الأفطس، انهم حضروا يوم توفي محمّد بن علي بن محمد ـ باب ابي الحسن يعزونه، وقد بُسط له صحن داره، والناس جلوس حوله، فقالوا: قدّرنا ان يكون حوله من آل ابي طالب وبني هاشم وقريش مائة وخمسون رجلاً سوى من مواليه وسائر الناس. اذ نظر الى الحسن بن علي قد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه. فنظر اليه ابو الحسن عليه السلام بعد ساعة، فقال: يا بني أحدث الله عزوجل شكراً، فقد أحدث فيك أمراً، فبكى الفتى وحمد الله واسترجع وقال: الحمد لله رب العالمين، وأنا أسأل الله تمام نعمة لنا فيك وانا لله وانا اليه راجعون، فسألنا عنه، فقيل، هذا الحسن ابنه، وقدّرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة او أرجح، فيومئذٍ عرفنا وعلمنا انه قد اشار اليه بالامامة واقامه مقامه).[1]

---

(١) كامل الزيارات، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

وتكمن قيمة هذه الرواية في النقاط التالية:

اولاً: انها صحيحة السند.

ثانياً: ان مرسوم التعيين صدر في جمع من الناس، كان منهم المؤمن به وغير المؤمن، العلوي والموالي والهاشمي، وفي هذا قوّة ودعم.

ثالثاً: ان هذا التعيين يؤكد ان الامام واثق من إمامته وواثق من امامة ابنه، ذلك، انه بدون هذه الثقة، يكون عبارة عن مغامرة، فقد يموت الحسن كما مات أخوه محمّد.

هذا وقد اورد صاحب البحار واحداً وعشرين نصّاً، وقد اخترنا منها هذا ولم يسعنا الوقت للتحقيق في النصوص الاخرى، وفي سياق تقنية النص، يأتي نص الامام الهادي على المهدي عليه السلام...

في (اكمال الدين...):

(حدثنا ابي ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما قالا: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدّثني الحسن بن موسى الخشاب قال: عن اسحق بن محمّد بن ايوب قال: سمعت الحسن بن علي (ع) يقول: صاحب هذا الامر من يقول الناس: لم يولد بعد).[1]

السند:

* سعد بن عبدالله الاشعري، ثقة.[2]

* الحسن بن موسى الخشاب، ثقة عالم كثير الحديث.[3]

هذه هي جهود امامنا علي بن محمد الهادي عليه السلام، ترسيخ خط

---

(١) المصدر، ج ٢، ص ٣٥٥، ح (٥).

(٢) النجاشي، ٤٦٧.

(٣) ن.م: ٨٥.

الامامة عبر تقنية النص ـ تزييف وفضح الغلو، حماية الكيان الشيعي من الفتنة والتشتت، والاشارة الى المهدي سلام الله عليه، تفعيل قصة الائمة عليهم السلام بالانتساب اليهم علماً ورواية.

الباب الثالث

الامام العسكري(ع)



الفصل الاول
ملامح من سيرته العامّة

ولد عليه السلام في المدينة المنورة في شهر ربيع الاول سنة ٢٣٢ هـ على ارجح الآراء. وفي سنة ٢٣٤هـ ارتحل مع أبيه الى سامراء بامر المتوكل. بقي مع والده على الهادي عليه السلام، الذي توفي سنة ٢٥٤هـ. وفق هذه المعطيات يكون قد تولى مسؤوليّة الأمامة وكان عمره الشريف اثنين وعشرين عاماً، وقد توفي سنة ٢٦٠هـ في سامراء، فتكون مدة أمامته في حدود ست سنوات، وكانت في سني أمامته بقية ملك المعتز أشهراً،[1] ثم ملك المهتدي (رجب سنة ٢٥٥هـ ـ رجب سنة ٢٥٦هـ) ثم ملك احمد، المعتمد على الله (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ) حيث عاصره حوالي اربعة اعوام.[2]

في ايامه عليه السلام كان العالم الإسلامي يمرّ بفترة حرجة جداً، لعبت فيه أهواء الطامعين والطامحين والفوضويين، لم تعد للخلافة هيبتها ولا سلطتها، والامور تدار وتسيّر من قبل العنصر التركي. ومن العلائم البارزة في هذه الفترة ان يستقل ابن طولون بمصر سنة ٢٥٤هـ، واشتدت المعارك بين المركز والاطراف، وعاث الخوارج فساداً وخراباً في الموصل وما حولها سنة ٢٥٢ ـ ٢٥٤هـ. وكانت هناك ثورة الزنج سنة ٢٥٠هـ التي استمر اوارها ودوارها الى سنة ٢٧٠هـ، وقد انتشرت نار الثورة من البصرة الى الاهواز وواسط ورامهرمز

---

(١) مدة خلافته (٢٥٢ ـ ٢٥٥).

(٢) البحار، ج ٥٠، ص ٢٣٨، تاريخ الغيبة الصغرى، ج ١٦٦.

مسبّبة الدمار والخراب، فيما استقل الحسن بن زيد العلوي على طبرستان سنة ٢٥٠ ـ ٢٧٠هـ، وكان للعلويين ثوراتهم ايضاً، فقد ثار (ابراهيم بن محمّد بن يحيى ... بن علي بن ابي طالب) سنة ٢٥٦هـ في مصر، وثار (علي بن زيد العلوي) بالكوفة سنة ٢٥٦هـ وقد سيطر عليها حتى قتل في حروب بينه وبين جيوش السلطة سنة ٢٥٧هـ، وكانت هناك ثورة (عيسى بن جعفر العلوي) بالكوفة في سنة ٢٥٥هـ وقد قضى عليها المعتز بعد ان وجه له جيشاً عظيماً بقيادة سعيد بن صالح المعروف بالحاجب، وكثر قتلاهم في خلافة المعتمد بسبب ثورة محليّة او وشاية كاذبة.[1] فالعالم الاسلامي كان مسرحاً للثورات ونهباً للطامعين، تقطعت اوصاله وهددت قيمه وخيراته.

والسؤال المطروح... ما هو موقف الامام من كل هذا؟!

المعلومات المتوفرة لدينا لا تشي باي موقف للامام عليه السلام، سواء كان سلباً او ايجاباً، حتى على صعيد الثورات العلوية، بل على صعيد سياسة الدولة ازاء العلويين بشكل عام، وكل ما يذكره التاريخ تعليقاً بسيطاً في خصوص ثورة الزنج ينفي فيه ادعاء صاحبها انه ينتسب الى اهل البيت عليهم السلام (اما الحوادث الاخرى فلم نسمع منه عليها تعليقاً...).[2]

كان الامام يزور بيت الخلافة في كل اسبوع مرّتين: الاثنين والخميس،[3] ولا نملك من التاريخ ما يبيّن ان هذه الزيارة قسريّة ام هي ممارسة روتينية جاءت امتداداً لما كان عليه والده سلام الله عليه، مع الفارق بين الحالتين، اذ يبدو انها كانت فرضاً مع الامام الهادي، ولكن يبدو ان هذه الزيارة كانت تكشف عن حظوة ومنزلة وقيمة. وقد اثارت الحسد عند غيره من الآل والاقارب، ففي غيبة

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص ٤٣٣ ـ ٤٤٤.

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى، ب ١٦٧.

(٣) غيبة الشيخ الطوسي، ص ١٣٤.

الشيخ الطوسي (... واستدعاه ـ اي الامام العسكري عليه السلام ـ يوماً الخليفة، وشق ذلك عليه، وخاف ان يكون قد سعى به اليه بعض من يحسده على مرتبته من العلويين والهاشميين...)[1]، فان هذا النص في غاية الاهمية، لانه يبرهن لنا، ان علاقة الامام ببيت الخلافة كانت على مستوى عالٍ من الاحترام والاجلال ـ ولو ظاهراً .. ولذا حاكت في صدور الآخرين الغيرة والحسد ولكن النص يفيد ايضاً، ان هناك خوفاً او حذراً متبادلاً بين الطرفين، وهذه هي المعادلة الصحيحة لان الامام يرى في نفسه القيادة الشرعية، الامر الذي يحدد صيغة الموقف الحقيقي للإما من الخلافة، وهذا بدوره يجعل الخلافة متوجّسة خاصة وان بعض الاخبار تشير الى ان مقدم الامام كان كثيراً ما يستدعي اجتماع الناس واهتمامهم، بدافع الحب والاعجاب، فـ (علاقته بالخلفاء كانت باحتراس وحذر مضاعفين،[2] وكانت خالية من الضجيج الذي كان يثار حول والده عليه السلام، بل كانت تقام بشكل روتيني رتيب...)[3]

يرى بعض الباحثين، ان الامام كان يراقب الخلافة ويترصّد أخبارها، وبهذا فهو كان ذا نشاط سياسي، وربما فعّال، نحاول هنا استعراض من اهم مناشئ هذا التصور.

في الكافي (... عن علي بن محمّد عن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن موسى بن جعفر، قال: كتب ابو محمّد الى ابي القاسم، اسحق بن جعفر الزيري قبل موت المعتز بنحو من عشرين يوماً: «الزم بيتك حتى يحدث الحادث» فلما قتل تُرنجة كتب اليه: قد حدث الحادث، فما تأمرني؟ فكتب اليه:

---

(١) ن.م. والصفحة والرواية صحيحة السند، اذ يرويها الشيخ (عن جماعة عنالتلعكبري).

(٢) نسبه الى والده علي الهادي عليه السلام.

(٣) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٧٠.

«ليس هذا الحادث، الحادث الآخر»، فكان من المعتز ما كان).[1]

في السند: محمّد بن اسماعيل بن ابراهيم بن موسى بن جعفر: لم يرد فيه توثيق،[2] كما أننا لم نعرف من هو: «اسحق بن جعفر الزيري» الذي كتب اليه الامام، وهو محور الخبر والحدث اساساً، وربما يستدل بعضهم على صحة الرواية من ان «تُرنجة»: وهو (ابن أُترجة: عبدالله بن محمّد بن داود الهاشمي بن أُترجة من ندماء المتوكل، والمشهور بالنصب والبغض لعلي بن ابي طالب)[3]... من انه قتل على يد عيسى بن جعفر وعلي بن زيد الحسنيين بالكوفة في رجب سنة ٢٥٥،[4] وذلك قبل قتل المعتز الذي كان في شعبان سنة ٢٥٥هـ[5].. فربما يُعد ذلك من قبيل القرينة الداخلية على صحّة الخبر. وهي محاولة متكلفة جداً، فهذه ليست قرينة داخلية ابداً، على ان (الزيري) المذكور كان قد استفهم الامام عن المهمّة المطلوبة بعد موت (المعتز)، الاّ ان هذا الاستفهام يغيب للاسف الشديد! فيما كان أحرى بالبيان من قبل الرواية، وهذا الغموض يشكل نقطة ضعف، فهو ليس في صالح الرواية، لان تضاعيفها تستدعي مثل هذه التكملة المهمة بالذكر والايضاح، فلا يمكن بعد كل هذه الثغرات الاعتماد على هذه الرواية في تدوين تاريخ رصين.

في غيبة الشيخ (سعد بن عبدالله، عن احمد بن الحسن بن عمر بن يزيد قال: اخبرني ابو الهيثم بن سيابة انه كتب اليه لما أمر المعتز بدفعه الى سعيد الحاجب عند مضيّه الى الكوفة، وان يحدث فيه ما يحدّث به الناس بقصر ابن

---

(١) الكافي ١/ ٤٢٣، الارشاد ٢/ ٣٢٥.

(٢) معجم السيد الخوئي ١٥/٩٢، ١٠٧.

(٣) الكامل ج ٧، ص ٥٦، ص ٢١٦.

(٤) الكامل ج ٧، ص ٥٦، ص ٢١٦.

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٣٦٠.

هبيرة «جعلني الله فداك، بلغنا خبر قد أقلقنا وابلغ منّا» فكتب اليه عليه السلام بعد ثالث يأتيكم الفرج، فخلع المعتز اليوم الثالث).[1]

الرواية مرسلة، لان سعد بن عبدالله توفي سنة ٣٠١هـ، والطوسي ولد سنة ٣٨٥هـ، وفي السند (ابو الهيثم بن سيابة) لم يوثق.[2]

فهذه الرواية كسابقتها، تعاني من ارتباك في السند، ولذا من الصعب اعتمادها في تكون او تأسيس رؤية تاريخية تحكي لنا عن موقف الامام من السلطة. وفي الحقيقة اذا اخذنا جوهر الحدث فانه لا ينمّ عن أبي نشاط سياسي كان يمارسه الأمام عليه السلام، فما هي العلاقة بين مثل هذه التنبؤات والعمل السياسي؟! واذا اردنا ان نتعامل مع هذا الحدث باعتباره صحيحاً ـ والتاريخ لا يعالج مثل هذه الاحداث ـ فانه لا يؤسّس سيرة بالمعنى المعروف والمألوف في ضوء مقاييس ومعايير علم التاريخ، خاصة انه جدب المضمون، لا يسعفنا بمعلومات مثيرة عن الواقع، فان التاريخ سلسلة وقائع نحاول تعليلها واقعيّاً، اي باللجوء الى منطق الزمان والمكان وليس الى تأثيرات خارج حدود الارادة البشرية وامكانات الطبيعة.

وفي هذا السياق نحاول علاج موضوع آخر، انه اعتقال الامام عليه السلام، اذ طالما يتوكأ عليه الباحث للاستنتاج بان الامام كان نشطاً سياسياً، وان العلاقة بينه وبين الخلافة كانت على مستوى عالٍ من التوتر والتشنج.

في غيبة الشيخ الطوسي (روى سعد بن عبدالله عن ابي هاشم الجعفري، قال: كنت محبوساً مع ابي محمد عليه السلام في حبس المهدي بن الواثق فقال لي: يا أبا هاشم ان هذا الطاغي اراد ان يعبث «يتعبّث» بالله هذه الليلة وقد بتر الله عمره وجعله للقائم بعده، ولم يكن لي ولد، وسيكون لي ولد، قال ابو

---

(١) المصدر، ص ١٣٤.

(٢) معجم السيد الخوئي ٥٢/ ١٤٩١٢، ص ٨٢.

هاشم: فلما صبحنا شغب الاتراك على المهدي، فقتلوه، وولي المعتمد مكانه وسلّمنا الله).[1]

الرواية مرسلة!!

في اعلام الورى (ابو عبدالله احمد بن محمّد بن عياش قال: حدّثنا احمد بن زياد الهمداني، عن علي بن ابراهيم بن هاشم، قال: حدّثني ابو هاشم داود بن القاسم قال: كنت في الحبس المعروف بحبس صالح بن وصيف الاحمر، انا والحسن بن محمّد العقيقي ومحمّد بن ابراهيم العمري، وفلان وفلان، اذ دخل علينا ابو محمّد الحسن (ع) واخوه جعفر، فحففنا به، وكان المتولي لحبسه صالح بن وصيف، وكان معنا في الحبس رجل جمحي يقول: انه علوي...).[2]

تستمر الرواية لتبيّن ان هذا المدّعي كان عيناً على السجناء، وان الامام كشفه عن طريق الغيب، ولكن الشيء الجوهري في الرواية هو ان الامام كان قد تعرّض للاعتقال، ولكن ما قيمة الرواية من حيث السند؟!

في سندها الراوي المؤسس هو (ابواحمد بن محمّد بن عياش) قال عنه النجاشي في كتابه (... كان سمح الحديث فاكثر واضطرب في آخر عمره... رأيت هذا الشيخ وكان صديقاً لي ولوالدي، وسمعت منه شيئاً كثيراً ورأيت شيوخنا يضعفونه، فلم أرو منه شيئاً وتجنبته)[3]، وقال عنه الشيخ في الفهرست (... كان سمع الحديث واكثر واختلّ في آخر عمره)،[4] فاقل ما في الرجل انه: لم يوثق.

---

(١) المصدر، ص ١٢٣.

(٢) المصدر، ج ٢، ص ١٤٠.

(٣) المصدر رقم: ٢٠٧.

(٤) الفهرست رقم ٩٩٢.

على ان اغرب ما في الرواية ان يكون أحد المسجونين هو «جعفر بن علي» المعروف بـ «جعفر الكذاب»، فهذا مشهور بالفسق والتهتك والانحراف، وكان الامام الهادي يحذر منه، وقد رفض من الشيعة، فاي سبب يدعو الى اعتقاله؟! بل كان على خلاف مع الائمة، وقد قرأت في رواية لم يحضرني مصدرها الآن، ان هذا الرجل كان يسكر علانية ويفجر علانية في «قم»، الامر الذي منع وكيل الامام من اعطائه شيئاً، وقد استغل في زمن الهادي والعسكري من قبل الخلافة للتشويش على عقيدة الامامة!!

وفي الحقيقة ان الذي يقرأ تضاعيف الرواية جيداً وبامعان، سيجد من الوقائع والاحداث المذكورة ما هو أقرب الى السلوك الصبياني منه الى سلوك القيادة المشهود لها بالحكمة والعلم والحنكة.

تقول الرواية (...قال «ابو هاشم» فالتفت ابو محمّد عليه السلام فقال: «لولا ان فيكم من ليس منكم لاعلمتكم متى يفرّج عنكم» واومأ الى الجمحي ان يخرج فخرج، فقال ابومحمّد عليه السلام: هذا الرجل ليس منكم فاحذروه، فان في ثيابه قصّة قد كتبها الى السلطان يخبره بما تقولون فيه».

فقام بعضهم ففتّش ثيابه فوجد فيها القصّة يذكرنا فيها بكل عظيمة...!).[1]

ان هذه البقية من الرواية بما تتضمّنه من حوار ووقائع لا تنسجم ابداً مع المستويات العاديّة من البشر في مثل هذه الظروف، فكيف وهناك الأمام الرائع في فكره وسلوكه وحكمته؟! فكأن الموضوع أُمنيات ورهانات، وليس الموضوع قضيّة كبيرة بكل عناصرها المدّعاة، هناك سجناء على مستوى عالٍ من الفكر والمسؤولية، وعين مندسّ يحصي عليهم حركاتهم، وأمام قائد يعرف هذا العين

---

(١) اعلام الورى ج ٢، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

جيّداً، فهل تتحدّد المسؤولية الملقاة على عاتق الامام بهذه الطريقة الساذجة؟!
اعتقد في مثل هذه الاحوال هناك تصرف أرقى وأدق، خاصة وان الرواية تزعم بان الامام عليه السلام كان يعرف ميقات الفرج!
في هذا السياق نقرأ الرواية التالية:
في الكافي (... عن محمّد بن اسماعيل بن ابراهيم بن موسى بن جعفر عن علي بن عبدالغفار، قال: دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حُبس ابو محمّد عليه السلام فقالوا له: ضيّق عليه ولا توسّع، فقال لهم صالح: ما اصنع به؟! قد وكلت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام الى امرٍ عظيم، ثم أمر باحضار الموكلين فقال لهما: ما شأنكما في امر هذا الرجل؟ فقالا له: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، ولا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، فانّ نظر الينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من انفسنا، فلما سمع ذلك العباسيون انصرفوا خاسئين).[1]
وموقفنا من هذه الرواية يتحدّد في ضوء الملاحظات التالية:
اولاً: الراوية محمّد بن اسماعيل... بن جعفر... لم يوثق!! كذلك علي بن عبدالغفار.
ثانياً: لم يذكر لنا الراوي مصدره، ذلك انه لم يكن في السجن.
ثالثا: تحتوي الرواية على فراغ يتسبّب في التقليل من اعتبارها، ذلك انها تهمل اسم الخليفة الذي امر بحبس الامام، وانا اركز على هذه النقطة، لانه من غير المعقول في مثل هذه الحالات ان يُنسى أو يُتناسى عنصر مهم في بناء الرواية ومكوّناتها.
ولكن من هو (صالح بن وصيف)؟!

---

(١) الكافي، ج ٥، ص ٥١٢، ح (٢٣).

لقد كان هذا الرجل من ابرز الرجالات التركية المتنفذة في دولة الخلافة، ففي زمن المعتز (كانت الكتب تخرج باسم «صالح بن وصيف» كأنه موسوم بالوزارة لغلبته على الامر)[١]، وفي زمن المهتدي كان (رئيس الامراء)،[٢] يأمر وينهى، ويتمتع بسلطة قوية باطشة في الجيش،[٣] فقد قتل في ١٥ صفر سنة ٢٥٦هـ ضمن شبكة او شبكات الصراع على السلطة، ومثل هذاالانسان لا يشتغل سجاناً ولا مدير سجن.[٤]

ولم يرد في التاريخ انه كان كذلك، ولو افترضنا انه كان هو المتولي او المشرف او انه كان مدير السجن، فان موقفه ازاء هذين الموكلين اللذين ـ كما تزعم الرواية ـ تغيّرا تماماً، ورفضا التعاليم، وهاجما العباسيين وانتصرا للامام... اقول سيكون موقفه ازاءهما في غاية القسوة والصرامة والحسم، فان الذي يقتل الخلفاء ويقيم الوزراء ويغيّر الانظمة الا يتعامل مع مثل هذين الموكلين بهذه الموضوعيّة العقلانية؟ ولذلك، فان مثل هذا التصوير هو اقرب الى الخرافة منه الى الواقع.

في هذا السياق نقرأ: (... عن علي بن محمّد، عن محمّد بن اسماعيل العلوي قال: حُبس ابو محمّد عند علي ابن اوتامش، وكان شديد العداوة لآل محمّد عليهم السلام، غليظاً على آل ابي طالب، وقيل له: أفعل به وافعل. قال (محمد بن اسماعيل...) فما أقام الاّ يوماً حتى وضع خدّيه له، وكان لا يرفع بصره اليه اجلالاً له واعظاماً، وخرج من عنده وهو احسن الناس بصيرة واحسنهم فيه قولاً)[٥]

---

(١) التنبيه والاشراف للمسعودي، ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) دول الاسلام، ج ١٤١.

(٣) الكامل، ج ٧، ص ٢٣٢.

(٤) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٨٩.

(٥) اعلام الورى، ج ٢، ص ١٥٠.

وكما قلنا: ان محمد بن اسماعيل العلوي هذا (لم يوثق)، وهو نفسه صاحب الرواية السابقة، اي رواية «الموكلين»، ولا ندري من هو صاحب السجن «صالح بن وصيف» أم «علي بن أوتامش»؟! ولا ندري هل علي بن أوتامش احد الموكلين أم هو آخر؟! وقد ضاعت اخبار «علي بن أوتامش» هذا، في وقت تستدعي فيه مثل هذه الحادثة في مثل هذه الظروف أن يكون أحد اصحاب الامام او المعروفين عند الشيعة! على ان صاحب المناقب يذكر لنا اسمي الموكلين في سجن صالح بن وصيف، انهما (علي بن بارمش واقتامش)![1]. وقد استظهر الشهيد العظيم محمد الصدر رحمه الله تعالى، أن الروايتين تعبّران عن حادثة واحدة، إحداهما مفصلة والاخرى مختصرة،[2] مستفيداً من زيادة ابن شهرآشوب في المناقب، ولكن هذه الزيادة لم توجد في الأصل! ولا في المصادر الاخرى، رغم ان عمليّة الجمع تنطوي على كثير من التحميل.

في هذا السياق نقرأ ايضاً: (علي بن محمّد عن بعض اصحابنا قال: سُلّم ابو محمّد عليه السلام الى نحرير، فكان يضيّق عليه ويؤذيه فقال: فقالت له امرأته: ويلك اتق الله، لا تدري من في منزلك وعرّفته صلاحه وقالت: اني اخاف عليك منه، فقال: لأرمينّه بين السباع، ثم فعل ذلك به، فُرئي (ع) قائماً يصلي وهي حوله).[3]

في السند مجهول... (بعض اصحابنا...)!!

ان سجن الامام عليه السلام من قبل الخليفة، سواء كان المعتز أم المهتدي أم المعتمد ليس بالعمليّة البسيطة بالنسبة للشيعة، بل هي حدث مهم يهز كيانهم ويُقلق ضمائرهم، ويتحول الحدث الى خبر سارٍ بين الشيعة، فمن غير المعقول ان

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤، ص ٤٢٩.

(٢) الغيبة الصغرى، ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٣) اصول الكافي، ج ١، ص ٥١٢، ح ٢٥.

لا ينقله لنا (ثقاة) من الوزن الثقيل في الرواية والعلم والمنزلة، مثل احمد بن اسحق الاشعري القمي الثقة المعروف او سعد بن عبدالله القمي او علي بن جعفر احد وكلائه المعروفين او محمّد بن عبدالجبار ابي الصهبان القمي، وغيرهم من الاصحاب والثقاة المتقدمين، خاصّة وان الرواية تفيد انه سجن اكثر من مرّة، على زمن المعتز والمهتدي والمعتمد. ان الرواية إما مرسلة وإما يحتوي سندها على مجهول، اي غير موثق، ولم تسلم اي رواية من معجزة! وهذا يزيد من ضرورة التثبت، ويؤكد ضرورة السند الموثوق وذلك في أعلى درجات التوثيق.

ليس هناك اي رواية معتبرة تفيد ان الامام تعرّض للسجن نظراً للسند المخدوش والمتن المضطرب والقرائن المضادّة.

ان مثل هذه الوقائع تحتاج الى مسانيد مثبتة:

هناك ما يفيد على درجة عالية من الظن ان العلاقة بين الامام والخلافة بشكل عام كانت هادئة، او بالاحرى تقوم على مبدأ المداراة الحذرة، هذا ما نكتشفه من جملة مواقف تعتبر جيّدة على صعيد التدوين التاريخي.

الموقف الاول:

ان الامام كان يزور دار الخلافة في كل اسبوع مرّتين، الاثنين والخميس، ويبدو، ان هذه الزيارة كانت روتينية، تجري وتمضي بهدوء، وربما تشير بعض الاخبار ان شيعته وجملة من الناس، كانوا ينتظرون هذه الزيارة، فيجتمعون على دار الخلافة لرؤيته وسؤاله، وهذه الاخبار اذا كانت صحيحة، فانها تشير الى ان الامام والشيعة كانوا يتمتعون بهامش من الحريّة. على ان المهم هنا مراسيم الزيارة، فان اجراءها وامضاءها بمثل هذا الهدوء اشارة الى نوع من العلاقة شبه المستقرة بين الامام ودار الخلافة.

الموقف الثاني:

يشير صاحب المناقب ان المعتمد كان قد طلب الى الإمام الدعاء للبقاء في

الخلافة عشرين سنة، وقد دعا الامام له بذلك (مدّ الله في عمرك) فأجيب وتوفي بعد عشرين سنة،[1] والرواية تبين ان المعتمد كان في زيارة للأمام، وان ذلك قد حصل في سنة ٢٥٦هـ،[2] اي بعد ثلاث سنين من خلافته، بالتالي فان طبيعة الحديث وظروفه تعطي تصوراً شبه واضح عن سياسة الامام ازاء الخلافة، يتجسّد في المداراة والابتعاد عن الاصطدام جهد الامكان، ولا اعتقد ان من اهداف الامام القاء الحجة على «المعتمد»، فالامام ليس في حاجة الى مثل هذه الحجة، ولا المتوكل سوف يتأثر بها، والامام لم يحدّد المدّة، بل اطلق ذلك «مُدّ في عمرك».

الموقف الثالث:

زيارة الامام عليه السلام لابن خاقان، وكان من ألدّ اعداء آل محمد وشيعتهم، وهو من وزراء الخلافة المعروفين بالحنكة السياسيّة والاطلاع الثقافي، والرواية في هذه الزيارة صحيحة، اذ يرويها الصدوق عن ابيه وابن الوليد، اي: (محمد بن الحسن بن الوليد) شيخ الصدوق، فقد قال عنه النجاشي (... شيخ القميين وفقيههم، ومتقدمهم ووجههم، وقال: انه نزيل قم، وما كان أصله منها، ثقة، ثقة، عين، مسكون اليه...)[3] توفي سنة ٣٤٣هـ. ويرويها عن (سعد بن عبدالاشعري)، وهو من قال عنه النجاشي رحمه الله (... شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها، كان سمع من حديث العامّة شيئاً كثيراً، وسافر في طلب الحديث. لقي من وجوههم الحسن بن عرفة ومحمّد بن عبدالملك...)[4] توفي

(١) البحار، ج ٥٠، ص ٣٠٩ نقلاً عن المناقب.

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٧٦.

(٣) المصدر رقم: (١٠٤٢).

(٤) المصدر رقم: (٤٦٧).

سنة ٢٩٩هـ اوسنة ٣٠١هـ، فهو من العلماء والثقاة، والخبر وثيقة تاريخية مهمّة تكشف لنا الكثير عن حياة امامنا العظيم. وهنا نورد بعض مقاطعها الكفيلة ببيان نوع العلاقة بين الامام عليه السلام ودولة الخلافة بشكل عام.

١ـ أبي وابن الوليد معاً عن سعد بن عبدالله قال: حدّثنا من حضر موت الحسن بن عليّ بن محمّد العسكري ودفنه ممّن لا يوقف على إحصاء عددهم، ولا يجوز على مثلهم التواطؤ بالكذب.

وبعد فقد حضرنا في شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين وذلك بعد مضيّ أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليهما السلام بثماني عشرة سنة أو أكثر مجلس أحمد بن عبيدالله ابن خاقان، وهو عامل السّلطان يومئذ على الخراج والضياع بكورة قم، وكان من أنصب خلق الله وأشدّهم عداوة لهم.

فجرى ذكر المقيمين من آل أبي طالب بسرّ من رأى، ومذاهبهم وصلاحهم وأقدارهم عند السلطان، فقال أحمد بن عبيدالله: ما رأيت ولاعرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلويّة مثل الحسن بن عليّ بن محمّد الرّضا ولا سمعت به في هديه وسكونه، وعفافه، ونبله، وكرمه، عند أهل بيته، والسلطان وجميع بني هاشم، وتقديمهم إيّاه على ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك القواد والوزراء والكتّاب وعوام النّاس.

وإنّي كنت قائماً ذات يوم على رأس أبي وهو يوم مجلسه للنّاس، إذ دخل عليه حجّابه فقالوا له: ابن الرّضا على الباب فقال بصوت عال: ائذنوا له فدخل رجل أسمر أعين حسن القامة، جميل الوجه، جيّد البدن، حدث السن، له جلالة وهيبة.

فلمّا نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطوات ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم، ولا بالقوّاد ولا بأولياء العهد، فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهه، ومنكبيه، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاّه الّذي كان عليه وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه وجعل يكلّمه ويكنّيه ويفديه بنفسه وأبويه، وأنا متعجّب ممّا أرى منه إذ

دخل عليه الحجّاب فقالوا: الموفّق قد جاء.[1]

وكان الموفّق إذا جاء ودخل على ابي تقدّم حجّابه وخاصّة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدّار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلا عليه يحدّثه حتّى نظر إلى غلمان الخاصّة فقال حينئذ إذا شئت فقم جعلني الله فداك يا أبا محمّد! ثمّ قال لغلمانه: خذوا به خلف السماطين لئلاّ يراه الأمير يعني الموفّق وقام أبي فعانقه وقبّل وجهه ومضى.

فقلت لحجّاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي فعل به أبي هذا الّذي فعل؟ فقالوا: هذا رجل من العلويّة يقال له: الحسن بن عليّ يعرف بابن الرّضا فازددت تعجبّاً فلم أزل يومي ذلك قلقاً متفكّراً في أمره وأمر أبي وما رأيت منه حتّى كان الليل، وكانت عادته أن يصلّي العتمة ثمّ يجلس فينظر فيما يحتاج من المؤامرات وما يرفعه الى السلطان.

فلمّا نظر وجلس جئت فجلست بين يديه، فقال: يا أحمد ألك حاجة؟ قلت: نعم يا أبه. إن أذنت، سألتك عنها، فقال: قد أذنت لك يا بنيّ فقل ما أحببت فقلت: يا أبه من الرّجل الّذي رأيتك الغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والاكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: يا بنيّ ذلك ابن الرّضا، ذاك إمام الرّافضة. فسكت ساعة فقال: يا بنيّ لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا، فإنّ هذا يستحقها في فضله، وعفافه، وهديه وصيانة نفسه، وزهده، وعبادته، وجميل أخلاقه، وصلاحه، ولو رايت أباه لرأيت رجلاً جليلاً نبيلاً خيّراً فاضلاً.

فازددت قلقاً وتفكّرا وغيظاً على أبي ممّا سمعت منه فيه، ولم يكن لي همّة بعد ذلك إلاّ السّؤال عن خبره، والبحث عن أمره، فما سألت عنه أحداً من بني هاشم والقوّاد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر النّاس إلاّ وجدته عندهم في

---

(١) الموفق هو أخو الخليفة المعتمد على الله: أحمد بن المتوكل، وكان صاحب جيشه.

غاية الاجلال والاعظام، والمحلّ الرّفيع، والقول الجميل، والتقديم له على أهل بيته ومشايخه وغيرهم، وكلّ يقول: هو إمام الرّافضة، فعظم قدره عندي إذ لم أر له وليّاً ولا عدوّاً إلاّ وهو يحسن القول فيه، والثناء عليه.

ان هذه الوثيقة التاريخية الخطيرة تؤكد لنا ان العلاقة بين الامام ودولة الخلافة لم تكن متوترة جداً، وان سياسة المداراة والدبلوماسيّة اللبقة هي القانون الناظم لهذه العلاقة، وان للامام منزلته المحفوظة عند (... القواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس) حسب تعبير النص. ويعلق الشهيد العظيم محمد الصدر على هذه الحادثة بقوله: (ان الامام كان يستهدف من وراء هذه الزيارة بعض مصالح اصحابه، أمّا تأليفاً لقلب هذا الوزير تجاههم، او انه كان قاصداً اليه بحاجة مهمّة معينة، لم يذكرها له لانقطاع مجلسه معه بدخول ابي احمد الموفق زائراً للوزير...)[1].

والواقع: ان هذه مجرّد انطباعات او استنتاجات، ولا يوجد ما يدل عليها للاسف الشديد، في حين ان التعامل مع الخبر قد يفيد انها زيارة عاديّة كان يمارسها الامام عليه السلام في سياق حياته العامّة، فان لحن الخبر يفيد ان هناك زيارات مماثلة وليس من ريب قد يعرض الامام على الوزير حاجاته او حاجات اصحابه، ولكن في الدرجة الاولى هي زيارة مداراة ودبلوماسيّة لبقة. ومن العسير جداً على الوزير استقبال الامام بمثل هذه الحفاوة اذا كانت العلاقة بين الامام والخلافة قائمة على الخوف الشديد والحذر المضاعف، بل ان استقبال الحضور للامام بهذا الاحتفاء الكبير ينفي مثل هذا التصور.

هذه ثلاثة مواقف يمكن ان تعطينا صورة واضحة الى حدّ ما عن سياسة الامام ازاء دولة الخلافة بشكل عمام.

---

(١) الغيبة الصغرى، ص ١٨٠.

الفصل الثاني
أدارة الكيان وتدبير شؤونه

كان للشيعة وجود لا بأس به في زمن الامام الحسن العسكري نسبة لما كانوا عليه في زمن الأئمة الاواسط (الباقر، الصادق، الكاظم..)، مع العلم اني أقصد بالشيعة ذلك المصطلح العقدي الخاص، اي الذين يؤمنون بأمامة اثني عشر اماماً، اولهم اميرالمؤمنين عليه السلام، وآخرهم (محمد بن الحسن العسكري)، فقد جاء في تاريخ الشيعة للمظفر (... والشيعة في أيامه كحالها مع أبيه، واصبحت ـ قم في عهده وعهد أبيه عاصمة كبرى من عواصم العلم الشيعيّة، وفيها من رواتهما ما لا عدّ له، ومن المؤلفين في الحديث وفنون العلم جم غفير. وكان في سامراء وما جاورها من الشيعة عدد لا يُستهان به، وفي بغداد خلق كثير، وكانت المدائن يومئذ عامرة، وللتشيع فيها القدح المعلى، وما زالت المواصلات بينهم وبين الامام متوالية... ولا تسل عن الكوفة في ذلك اليوم... فانها من اكبر مدن الشيعة في الولاء...).[1]

فهذا النص وان طغت عليه المسحة الادبيّة، الاّ انه يفيد بوجود الشيعة في مناطق متعدّدة ومهمة من العالم الاسلامي، (قم، الكوفة، نيسابور، سامراء، بغداد، المدائن...)، وللاسف الشديد لا نملك احصائية دقيقة او تقريبيّة للشيعة آنذاك، ولكن لهم وجود واضح، ورغم انهم أقليّة ولكنهم مثار اشارة واثارة، وذلك للاسباب التالية:

---

(١) تاريخ الشيعة، ص ٧١.

اولاً: انتسابهم الفكري والفقهي والسياسي الى اهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: ارتباطهم التاريخي بثورة الحسين وقبلها دولة اميرالمؤمنين، وعبر التاريخ بالرموز العلويين والهاشميين.

ثالثاً: فكرة النص لما تثيره من قلق سياسي عند الخلفاء والحكام.

رابعاً: الفكر القوي المتماسك.

لهذه الاسباب وغيرها كانوا محل اثارة واشارة، رغم انهم أقليّة جداً قياساً الى عدد المسلمين الضخم آنذاك، ومهما يكن من أمر، ان هذا الوجود ـ من ناحية أخرى ـ كان يعاني من جملة مشاكل أساسيّة تتطلب العلاج الحاسم، والاّ يتعرّض الى الانهيار او التصدّع، وقد كان من ابرز واخطر هذه المشاكل ما يتعلق بالعقيدة، أقصد «الغلو»، ويبدو ان هذه الظاهرة كانت قويّة، ولها جماعاتها الناشطة، وربما المنظمة، ففي الكشي نقرأ رواية عن احوال مجموعة من الرواة، بما فيهم «علي بن عبدالله بن مروان» حيث جاء في تضاعيفها (... وامّا علي بن عبدالله بن مروان: فان القوم ـ يعني الغلاة ـ تمتحن في اوقات الصلاة ولم اسمع فيه الاّ خيراً...).[1]

والسائل هو ابو عمرو الكشي نفسه، أما المسؤول فهو (ابو النضر محمّد بن عياش السلمي السمرقندي)، من الثقات العلماء الذين انفقوا اموالهم في خدمة الحديث الشريف[2] والمسؤول عنه هو (علي بن عبدالله بن مروان) من اصحاب الامام العسكري.[3] والنقطة التي نريد الاشارة اليها هنا كلمة او عبارة «فأن القوم»، فان هذه العبارة هي من العياشي، وتفسيرها (يعني الغلاة) انما هي من عند الكشي، وبهذا يكون الغلاة قد اشير اليهم «بمصطلح» فتعارف عليه

---

(١) الكشي رقم: ١٠١٤.

(٢) النجاشي: ٩٤٤.

(٣) رجال الطوسي: ١٣.

بين علماء الشيعة، في ذلك الوقت، الا يكون هذا الاّ اذا كان أمرهم مستفحلاً وخطيراً، وانهم جماعة ذوو وزن في الوسط الشيعي، ولقد كان هناك ما يقارب (١٣) غالياً من اصحاب الهادي، بعضهم عُدّ من اصحاب العسكري. وقد عقد الكشي فقرة هامّة عنوانها (في الغلاة في وقت ابي محمّد العسكري)،[١] مما يدل على خطورتهم الفكرية والاجتماعية.

ولعلاج هذه المشكلة اتخذ الامام موقفاً حاسماً ازاء الغلاة، وتمثل في تفسيق وذم رموز الظاهرة، واعلان ذلك على الملأ الشيعي.

لقد كان احمد بن هلال العبرتائي من أضخم الرموز المحسوبة على هذا الخط المخيف، يتحرك في الوسط الشيعي بقوة وفعالية ونشاط.

قال الشيخ الطوسي: (احمد بن هلال العبرتائي بغدادي غالي).[٢] وفي النجاشي (ابو جعفر العبرتائي... روي فيه ذموم من سيدنا ابي محمّد العسكري عليه السلام).[٣] وهذا الرجل من عبرتا، وهي من قرى بلد القريبة من سامراء مقر الامام (ع، وهذا يكشف لنا عن الدور الخطير لهؤلاء الغلاة، اذ لم يردعهم القرب من الامام، فكيف في الاقطار النائية مثل نيسابور وغيرها.

كان الامام يسرّب رأيه في هؤلاء الغلاة بغية ابطال تأثيرهم ومفعولهم. فهذا الغالي عروة بن يحيى البغدادي المعروف بالدهقان (كان يكذب على ابي الحسن علي بن محمّد بن الرضا (ع)، وعلى ابي محمد الحسن بن علي عليهما السلام بعده، وكان يقتطع امواله لنفسه من دونه ويكذب عليه حتى لعنه ابو

---

(١) الكشي، ص ٥١٦، والمقصود بالعسكري هنا الامام علي الهادي.

(٢) رجال الشيخ، اصحاب الهادي رقم (٢٠).

(٣) النجاشي رقم: ١٩٩.

محمّد عليه السلام، وامر شيعته بلعنه والدعاء عليه لقطع الاموال...).[1] وبهذه الطريقة حفظ الامام الكيان من هذه السموم الفكريّة الخطيرة. ولقد كانت بالنسبة له من المهمات الرئيسة.

لم يعانِ الكيان الشيعي بعد وفاة الامام الهادي من حالة التمزق والتشرذم التي عهدناها عقب رحيل غيره من الأئمة عليهم السلام، فقد (قال سائر اصحاب علي بن محمد ـ الهادي ـ عليه السلام وثبتوا له الامامة بوصيّة أبيه، وكان يكنى بأبي محمّد...)،[2] ولم يشذ سوى نفر يسير، قالوا بامامة «محمد بن علي بن موسى الرضا» اي أخي الامام الحسن العسكري وقد انقرض هؤلاء بسرعة. وهناك ايضاً (نفر يسير ... مالوا الى أخيه جعفر بن علي، وقالوا: اوصى اليه ابوه بعد مضي محمّد ـ الابن الاكبر ـ وقالوا: اوصى اليه ابوه بعد مضي محمّد واوجب أمامته واظهر أمره...).[3] وفي الحقيقة، ان هذا يدل على ان الشيعة في زمن الهادي كانت واعية لخط الامامة، وان الهادي عليه السلام كان موفقاً في قيادة الكيان وترشيده، وان الجماعة التي كانت تحيط به على مستوى عالٍ من الدراية الفكرية والنظميّة، خاصّة اذا اخذنا بنظر الاعتبار تغلغل الخط المغالي. ولكن كان «جعفر» فتنة، فقد ساهم في ارباك الوضع الشيعي العام. واعتقد، ان هذا النفر اليسير الذي ادعى امامته انما كان مدفوعاً بتأثير من اطماع وطموحات، لان جعفراً معروف بسلوكه غير السوي،[4] وليس من ريب، ان من جماعة الامام من كان طامعاً باغراض شخصيّة، ولم يكن الجميع على مستوى راقٍ من النقاء والوفاء، على ان الجوهري في هذا

---

(١) رقم ١٠٨٦.

(٢) فرق الشيعة، ص ٩٥.

(٣) ن.م. ص ٩٥.

(٤) الارشاد، ج ٢، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

المجال، هو ان الكيان الشيعي برمّته واجه ظاهرة (جعفر) هذه، وهذا ما يُدلي به شاهد قريب رائع، كان يسجل الاحداث بدقة، ذلك هو العالم (ابو جعفر محمّد بن عبدالرحمن بن قبة)، فهذا الرجل كان من المعتزلة وصار شيعياً، توفي قبل سنة ٣١٩ هـ، ومن لحن خطابه يظهر انه كان في زمن الامام العسكري او بُعيده بقليل، وهو باحث راصد، اذ يقول في الرد على من شكك في الغيبة بعد ان يثبّت الرأي المشترك القائل بضرورة امام بعد وفاة الامام علي الهادي (ثم فحصنا عن الحال فوجدنا فريقين ناقلين:

يزعم احدهما ان الماضي ـ الهادي عليه السلام ـ نصّ على الحسن ـ العسكري عليه السلام ـ واشار اليه، ويروون مع الوصيّة وماله من خاصّة الكبر أدلة يذكرونها وعلماً يثبتونه، ووجدنا الفريق الآخر يروون مثل ذلك لجعفر، لا يقول غير هذا، ثم نظرنا:

فاذا الناقل لأخبار جعفر جماعة يسيرة، والجماعة اليسيرة يجوز عليها التواطؤ والتلاقي والتراسل فوقع نقلهم موقع شبهة، لا موقع حجّة، وحجج الله لاثبتت بالشبهات. ونظرنا في نقل الفريق الآخر ـ القائلين بالنص على العسكري (ع)ـ فوجدناهم جماعات متباعدي الديار والاقطار، مختلفي الهمم والآراء متغايرين، فالكذب لا يجوز عليهم، لنأي بعضهم عن بعض، ولا التواطؤ ولا التراسل والاجتماع على تخرّص خبر ووضعه...)[1]. ويستمر هذا الناقد الرائع ليبين احوال جعفر المترديّة، حتى انه كان معاضداً لفارس القزويني المتآمر على التشيع.[2]

ماذا نستفيد من هذا النص؟!

ان الشيعة كانت مسلّمة فكرياً، فقد شاع النصّ على الامام العسكري في كل

---

(١) نقله الشيخ الصدوق من كتاب ابن قبة في الرد على الشبهات. «ابو الحسن علي بن احمد بن بشار» في العينة/ كمال الدين، ص ٦٢.

(٢) ص ٦٤.

الاقطار التي يوجد فيها شيعة، رغم تباعد الديار واتساع المسافات، وهذا يشي بوجود جماعة منظمة، بل هي على استعداد دائم لأداء مهمتها، واعتقد ان جوهر هذه الجماعة هم العلماء والرواة والثقات، ونفهم من النص، ان هناك ثقافة منتشرة ومودّعة عند هؤلاء الجماعة، تطرحها في اللحظة الحرجة، واعتقد ان هذه الجماعة على تواصل وتثاقف وتتابع، ولذلك سقط جعفر وسقطت كل الدعاوى الزائفة الاخرى في خصوص الامام بعد الامام الهادي عليه السلام، تلك التي تصرفها دون ابنه الحسن عليه السلام.

ان هذا النص الجيد يُطلعنا بدقة على دور الجماعة التي كانت تحيط بالامام الهادي ومن ثم العسكري، ويؤكد ان هناك تعاوناً تضامنياً ودقيقاً بين الامام والثقات، وبهذا تخلصوا من مشكلة جعفر كما تخلصوا من مشكلة الغلاة.

جاء في المناقب لابن شهرآشوب:

من ثقاته: علي بن جعفر، قيّم لابي الحسن، وابو هاشم داود بن القاسم الجعفري، وقد رأى خمسةً من الأئمة، وداود بن أبي يزيد النيسابوريّ، ومحمّد بن عليّ بن بلال، وعبدالله بن جعفر الحميريّ القميّ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد العمريّ الزّيات والسمّان، واسحاق بن الرّبيع الكوفي، وأبو القاسم جابر بن يزيد الفارسيّ، وإبراهيم بن عبيدالله بن إبراهيم النيسابوري.

ومن وكلائه محمّد بن أحمد بن جعفر، وجعفر بن سهيل الصيّقل، وقد ادركا أباه وابنه.

ومن أصحابه: محمّد بن الحسن الصفّار وعبدوس العطّار، وسريّ بن سلامة النيسابوري، وأبو طالب الحسن بن جعفر الفافاي، وأبو البختري مؤدّب ولد الحجاج.

وبابه: الحسين بن روح النوبختي.

نستطيع ان نقول: ان هذا هو الجهاز النظمي للكيان الشيعي تحت قيادة الامام العسكري (ع، ونريد الآن ان ندقق في بعض قضايا هذا النظم.

وقبل كل شيء، ان نص ابن شهرآشوب هذا يغفل عن اشارة في غاية الاهمية، فكما ان هناك وكلاء وثقات وبواب، هناك «وكيل خاص»، يمثل دور الوساطة المركزيّة والرئيسية بينه وبين شيعة الامام، بدرجة تفوق صلاحيّة وسعة وعمقاً الوساطة التي يضطلع بها بقيّة الوكلاء. هذا الوكيل هو (محمد بن عثمان بن سعيد العمري) فقد وثقه الامامان العسكريان بالخصوص.[1]

والسؤال: هل اصبح هذا الرجل وكيلاً خاصّاً بالصدفة؟! ام بتخطيط منه؟!

لقد كان العمري (بواباً) للامام الجواد عليه السلام. ففي كشف الغمة، تحت فصل (في المقدمات) عن حياة الامام الجواد عليه السلام، (وكان بابه عثمان بن سعيد السمّان).[2] ثم ظهر كوكيل خاص للامام الهادي، هذا ما نفهمه من «خصوصيّة» التوثيق الصادر من الامام في حقه، فعن احمد بن اسحق بن سعد القمي (دخلت على ابي الحسن... في يوم من الايام، فقلت: يا سيدي أنا أغيب واشهد ولا يتهيّأ لي الوصول اليك اذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل وامر من نمتثل؟ فقال لي صلوات الله عليه، هذا ابو عمرو الثقة الامين ما قاله لكم فعني يقول، وما رواه لكم فعني يؤدي)[3]، والرواية صحيحة تامة السند، فان فحوى هذا الارجاع يجسّد وكالة بالمعنى الخاص، وكالة تمتاز عن غيرها من الوكالات، تتسم بالصلاحيّة الواسعة وتتصف بالامانة المطلقة.

وفي رجال الشيخ (عثمان بن سعيد العمري، يكنى ابا عمرو السمّان ويقال له: الزيات، خدمه ــ اي خدم الهادي ــ عليه السلام، وله احدى عشرة سنة واليه عهد معروف)،[4] اذ تولى هذا الرجل الوكالة الخاصة مبكراً، كان عمره

---

(١) غيبة الشيخ، ص ٢١٥.

(٢) كشف الغمة، ج ٤، ص ٣٨٠.

(٣) غيبة الشيخ، ص ٢١٥.

(٤) رجال الشيخ، ص ٤٢٠، رقم: ٣٦.

احدى عشرة سنة، وهذا بطبيعة الحال يجعلنا نشكك في كونه (بابا) للامام الجواد. على ان هذه الوكالة اكتسبت مزيداً من الاهمية في زمن العسكري، اكاد ان اقول انها أخص من الخاصّة، فان الامام العسكري قال عنه (... هذا ابو عمرو الثقة الامين، ثقة الماضي ــ اي الامام الهادي ــ وثقتي في المحيا والممات...)[1]، فان وتيرة التوثيق صاعدة ومساحة الممارسة اتّسعت، ولذا يقول الشيخ الطوسي (وكان الشيعة اذا حملوا الى ابي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الاموال أنفذوا الى ابي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله الى ابي محمّد تقية وخوفاً)[2]، واعتقد ان هذه الممارسة جاءت بعد مران وتعليم، وليس صدفة وبدون مقدمات. وطبق ما ذكره الشيخ الطوسي، يكون عمره عندما تسلم منصب هذه الوكالة المخصوصة جداً قد بلغ اثني عشر عاماً، فاذا علمنا ان أمامة العسكري كانت (خمس سنين وتسعة اشهر)، فان المستفاد من توليه وكالة الامام المهدي، انما كانت في عمر لا يتجاوز (ثمانية عشر عاماً)، وفي هذه الفترة اصبح (سفيراً) وهو اعلى منصب من حيث العلاقة الشخصية والتنظيمية بالامام عليه السلام، وبهذا يكون العمري قد أجتاز مراحل صعبة حتى استحق منزله او موقع السفارة، وبالتالي، لا اعتقد ان هذا التطور جاء صدفة، او هو نتيجة مودة عائلية او حزبية، بل هو تطور طبيعي من خلال الممارسة والتعليم. واعتقد ان الامام الهادي اختار العمري لانه ادرك معالم النباهة والذكاء، خاصة وان العمري اسدي من اهالي سامراء،

---

(١) غيبة الشيخ ص ٢١٥ والرواية صحيح السند (الطوسي: اخبرني جماعة عن ابي محمّد هارون بن موسى الاسكافي قال حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري، قال حدثنا احمد بن اسحق بن سعد القمي...).

(٢) غيبة الشيخ ص ٢١٤.

فان من ألقابه (العسكري)[1] لانه كان من عسكر، فأكبر الظن ان الامام شخّصه فاختاره بواباً، ونحن نعلم ان الاشعريين شيعة من القدم. وللعلم ان مصطلح (الوكيل) في حركة الائمة بالمعنى الدقيق ظهر منذ امامة (الامام الجواد) عليه السلام.[2] مما يشير الى انه مصطلح نظمي، تطلبته الظروف الجديدة للائمة والتطورات الكبيرة التي طرأت على الجسم الشيعي.

وفي ضوء هذا التوضيح، يكون الجهاز الناظم للكيان الشيعي حسب المنطوق التالي:

اولا: القيادة.

ثانيا: الوكيل الخاص.

ثالثا: الوكلاء العامون.

رابعا: البواب.

خامسا: الثقات (حملة الفكر).

سادسا: الأنصار... عموم الاصحاب الثقات.

والآن نتناول فقرة اخرى من هذا الجهاز النظمي، اقصد الوكلاء، فقد ذكر الرجاليون، ان هناك وكيلين:

الاول: جعفر بن سهيل الصيقل.

الثاني: علي بن جعفر الوكيل الهمياني.

نحاول ان نستقرب بعض خصوصيات ومعالم هذه الوكالة بلحاظ كلتا الشخصيتين، فقد نصّ الرجاليون على وثاقة (علي بن جعفر الوكيل الهمياني)

---

(١) غيبة الشيخ ٢١٤.

(٢) راجع حياة الامام الجواد في كشف الغمة ص ٤٠٢ وقارن ذلك بحياة الائمة الذين قبله في الكتاب نفسه، لان هذا المصطلح نقرؤه لاول مرة في احوال الامام الجواد.

وصف الشيخ بالوثاقة[1]، وعدّه في الغيبة من السفراء الممدوحين (وكان فاضلاً مرضيا)، الا ان (جعفر بن سهيل الصيقل) مسكوت عنه اي لم يمدح ولم يذم، ولكن النقطة الجديرة بالاهتمام، ما ذكره صاحب المناقب وهو يتحدث عن اصحاب (الحسن العسكري) حيث يقول (ومن وكلائه محمّد بن جعفر، وجعفر بن سهيل الصيقل، وقد ادركا أباه وابنه).[2] اي انهما ثلاثة ائمة، الهادي والعسكري والمهدي ولم تكن هذه المعايشة عاديّة أو عابرة، لان كلاً منهم كان وكيلاً لهؤلاء الائمة الثلاثة بدون انقطاع. لقد استمرت هذه الوكالة عبر بحر من الزمن الصعب، ولذلك لا نستغرب ان تمضي مسيرة الشيعة والتشيع بسلام وامان وقوة، ذلك ان الجهاز النظمي كان على درجة راقية من الاحكام، متمثلاً بوكلاء مجرّبين واعين. واعود للقول، بان العبئ الاكبر كان واقعاً على هؤلاء الوكلاء بالذات، لانهم اضطلعوا بمسؤولية الإدارة.

ويأتي هنا دور النخبة المثقفة، اي حملة الفكر والرواية، ويضعّف لنا شاهد قريب هذه الجماعة بدقة، ذلك هو (ابو سهل اسماعيل بن علي النوبختي) في كتابه(التنبيه)، ينقل عنه الصدوق في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة)، حيث يقول:

(ان الحسن(ع) خلّف جماعة من ثقاته ممن يروي عنه الحلال والحرام، ويؤدي كتب شيعته واموالهم، ويخرجون الجوابات، وكانوا بموضع من الستر والعدالة بتعديله اياهم في حياته، فلما مضى اجمعوا جميعاً على انه خلف ولداً، هو الامام المهدي وامروا الناس ان لا يسألوا عن اسمه ويسرّوا ذلك عن اعدائه...)[3]

---

(١) رجال الشيخ، ص ٤٣٣.

(٢) المصدر ص ٤٢٣.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، ص

وابو سهل النوبختي موثق، عالم، متعلم.

السفير الثاني، مما يشير الى انه كان على حظ وافر من العلم والحضور في الوسط، وكان ممن شهد على توليه «الحسين بن روح» بنص (ابو جعفر العمري)، بل كان من المرشحين الى السفارة، والنص يفيد ان هذه النخبة كانت تتواصل مع الامام.[1]

هذا والشاهد في غاية الاهميّة لانه كان موجوداً في زمن العسكري او قريباً من هذا الزمن، خاصة وانه ثقة معروف بالعلم عند الخاصة والعامة، ولقد احصى لنا الشيخ الطوسي تسعة وتسعين «راوياً» عن الامام العسكري، اكثر من ثلثهم ثقات، ولكن للاسف الشديد، ان الرواية عن الامام كانت قليلة، وذلك للاسباب التالية:

اولاً: قصر عمر أمامته عليه السلام، اذ كانت اقل من ست سنوات.

ثانياً: مراقبة السلطة.

ثالثاً: انشغاله في مواجهة خطر الغلو.

رابعاً: الثروة الروائية التي ورثها الاصحاب عن ابائه عليهم السلام، فانها كانت كافية الى حدّ كبير في الاجابة على اكثر المشكلات العقدية الحكميّة والاخلاقية. ولا نستبعد ان بعض هذه الروايات تعرّض للضياع.

وها هنا نذكر بعض النماذج:

١ـ احمد بن ابراهيم بن اسماعيل... الكاتب النديم:

شيخ اهل اللغة ووجههم واستاذ ابي العباس، قرأ عليه قبل ابن الاعرابي، وتخرج من يده وكان خصيصاً بابي محمّد الحسن بن علي(ع) وابي الحسن قبله، وله معه مسائل واخبار، وله كتب، منها: كتاب اسماء الجبال والمياه

---

(١) اخباره في غيبة الشيخ الطوسي، كذلك معجم الخوئي ٣/١٣٨٤.

والاودية، كتاب بني مرّة بن عوف، كتاب بني النمر، كتاب طي[1]... وسمي بالنديم لانه كان خصيصاً بالمتوكل العباسي ونديماً له، وكان شيعياً.

وفي الحقيقة ان حياة هذا الرمز من اصحاب العسكري تطلعنا على جملة حقائق او بالاحرى مقتربات مهمة تخص موضوعنا الذي نحن فيه، منها:

أ- امكان الجمع بين ولائين بشكل ما، لانه كان (خصيصاً) بكلا الطرفين، فهو من جهة نديم المتوكل المعروف بعدائه لاهل البيت، ومن جهة كان من اصحاب الامامين المعروفين بالولاء. ولست من الذين يقولون، ان ذلك كان تخطيطاً سرّياً من ورائه الامام عليه السلام، فان يكن نديماً يعني انه على علاقة وثيقة وعلى متسوى عالٍ من الالتصاق. فكل ولاء كان بحسبه، وبطبيعة الحال لا أقصد هنا الولاء العقدي، لان الرجل في نهاية المطاف كان شيعيّاً.

ب - إن ابن النديم هذا كان خصيصاً بالامامين، وله مع الامام الهادي مسائل واخبار، مما يدل ظاهره على هامش الحريّة التي كان يتمتع بها الامام وشيعته، ولو في نطاق الرموز المعروفة فلا اعتقد ان هذا التواصل كان سريّاً، إذ لا دليل على ذلك.

جـ - لقد كان اختصاص هذا الرجل اللغة واخبار العرب كما يبدو من كتبه، وبذلك ارجح، ان تواصله ورسائله واخباره مع الامام كانت في مجال حقله، ولو بنسبة، مما يدل على ثقافة الامام الموسوعية واطلاعه المتوقد.

٢- سعد عبدالله الاشعري:

يكنى أبا القاسم، جليل القدر، واسع الاخبار، كثير التصانيف، ثقة، فمن كتبه كتاب الرحمة، وهو يشتمل على كتب جماعة، منها كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب الزكاة، وكتاب الصوم، وكتاب الحج، وكتاب جوامع الحج،

---

(١) الفهرست رقم: ٨٣.

وكتاب الضياء في الامامة، وكتاب مقالات الامامية، وكتاب مناقب رواة الحديث، وكتاب مثالب رواة الحديث، وكتاب في فضل قم والكوفة وكتاب في فضل عبدالله وعبدالمطلب وأبي طالب(ع)، وكتاب بصائر الدرجات (أربعة اجزاء)، وكتاب المنتخبات (نحو ألف ورقة)، وله فهرست كتاب ما رواه، أخبرنا بجميع كتبه ورواياته عدة من أصحابنا عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه عن أبيه ومحمد بن الحسن عن سعد بن عبدالله عن رجاله، قال ابن بابويه: الا كتاب المنتخبات فاني لم أروها عن محمد بن الحسن إلا أجزاء قرأتها عليه وألمحت على الأحاديث التي رواها محمد بن موسى الهمداني، وقد رويت عنه كلّ ما في كتاب المنتخبات مما أعرف طريقه من الرجال الثقات، وأخبرنا الحسن بن عبيدالله وابن أبي جيد عن أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه عن سعد بن عبدالله.[1]

هذا رمز آخر على درجة عالية من الجديّة والنشاط والمسؤولية ممن تشرف بصحبة الامام العسكري، ومما يتميز به هذا الرجل الثقافة الموسوعية وعلاقته الفكرية بالمدارس والمذاهب الإسلامية الاخرى. ففي النجاشي (سعد بن عبدالله... شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها، كان سمع من حديث العامّة شيئاً كثيراً وسافر في طلب الحديث، لقي من وجوههم: الحسن بن عرفة، ومحمد بن عبدالملك الدقيقي وابا حاتم الرازي وعباساً الترفضي..).

من النص الاخير أفهم:

ان علماءنا الأفاضل من السابقين كانوا حريصين على لقاء الآخر والأخذ منه، واعتقد ان سعداً هذا لم يجرؤ على مثل هذه الممارسة، لو لم يحرز رضا الامام عليه السلام، ولو عن نحو الحدس. ويمكننا ان نتلمس صدى النشاط

---

(١) الفهرست: ٣١٦.

الفاعل والقيمة المعرفية لهذا الرجل اذا عرفنا مستويات هؤلاء الرجال الذين التقى بهم واخذ منهم.

• الحسن بن عرفة بن يزيد... البغدادي المؤدب، ممن أجمع علماء الجرح والتعديل عند السنة على توثيقه، توفي سنة ٢٥٧هـ،[1] مما يعني ان سعداً التقاه عن عمر يناهز الستين بكثير لان سعداً توفي سنة ٣٠١هـ، وهذا الرجل بغدادي ولد في حدود ١٤٧هـ لان عمره مائة وعشر سنين، مما يعني ان الرجل كان موسوعة حديثية، وكان في بغداد التي كانت وقتئذ من اشهر أمصار المعارك الحديثية والفقهية.

• محمد بن عبدالملك بن مروان... الواسطي ابو جعفر الدقيقي، ممن اجمع علماء الجرح والتعديل على توثيقة، مات سنة ٢٦٦هـ وله من العمر احدى وثمانون سنة، مما يعني ان ولادته في حدود سنة ١٨٥هـ[2]، ولما كانت وفاة سعد سنة ٣٠١هـ يكون سعد قد لقاه وعمره يناهز الخمسين على اقل تقدير.

• ابو حاتم الرازي: من اشهر الرواة وأوثقهم وأجهدهم في طلب الحديث، بل ومن احفظهم، ولد سنة ١٩٥هـ وتوفي سنة ٢٧٧هـ، كان جوّالاً في طلب هذا العلم، انفق كل ما يملك في سبيله. ابنه صاحب كتاب (الجرح والتعديل) المعروف، وقد نسب الى التشيع، بل قال أحد رجالهم (كان شيعياً مفرطاً وحديثه مستقيم)[3] كذلك ابنه عبدالرحمن .

ومن هذا العرض البسيط نستطيع ان نتعرف على ذوق صاحبنا سعد بن عبدالله الاشعري، فهو كان عارفاً نقاداً بصيراً بالرواية والحديث والرجال، فان نظرة فاحصة، الى هؤلاء الذين التقاهم تكشف عن إحاطته بعيون العلم

---

(١) تهذيب التهذيب، ج ٢، رقم ٥٢٣.

(٢) ن.م. ج ٩، رقم: ٥٢٤.

(٣) ن.م. ج ٩، رقم ٤٠، ص ٣٣ ـ ٣٤.

الصحيح والفكر الامين، ويبدو ان جولات هذا الرجل في طلب الحديث كانت جادّة وشاقة.

ان هذا الرجل كان واعياً على عصره، هذا ما نفهمه من الكتب التي ألّفها، ومنها:

أ ـ الرد على الغلاة.

ب ـ فضل قم والكوفة.

ج ـ مناقب الشيعة.[1]

وهنا نقطة اريد الاشارة اليها، لقد تعددت كتب الرد على الغلاة في مؤلفات أصحاب الامامين الهادي والعسكري. وهذا يشير الى استعمال هذه الظاهرة آنذاك، فضلاً عن ان كلمة «القوم» كانت مصطلحاً يشار به الى هؤلاء، مما يؤكد ان من المهمات الجوهرية التي اضطلع بها اصحاب الائمة المخلصون ملاحقة هذه الظاهرة الخطيرة. ويبدو ان للغلاة فكرهم المكتوب في ذلك الوقت، وما كتبه الاشعري عن فضل الكوفة وقم يشي عن احساس عميق باهميّة هذين المصرين، ويؤشر على كونهما مركزين شيعيين كبيرين.

ذكر النجاشي (... ولقي مولانا ابا محمّد عليه السلام، ورأيت بعض اصحابنا يضعّفون لقاءه بأبي محمّد ويقولون هذه حكاية موضوعة عليه...).[2]

وهذا اللقاء موضوع في اساسه، لان الاصل فيه خبر رواه الصدوق في (كمال الدين وتمام النعمة) في الباب ٤٧: ذكر من شاهد القائم ورآه وكلمه ح رقم (٢١)، وهو خبر طويل جداً انطوى على مضامين غريبة لا تعقل، على ان سنده في غاية الضعف والهشاشة، فان من رواته (محمّد بن علي بن محمّد بن حاتم

---

(١) النجاشي رقم: ٤٦٧.

(٢) ن.م. رقم ٤٦٧.

الكرماني) حيث الشيخ الصدوق يرويه عنه، فانه مجهول اي لم يوثق،[1] وفي السند (احمد بن مسرور) هو الآخر لم يوثق[2].. وفي السند (محمّد بن بحر بن سهل الشيباني) غالٍ ضعيف وذلك بشهادة الكشي الذي عاصره وروى عنه،[3] وبالتالي، فان هذا اللقاء لا اساس له من الصحة، على ان مما يجدر ذكره هنا، هو النشاط الفعال لمثل هؤلاء الرجال رغم انهم لم يلتقوا الامام ولم يسمعوا منه، فاي ثقة بالعقيدة هذه؟ واي تواصل فكري قائم على النظر المحكم والرؤية الثاقبة؟!

٣ـ محمد بن الحسن الصفار:

قمي، له كتب مثل كتب الحسين بن سعيد، وزيادة كتاب بصائر الدرجات وغيره، وله مسائل كتب بها إلى ابي محمد الحسن بن علي العسكري(ع)، أخبرنا بجميع كتبه ورواياته أبو جيد عن ابن الوليد عنه، وأخبرنا بذلك، أيضاً، جماعة عن ابن بابويه عن محمد بن الحسن عن محمد بن الحسن الصفار عن رجاله إلا كتاب بصائر الدرجات فانه لم يروه عنه ابن الوليد، وأخبرنا به الحسين بن عبيد الله، عن أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه عن الصفار.

ان هذه النماذج من العلماء الذين رووا عن الامام العسكري(ع)، وتتلمذوا عليه، وأخذوا عنه، وتربوا في مدرسته ومدرسة آبائه، وساهموا في إنماء العطاء العلمي في مجال الفقه والتفسير والرواية والعقيدة والأدب والجغرافية وغيرها من العلوم والمعارف؛ لتدل على سعة هذه المدرسة، والتخرج عليها في كل فن

---

(١) معجم السيد الخوئي، ج ١٧: ١١٣٣٩.

(٢) ن.م. ج ٢: ٩٦٥.

(٣) الكشي رقم ٢٣٥.

وعلم، كما تدلّ على مكانة الإمام العلمية وسموّ مقامه.[1]

ويقول النجاشي (محمد بن الحسن بن فروغ الصفار... كان وجهاً في اصحابنا القميين، ثقة، عظيم القدر راجحاً، قليل السقط في الرواية، له كتب...).[2]

ومن مؤلفاته (الرد على الغلاة)، وله مسائل كتب بها الى الامام العسكري[3]، وبهذا نعرف مدى قربه من المنبع الرئيس لفكر اهل البيت، على ان هذا لا يعني ان كل ما يرويه صحيح وموثوق.

هذه عينة من حملة الفكر والرواية من اصحاب الامام العسكري عليه السلام، كتّاب ورواة ومؤلفون، كان همهم حفظ تراث اهل البيت ونشر علومهم ومحاربة الغلاة، ولكن هل كان الامام يشرف على الكتب التي يكتبونها؟! من الصعب ان نجيب على هذا السؤال بـ (نعم) نظراً لما تحتويه بعض هذه الكتب من احاديث مشكوك بصدورها عن الامام عليه السلام.

---

(١) الفهرست: ٦٢٢.

(٢)رقم: ٩٤٨.

(٣) فهرست الشيخ: ٦٢٢.

الفصل الثالث

آليات واهداف

اتجه الائمة الاواخر بشكل رئيسي وجدّي الى الداخل، اي داخل الوجود الشيعي الذي تكوّن وتبلور عبر جهود مضنية، بذلها الائمة واصحابهم، فقد كان الجواد والهادي والعسكري مهتمين بالدرجة الاولى بهذا الكيان، الذي سبق وان اتخذ اكثر واهم واعمق ملامحه العقيدية والشرعية والفكرية، وقد تمثل هذا التوجه بحماية الكيان من الانفراط الداخلي، ومن تغلغل الفكر المضاد، ولم يجهد الائمة الاواخر للاتصال به «الخارج» الاّ نادراً، وسواء كان ذلك نتيجة الملاحقة أم الحصار أم المراقبة أم ان ذلك كان نتيجة لتحديد الهدف بالتوجه الى الداخل أصلاً، فان محصلة الاخبار لا تفيد ان هؤلاء الائمة عليهم السلام كانوا اصحاب هموم خارجية، فهم لم يطرحوا مشروعاً سياسيّاً، ولم يتبنّوا مشروعاً، يهدف للاطاحة بحكم أو استلام سلطة أو معارضة خلافة. وفي الحقيقة: لم يكن أمام أئمتنا الاواخر غير هذا المشروع، وهو مشروع ضخم خطير، لانه تأسيسي، يعمل على تشييد وجود إسلامي حيوي، يتمتع برصيد فكري عميق وقاعدة شعبية عريضة متماسكة وينظر الى المستقبل البعيد، ولم تسمح الظروف والممكنات بغير هذا. وهذا واضح لادنى مراجعة لاحوال الائمة وشيعتهم في ذلك الوقت، وليس من ريب أنه كان لحركة الغلاة المخيفة داخل الوسط دور كبير في تصميم توجهات هؤلاء الائمة الى شؤون الجمهور الشيعي الذاتية اكثر من اي شأن آخر.

يقول الشهيد العظيم محمّد الصدر (كان الهدف الاساسي للأئمة عليهم

السلام ينقسم الى امرين مترابطين: أحدهما ضغط المجتمع من التفسّخ والانهيار الكلي أو بتعبير آخر: حفظ الهالة المشعّة من الحق، المتمثلة بهم وبمواليهم وقواعدهم الشعبية. ثانيهما: السعي الى تأسيس المجتمع الإسلامي الواعي، ورفع المستوى الايماني في نفوس افراده، تمهيداً لنيل الخلافة الحقّة، وتضييق المنصب الالهي الذي يعتقدون استحقاقه).[1] ولا اعتقد ان الهدف الثاني كان من المهمّات التي اشتغل بها الائمة الاواخر، فلا معنى لهذا الهدف وهناك الموالي والقواعد الذين يفتقرون ـ حقاً ـ الى الرعاية الفكرية والايمانية طالما تصدى لهم الفكر المضاد ـ بشتى اشكاله ـ واحدث ارباكاً في تصوراتهم، خاصّة في نيسابور وبغداد. صحيح ان هذا الوسط تبلور عقائدياً وشرعيا، ولكن عملية التبلور هذه مادامت طريّة غضة، تحتاج الى مواصلة. واستطيع ان اقول: ان الائمة كانوا في حالة طوارئ مستمرة، خاصّة وان هناك بعض الاخبار تفيد ان السلطة كانت تعمل على زرع اسباب الانحراف الفكري في داخل الوسط الشيعي.

ان اتجاه الائمة الأواخر الى الكتلة بناءً وصيانة وحماية أمر طبيعي وضروري، وكان من مقتضيات الظروف والمصلحة في آن واحد.

وقد كان من أبرز الأجراءات التي أقدم عليها الائمة الاواخر في هذا المجال، هو اعطاء صلاحيّات واسعة للوكلاء، خاصة وكلاء نيسابور وبغداد. ويبدو لي ان هذا الاجراء جاء بسبب المشاكل الكبيرة التي كان يعاني منها الشيعة في هاتين المنطقتين لاسباب لا مجال لشرحها الآن، وقد تحدثنا عن هذا الاجراء الثاني فكان في تشريع «الخمس» على الارباح. صحيح ان بذور هذه الفريضة كانت في زمن الامام الكاظم سلام الله عليه، ولكن اتخذت طابع التوكيد والتنظير والمراقبة في زمن الائمة الثلاثة الاواخر.

---

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

لقد كان الائمة يكتبون بذلك الى مواليهم في اداء هذه الفريضة المقدّسة، وذلك عبر وكلائهم المعتمدين.

١ـ في وسائل الشيعة (... عن محمّد بن الحسن الاشعري قال: كتب بعض اصحابنا الى ابي جعفر الثاني ـ اي الجواد ـ اخبرني عن «الخمس» أعلى جميع ما يستفيد الرجل من قليل وكثير من جميع الضروب وعلى الصنّاع؟ وكيف ذلك؟ فكتب بخطه: الخمس بعد المؤونة).[١]

٢ـ وفي الوسائل ايضاً (... عن علي بن مهزيار قال: قال لي ابو علي بن راشد، قلت له: أمرتني بالقيام بامرك واخذ حقك فاعلمت مواليك بذلك، فقال لي بعضهم: واي شيء حقه؟ فلم ادر ما أجيب. فقال: يجب عليهم الخمس. فقلت: ففي اي شيء؟ فقال: في امتعتهم وضياعهم، قلت: والتاجر عليه والصانع بيده؟ فقال: اذا أمكنهم بعد مؤونتهم)[٢].

٣ـ وفي الوسائل ايضاً (... كتب اليه ابراهيم بن محمّد الهمداني: اقرأني علي كتاب أبيك فيما أديه على اصحاب الضياع، انه اوجب عليهم نصف السدس بعد المؤونة وانه لي على من لم تقم ضيعته بمؤونته نصف السدس، ولا غير ذلك، فاختلف من قبلنا في ذلك فقالوا: يجب على الضياع الخمس بعد المؤونة مؤونة الضيعة وخراجها لا مؤونة الرجل وعياله فكتب ـ وقرأه علي بن مهزيار ـ عليه الخمس بعد مؤونته ومؤونة عيالة وبعد خراج السلطان).[٣]

٤ـ وفي الوسائل ايضاً (... محمّد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن أبيه قال: كنت عند ابي جعفر الثاني اذ دخل عليه صالح بن محمّد بن سهل وكان يتولى له الوقف بـ «قم»، فقال: يا سيدي، اجعلني من عشرة آلاف في حل، فاني

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٥٠٠، ١٢٥٧٩٤.

(٢) ن.م، ج ٩، ص ٥٠٠، ١٢٥٨١.

(٣) ن.م، ج ٩، ص ٥٠٠، ١٢٥٨٢.

قد انفقتها، فقال له: انت في حلّ، فلماخرج صالح قال ابو جعفر: احدهم يثبت على أموال آل محمد وايتامهم ومساكينهم وابناء سبيلهم ثم يجيء فيقول: اجعلني في حل، اتراه ظن ان اقول: لا افعل، والله ليسألنّهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالاً حثيثاً). [1]

فالخمس ـ على المكاسب ـ شرع في زمن الائمة الاواخر عليهم السلام، ومن الروايات السالفة، نفهم أن هؤلاء الائمة كانوا يثقفون مواليهم على احكام هذه الفريضة المقدّسة، ويشددون عليها، حيث تفيد بعض الاخبار ان بعض الموالين كانوا يتهربون من الايفاء بهذا الحق، واعتقد ان تشريع الخمس جاء بسبب اتساع رقعة الوجود الشيعي، لانه تحول الى وجود مدني، بعضه قريب من الامام وبعضه بعيد، والامام كان في حاجة الى المال لتسيير شؤون الطائفة وتدبير امورها، وما يُحكى عن إكرام الامام الى هذا الوالي او ذاك، انما هو من باب سياسة الطائفة وتوجيه مسيرتها، وليس الامر بطراً او تشهّياً، واني اعتقد انه كان محسوباً بدقة، ولا املك المجال الكافي في هذه اللحظة لمراجعة تلك العطاءات كي اقول بتحليلها، ولكن انا على ثقة انها كانت مدروسة جيّداً، لان الخمس يُعطى بلحاظ منصب الامامة وليس بلحاظ الشخص، والامام من هذا الموقع لا يتصرف على طريقة «حاتم الطائي»، وانما يتصرف بلحاظ كونه قائداً مسؤولاً عن كيان مُسمى عقائدياً وشرعياً، له مشاكله ومهماته. ويبدو من الرواية الثانية ان هذه الفريضة ما زالت غامضة في قواعدها، بدليل ان «علي بن راشد» وهو من وكلاء العسكري المعتمدين المعروفين يسأل عن تفاصيلها وقوانينها كما يمارس دوره في جبايتها، بل هذا ما نستكشفه من الرواية الاولى، حيث توكل الامام الجواد في القاء بعض الضوء على غوامض الفريضة، بل

---

(١) ن.م، ج ٩، ص ٥٣٨.

هناك لبس بين الموالي في المقياس والكم في زمن العسكري كما نلاحظه بوضوح في زمن العسكري.

لقد جزّأ الامام العسكري موضوعة الخمس، وتحولت هذه الفريضة الى مادّة متحركة في داخل الجسم الشيعي استمرت الى هذا اليوم تلعب دوراً فاعلاً.

(٣)

ومنذ امامة الجواد عليه السلام برزت «الرسالة» السريّة كآليّة فاعلة في ادارة شؤون الجماعة الخاصّة، سواء على صعيد اجوبة المسائل الشرعيّة، أم تعيين الوكلاء، أم تقييم الرجال أم تصحيح المفاهيم أم ترشيد المواقف، وفي الحقيقة ان مراجعة دقيقة لهذه الرسائل، الصحيحة منها والضعيفة لا تكشف عن اي مشروع سياسي، بل كانت كثيراً ما تركز على شؤون الجماعة وامورها المصيريّة، وهذه الرسائل كانت سريّة كثيراً ما تعرّض لهذه الاغراض بالذات وهذه المقتربات تبين لنا سياسة السلطة مع الوجود الشيعي، الذي كان مرتبطاً بالأئمة عليهم السلام في ذلك الوقت، وهو عدم الرضا على اقل تقدير، كما انها تبين لنا ان الوجود الشيعي كان منصرفاً الى تنظيم نفسه قبل اي شيء آخر، وقد تطورت هذه الرسالة كماً وكيفاً، اذ تحوّلت الى آلية بيانيّة نظميّة، لا يختص بها الاّ اصحاب المنزلة المتقدمة لدى الإمام، وربما تستنسخ بين الموالين المتقدمين، وتقرأ على الموالين من قبل بعض الرموز. وخاصّة الرسائل التي تتعلق بمشاكل وملابسات النيابة والوكالة، وزمن العسكري شهد نماذج من هذه الرسائل، وفي زمن الغيبة الصغرى استحدث مصطلح «التوقيع» ليكون من ابرز معالم الفترة النظميّة، فالتوقيع الذي هو عبارة عن جواب سرّي سريع، انما جاء تطويراً لاسلوب الرسالة السريّة في عهد الائمة الاواخر، خاصّة الهادي والعسكري. وفي الحقيقة من العسير جداً ادارة شؤون هذا الكيان بغير الرسالة السريّة، ولنا ان نتصور دقة هذا الامر عندما نعلم ان ايّاً من هذه الرسائل لم تقع بيد السلطة او يد عدو.

* نظام الوكالة ذات الصلاحيات الواسعة.
* تشريع الخمس.
* الرسالة السريّة.

هذه العناصر الثلاثة تداخلت وتفاعلت وتطورت في عهد الامام العسكري عليه السلام، فأنتجت الجماعة الشيعية المنظمة على نحو رائع ودقيق في فترة الغيبة الصغرى، اي انها اكتملت في هذه الفترة الحسّاسة من تاريخ الشيعة. ونعود للقول، بأن هذا النتاج العظيم انما هو مصدر تفاعل حيوي بين الامام والاصحاب من جهة، والواقع من جهة اخرى، ولو كانت الحريّة ظاهرة محترمة ومعتبرة ومقرورة لما لجأ الشيعة الى مثل هذه الصيغ النظميّة، كما ان صيغة النظم وآلياته التي مرّ ذكر بعض منها هي التي حالت دون تفكك الجسم الشيعي، وصدّت محاولات شل العقيدة الاسلاميّة التي طرحها ائمة اهل البيت، خاصة جهود الغلاة في هذا المجال، مع العلم ان بعض اسباب نشأة الغلو ذات طابع اقتصادي. هذا وسوف نتطرق الى دور الامام العسكري في قضية المهدي في دراستنا عن العقيدة المهدوية ان شاء الله تعالى.

الفصل الرابع
دراسة في بعض التوقيعات

في التوقيع الصادر الى القسام بن العلاء في لعن العبرتائي عن الامام:

١ـ الهادي

٢ـ العسكري

٣ـ المهدي

الكشي: عليّ بن محمّد بن قتيبة، عن أحمد بن إبراهيم المراغيّ قال: ورد على القاسم بن العلا نسخة ما كان خرج من لعن ابن هلال، وكان ابتداء ذلك ان كتب عليه السلام إلى قوّامه بالعراق: احذروا الصوفيّ المتصنّع.

قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنه قد كان حجّ أربعاً وخمسين حجّة، عشرون منها على قدميه، قال: وكان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه، فأنكروا ما ورد في مذمّته، فحملوا القاسم بن العلا على أن يراجع في أمره. فخرج إليه:

«قد كان أمرنا نفذ إليكم في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت لم يزل لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته، دخل في أمرنا بلا إذن منّا ولا رضى يستبدّ برأيه فيتحامى من ديوننا، لا يمضي من أمرنا إياه إلاّ بما يهواه ويريد، أرداه الله في نار جهنّم، فصبرنا عليه حتى بتر الله عمره بدعوتنا.

وكنا قد عرّفنا خبره قوماً من موالينا في ايّامه لا رحمه الله، وأمرناهم بالقاء ذلك إلى الخلّص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممّن لا يبرأ منه.

وأعلم الاسحاقيّ سلّمه الله وأهل بيته ممّا أعلمناك من حال أمر هذا الفاجر وجميعِ من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده، والخارجين، ومن كان يستحقّ ان يطلع على ذلك، فانّه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأنّا نفاوضهم سرّنا، ونحمله إيّاه إليهم، وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله».

قالِ: وقال ابو حامد: فثبت قوم على إنكار ما خرج فيه، فعاودوه فيه، فخرج «لا شكَر الله قدره لم يدع المرزئة بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما منّ به عليه مستقراً، ولا يجعله مستودعاً، وقد علمتم ما كان من أمر الدّهقان عليه لعنة الله وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالايمان كفراً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولم يمهله».[1]

في ضوء هذا التوقيع نواجه مشكلتين:

المشكلة الاولى:

في سنده «علي بن محمّد بن قتيبة» وهو من شيوخ الكشي الذين يروي عنهم بلا واسطة ولكن الرجل لم يوثق او غير ممدوح مدحاً يُعتد به.[2]

المشكلة الثانية:

أ ـ لقد قيل أو يُتصوّر ان التوقيع صادر عن الامام «علي الهادي» عليه السلام، وفي هذه الحالة نواجه مفارقة ليست بالسهلة، ذلك ان لحن التوقيع يفيدُ انه صدر بعد وفاة المومأ اليه، اي «أحمد بن هلال العبرتائي» هذا ما

---

(١) الكشي رقم: ١٠٢٠.

(٢) قال السيد الخوئي (فما عن «المدارك» من ان علي بن محمّد بن قتيبة غير موثق، ولا ممدوح مدحاً يعتد به والله العالم). ج ١٢، ص ١٦٠.

نستوحيه من قول التوقيع (... وكنا قد عرّفنا خبره قوماً من موالينا في ايّامه لا رحمه الله...)، ومن قوله (... ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممّن لا يبرأ منه)، ولكن الامام الهادي توفي سنة ٢٦٠هـ، فيما ابن هلال توفي سنة ٢٦٧هـ![١].

ب ـ ومن هنا قالوا: ان التوقيع صادر عن الامام «الحسن بن علي العسكري» عليه السلام،[٢] ولكن نواجه ذات المشكلة، اذ كيف يصدر مثل هذا التوقيع التحذيري بعد وفاة المحذّر منه؟! فهذا من غير المعقول.

جـ ـ ولذا قال آخرون ان التوقيع خرج على لسان الامام المهدي عليه السلام،[٣] حيث (يظهر من تاريخنا ان ابن هلال بقي مؤمناً صالحاً خلال سفارة السفير الاول، ولكنه بمجرد ان ذهب السفير الاول الى ربّه بدأ بالتشكيك بسفارة السفير الثاني...)[٤].

هذا الرأي يصطدم بما يلي:

١ـ تبقى المشكلة السابقة قائمة، اذ ان صدور التوقيع كان بعد الممات،[٥] ولكن بما ان النص يفيد ان هذا التوقيع مسبوق بنظيره، وعليه يمكن القول بان احمد بن هلال (مات بعد التوقيع السابق وقبل هذا البيان).[٦] وهذا يعني ان الامام لم يُعلم بموته، وهو بعيد وتكلف، ولكن يمكن توجيه العلاج، بان التوقيع الجديد لم يُقصد به (احمد بن هلال) وانما الناس الذين تأثروا به واستمروا

---

(١) الفهرست: ١٠٧.

(٢) البحار، ج ٥٠، ص ٣١٨.

(٣) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٥٠١ ـ ٥٠٢.

(٤) ن.م. ص ٥٠٢.

(٥) ن.م. ص ٥٠٢.

(٦) ن.م. ص ٥٠٢.

على نهجه، كما نفهم من ذيل التوقيع (قال ـ اي المراغي ـ فثبت قوم على انكار ما خرج فيه، فحاوروه ـ اي عاودوا القاسم بن العلاء ــ فخرج: «لا شكر الله قدره ...»[1] . الا انه يبقى علاجاً ضعيفاً.

٢ـ لقد صدرت بحق هذا الرجل ذموم على لسان الامام العسكري عليه السلام، ففي النجاشي (وقد روي فيه ذموم من سيدنا ابي محمّد العسكري).[2]

٣ـ وقال الشيخ الطوسي في اصحاب الامام الهادي رقم (٢٠): (احمد بن هلال العبرتائي، بغدادي غالٍ)، مما قد يفيد ان هذه الصفة بحقه في زمن الامام الهادي.

هذا وقد ذكر الشيخ الطوسي، ان المهدي اصدر فيه توقيعاً، يذمّه فيه ويحذر من مخاطره، ولكن الذي يخفف الخطب ان الرواية مرسلة.[3]

اذن هناك ثلاثة احتمالات في صدور هذا التوقيع، وجميعها تعاني من مشكلات فنيّة، واذا اخذنا الامر بمجمله، يمكننا القول: ان (احمد بن هلال) هذا كان من دهاة المنتفعين، ذا نزعة انتهازية بارعة، وقد وصل به الامر ان تحول الى النصب، ففي اكمال الدين (حدثنا شيخنا محمّد بن الحسن بن احمد بن الوليد ــ رضي الله عنه ـ. قال: سمعت سعد بن عبيدالله يقول: ما رأينا ولا سمعنا بمتشيّع رجع عن تشيعه الى النصب الاّ احمد بن هلال، فلا يجوز استعماله).

---

(١) ذيل النص وهو توقيع ثالث حسب ما جاء في تضاعيف النص.

(٢) رقم ١٩٩.

(٣) غيبة الشيخ، ص ٢٤٥.

(٣)

وسواء كان هذا التوقيع صادراً عن الامام الهادي أم العسكري أم المهدي عليهم السلام، فانه يكشف عن ان اوضاع الشيعة في ضواحي بغداد، لان الرجل من (عبرتا قرية بنواحي بلد اسكاف)[1]، كانت عرضة للتلاعب بأهواء الطامعين والانتهازيين ـ ومن الواضح، ان السبب وراء انحراف (احمد بن هلال) هذا هو الطمع في المال، ومن الواضح ايضاً، ان الوسط الشيعي كان في حاجة الى مراقبة دائمة وجهد مستمر خوف التأثر بمثل (احمد بن هلال) وغيره. وللاسف الشديد ان كتب التراجم والرجال لم تبين لنا اقواله حتى نتعرّف على طبيعة الاوضاع الفكرية هناك، وعلاقتها بالشيعة والتشيع في ذلك الزمن، وليس من ريب ان جهود الامام والوكلاء كانت حاسمة في قطع دابر مثل هذه المحاولات.

ان مثل ظاهرة (احمد بن هلال) ـ وهي ظاهرة كانت مستفحلة في ذلك الوقت ـ تحدّد لنا بالضبط المهمة التي كانت تنتظر الامام والاصحاب ... انها صيانة الوجود الشيعي من التفكك العقيدي والسياسي والنظمي..

---

(١) الفهرست: ١٠٧.

في التوقيع الصادر الى الحسن بن راشد

تقرر كتب الرجال والتراجم ان الامام الهادي عليه السلام اخرج توقيعاً الى أحد اصحابه هو «الحسن بن راشد»، ونريد هنا ان نجلّي هذا التوقيع.

(١)

هذا الرجل هو الحسن بن راشد، يكنى «ابا علي» مولى لآل المهلب، بغدادي، عدّه الشيخ من اصحاب الجواد والهادي عليهما السلام،[١] وعدّه الشيخ المفيد من الفقهاء الاعلام الذين كانوا من مصادر الفقه عن الأئمة، وممن (لا يُطعن عليهم بشيء ولا طريق لذم واحدٍ منهم)[٢]، وثّقه الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى.

هناك رواية تفيد انه مات شهيداً، ففي الكشي:

(حدثني محمّد بن قولويه قال: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدثنا احمد بن هلال، عن محمد بن الفرج: قال: كتبت الى ابي الحسن عليه السلام، اسأله عن ابي علي بن راشد، وعن عيسى بن جعفر بن عاصم، وعن ابن بند، فكتب لي: ذكرت ابن راشد رحمه الله، فانه عاش سعيداً ومات شهيداً ودعا لابن بند، والعاصمي...).

الرواية ضعيفة[٣] بـ (احمد بن هلال).

وروى الكشي (قال علي بن سليمان بن رشيد العطار البغدادي... انه كانت لأبي محمد عليه السلام خزانة وكان يليها ابو علي بن راشد رضي الله عنه،

---

(١) رجال الشيخ: ٨.

(٢) معجم السيد الخوئي ٤/٢٨١٣ ص ٣٢٤.

(٣) معجم السيد الخوئي ١٧، ص ١٣٢.

فسلّمت الى عروة[1]، فأخذ منها لنفسه ثم احرق باقي ما فيها، يغايظ بذاك ابا محمّد، فلعنه وبرئ منه ودعا عليه، فما أمهل يومه حتى قبضه الله الى النار، فقال عليه السلام: جلست لربي ليلتي هذه كذا وكذا جلسة فما انفجر عمود الصبح ولا انطفأت تلك النار حتى قتل الله عدوه لعنه الله).[2]

لي على هذه الروايات الملاحظات التالية:

الاولى: الرواية مرسلة.

الثانية: ان (علي بن سليمان) هذا لم يوثق.[3]

الثالثة: كان من الاقرب الى المعقول، ان عروة يستقل بالخزانة كلها، ولا داعي لهذا الحرق المزعوم، ولا هو السبيل الناجح للاغاظة، ولا اعتقد ان الامام يتصرف بهذه السلوكية ازاء مثل هذا الموقف.

(٢)

التوقيع في غيبة الشيخ الطوسي:

(... اخبرني ابن ابي جيّد، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن محمد بن عيسى، قال: كتب ابو الحسن العسكري عليه السلام الى الموالي ببغداد والمدائن والسواد وما يليها: قد أقمت ابا علي بن راشد مقام الحسين بن عبدربه، ومن قبله من وكلائي، وقد اوجبتُ في طاعته طاعتي، وفي عصيانه الخروج الى عصياني وكتبب بخطي).[4]

وفي الكشي«أ»... (وجدت بخط جبريل بن احمد، حدّثني محمّد بن عيسى

---

(١) رجال الشيخ/ رجال الهادي/ رقم ٨.

(٢) الكشي: ١٠٨٦.

(٣) كان من الثقاة ثم انحرف.

(٤) المصدر ص ٢١٢.

اليقطيني قال: كتب عليه السلام الى علي بن بلال في سنة ٢٣٢هـ، بسم الله الرحمن الرحيم، احمدُ الله اليك واشكر طوله وعوده واصلي على النبي محمّد صلوات الله ورحمته عليهم، ثم اني أقمت ابا علي مقام الحسين بن عبدربه، وائتمنته على ذلك المعرفة بما عنده، الذي لا يتقدمه أحد، وقد اعلم انك شيخ ناحيتك، فاحببت افرادك واكرامك بالكتاب ذلك، فعليك بالطاعة له والتسليم اليه جميع الحق قبلك، وان تحضّ موالي على ذلك، وتعرفهم من ذلك ما يصير سبباً في عونه وكفايته فذلك توفير علينا ومحبوب لدينا...).[1]

وفي الكشي «ب»: ... (محمّد بن مسعود، قال حدّثني محمّد بن نصير، قال حدثني احمد بن محمّد بن عيسى، قال: نسخة الكتاب مع ابن راشد الى جماعة الموالي الذين هم ببغداد والمقيمين بها والمداين والسواد وما اليها: احمدُ الله ما انا عليه من عافيته وحسن عادته... واني اقمتُ ابا علي بن راشد ... وقد اوجبت في طاعته طاعتي والخروج الى عصيانه الخروج الى عصياني، فالزموا الطريق يأجركم الله ويزيدكم من فضله...).[2]

وفي الكشي «جـ»... (وفي كتاب آخر: وانا آمرك يا ايوب بن نوح ان تقطع الاكثار بينك وبين ابي علي، وان يلزم كل واحد منكما ما وكل به...).[3]

قال السيد الخوئي رحمه الله (... هذه الروايات فيها دلالة على جلالة الحسن بن راشد، الاّ انها ضعيفة فالمعتمد عليه هو رواية الشيخ في الغيبة).[4]

وهنا اكثر من ملاحظة:

الاولى: ان جميع رجال رواية الشيخ في الغيبة ثقات الاّ «محمد بن عيسى»

---

(١) المصدر ٩٩١.

(٢) المصدر: ٩٩٢.

(٣) المصدر: ٩٩٢.

(٤) معجم الخوئي، ج ٤، ص ٣٢٦.

الذي هو اليقطيني، فقد اضطرب في حاله الرجاليون جداً، وقد حكم السيد الخوئي بوثاقته بعد نقاش طويل[١] فيما حكم البهبودي بضعفه.[٢]

الثانية: في رواية الكشي «أ» هناك جبريل بن أحمد، قال عنه السيد الخوئي (... الكشي يروي عنه كثيراً ويعتمد عليه، ويروي ما يجد بخطه، ولكن ... اعتماد القدماء على رجل، لا يدل على وثاقته ولا على حسنه، الاحتمال ان يكون ذلك من جهة بنائهم على أصالة العدالة).[٣]

الثالثة: ان مضمون التوقيع في رواية الكشي «أ» لا يفيد انه مرسل الى الحسن بن راشد ولا الى الوكيل المستبدل، ابي الحسين بن عبد ربه، بل الى شخص آخر، او ان هناك اضطراباً في النقل.

ولكن الكشي في رواية «ب» اعتمد سنداً متيناً، وبالتالي فان روايته هذه صحيحة، وهذا بيان للسند:

* محمد بن مسعود العياشي: (ثقة، صدوق،عين).[٤]
* محمّد بن نصير الكشي: (ثقة، جليل القدر، كثير العلم).[٥]
* احمد بن محمّد بن عيسى: (... شيخ القميين، ووجيههم، وفقيههم غير مدافع، وكان ايضاً الرئيس الذي يلقى السلطان، ولقي الرضا عليه السلام).[٦]

والرواية واضحة المعالم والتفاصيل والخطوط، لا تعاني من اضطراب كما نشهده في متن الرواية «أ»، وهي عبارة عن اطلاع مفصّل «لاحمد بن محمّد بن

---

(١) ج ١٧ رقم ١١٥٠٩.

(٢) معرفة الحديث ص ٢١٩ رقم: ١٢٧.

(٣) معجم الخوئي ج ٤/ ٢٠٤٦.

(٤) النجاشي، رقم: ٩٤٤.

(٥) رجال الشيخ: فيمن لم يرو عنه: ٣٤.

(٦) النجاشي رقم: ١٩٨.

عيسى الاشعري» للتوقيع، نقله الينا، والرجل قمين بذلك لموقعه الاجتماعي والفكري بل والسياسي، فان لحن الرواية يفيد بكل وضوح انه كان قد قرأ مضمون التوقيع، ونجد في تضاعيفها ما رواه الشيخ الطوسي مع اضافة، وعلى العموم هو توقيع واحد كما يبدو، ولكن قد نقل في صيغ متعدّدة، وربما نسخ فأحدث فيه تغيير هنا وهناك، إلاّ ان هذه الصبغة تبدو هي الارجح لمتانة السند.

التوقيع واضح في صيغته النظميّة، فانه مجموعة من التعليمات التي تنسق بين الامام وشيعته، ومما نلاحظ فيه مبدأ (اللامركزيّة)، ومبدأ الثقة المطلقة، كما اننا نلاحظ سعة المنطقة، فانها (بغداد والمدائن والسواد)، مما يشير الى حنكة الوكيل الجديد، وهذه الوكالة جاءت بعد موت (علي بن الحسين بن عبدربه) الذي توفي سنة ٢٢٩هـ، على ان تاريخ كفاية التوقيع الى الحسن بن راشد كان سنة ٢٣٢هـ، الامر الذي يزيد من مشاكل رواية الكشي «أ»، حيث قد يستفاد منها ان الامام كان يخاطب (ابن عبدربه)!! ومن الواضح من الصيغة «ب»، انه كان للامام وكلاء في هذه المنطقة بعد (ابن عبد ربه)، ولكنه في النهاية ابدلهم بـ (الحسن بن راشد) كما نفهم من قوله في التوقيع (... واني اقمت ابا علي بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربّه ومن كان قبله من وكلائي).[1]

وأما رواية الكشي التي يبدؤها (وانا آمرك يا ايوب بن نوح...) فهي مرسلة.

---

(١) الكشي رقم: ٩٩٢ ص ٥١٤.

فارس القزويني

(١)

هو فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني، لم يرو من الحديث الاّ نادراً، وتتحدّد مشكلته في انه كان يغلو في الامام الهادي عليه السلام، وقد اورد الكشي احدى عشر نصّاً في خصوصه كلها تؤكد غلوّه وانحرافه، وقد دخل في صراع مع أحد الشخصيات الشيعية المتعهدة، ذلك هو علي بن جعفر الذي كان وكيلاً للامام الهادي (رجال الشيخ ـ ١٥) ومن ثم وكيلاً للامام العسكري (رجال الشيخ ـ ٣) وكان ثقة بنص الشيخ الطوسي. وعلي بن جعفر هذا هو «الهمياني» من هميا، اي من ضواحي بغداد، وبذلك نفهم ان فارس كان من ضواحي بغداد ايضاً.

(٢)

ويذكر النجاشي ان الامام الهادي لعن فارساً هذا، وامر مَنْ كتب اليه ان يتجنبوه ويستخفوا بعقله وافكاره، وانه هدر دمَهُ، وان الامام كان يقول (فمن هذا الذي يريحني منه ويقتله وانا ضامن له على الله الجنة؟

بل وفي رواية الكشي(قال سعد: وحدثني جماعة من اصحابنا من العراقيين وغيرهم هذا الحديث عن جنيد، ارسل الي ابي الحسن العسكري (ع) يأمرني بقتل فارس بن حاتم...). (الكشي ١٠٠٦)

ولكن الرواية مرسلة.!! حيث سيُعرض للجنيد حديث طويل عن كيفية القتل وان الامام كان هو المخطط الرئيسي لذلك.

ان هناك روايتين بالقتل:

«أ» الكشي: ١٠٠٦ سندها: (حدثني الحسين بن الحسين بن بندار القمي قال: حدثني سعد بن عبدالله بن ابي خلف القمي قال: حدثني محمّد بن عيسى بن عبيد، ان ابا الحسن العسكري امر بقتل فارس بن حاتم...).

* الحسين بن الحسن بن بندار: غير موثق.
* سعد بن عبدالله: ثقة.
* محمد بن عيسى بن عبيد: اختلف في توثيقه: ضعفه المحمودي.

«ب»: رواية مفصلة عن عملية القتل هذه، ولكنها مرسلة، لان الكشي يرويها عن سعد بلا واسطة.

(٣)

ولم نعرف شيئاً عما كان يقوله هذا الرجل في الامام الهادي، وقد ذكر الغضائري ان القتل كان في زمن العسكري، ولكنه كما يبدو تصحيف. ومن عموم الروايات، ان هذا الرجل كان يغلو من اجل الاستحواذ على عقول الناس وتحصيل الاموال، وقد احدث ارتباكاً في الوسط الشيعي.

التوقيع الصادر الى ابراهيم بن عبده

(١)

في الكشي «أ» (قال ابو عمرو: حكى بعض الثقات، ان ابا محمّد صلوات الله عليه كتب الى ابراهيم بن عبده: وكتابي الذي ورد على ابراهيم بن عبده بتوكيلي إياه لقبض حقوقي من مواليّ هناك: نعم هو كتابي بخطي، أقمته، اعني ابراهيم بن عبده لهم ببلدهم حقاً غير باطل، فليتقوا الله حق تقاته، وليخرجوا من حقوقي ويدفعوها اليه، فقد جوّزت له ما يعمل به فيها، وفقه الله ومنّ عليه بالسلامة من التقصير برحمته.

«ب» ومن كتاب له (ع) الى عبدالله بن حمدويه البيهقي: وبعد، فقد نصبتُ لكم ابراهيم بن عبده ليدفع النواحي واهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم اليه، وجعلته ثقتي واميني عند مواليّ هناك فليتقوا الله وليراقبوا وليؤدّ الحقوق، فليس لهم عذر في ترك ذلك ولا تأخيره، ولا أشقاكم الله بعصيان اوليائه، ورحمهم الله واياك معهم برحمتي لهم ان الله واسع كريم).[١]

في هذه الرواية توقيعان في خصوص (ابراهيم بن عبده النيسابوري)، كلاهما يفيد تنصيبه وكيلاً عن الامام الحسن العسكري، وقد أولاه ثقة مطلقة، واعطاه صلاحيّة واسعة، واوصى بطاعته والتزامه، والتوقيع الاول صادر مباشرة الى (ابراهيم بن عبده)، وهنا ندرج الملاحظات التالية:

الملاحظة الاولى:

اورد ابن طاووس هذا التوقيع ولكن بصيغة اخرى في استدلاله (... حكي عن

---

(١) الكشي: ١٠٨٩.

بعض الثقات بنيسابور...).[1] وفارق كبير بين التعبيرين، الاّ ان الصحيح كما يبدو ما ورد في النسخة الموجودة، اي (حكى بعض الثقات)، وهو الموجود في مخطوطة الكتاب المصحّحة سنة ٦٠٢، وعليها المدار.[2]

الملاحظة الثانية:

يروي الكشي التوقيع «أ» بقوله (حكى بعض الثقات...) من دون ذكر هؤلاء الثقات او هذا الثقة، فهل يكفي هذا للاخذ بهذا التوقيع وامضائه، على اعتبار ان توثيق الكشي حجة ولذلك حتى اذا لم يذكر الاسم؟! الذي اعتقده ان ذكر اسم هذا الثقة او هؤلاء الثقات جزء من عملية التوثيق لانه قد يكون توثيق الكشي معارضاً بغيره لو عُلم الاسم. وكم لهذه الظاهرة من مصداق! ونحن لا ندري هل الواسطة بين الكشي والامام واحد او اكثر، وربما نكتشف عدم وثاقة صاحب الاسم المجهول من قرائن وشواهد نعثر عليها بالبحث والنظر، وبالتالي، من الصعب جداً اقرار هذا التوقيع.

الملاحظة الثالثة:

وكتاب الامام الى (عبدالله بن حمدويه) يعاني هو الآخر من ثغرة كما هو واضح، فان الكشي لم يعرّفنا بطريقه اليه، اضافة الى ذلك ان (عبدالله بن حمدويه) هذا لم يوثق في كتب الرجال، وان يكتب الامام اليه لا يدل بالضرورة على وثاقته في الرواية، ث ـ مكما يبدو ـ هو مصدر رواية التوقيع الصادر اليه من الامام.

---

(١) التحرير: ص ١٩.

(٢) معجم السيد الخوئي، ج ١، ص ٢٥٥.

(٢)

في الكشي (حكى بعض الثقات بنيسابور انه خرج لاسحق بن اسماعيل من ابي محمّد (ع) توقيع: يا اسحق بن اسماعيل سترنا الله واياك بستره... ومن بعد إقامتي لكم ابراهيم بن عبده وفقه الله لمرضاته واعانه على طاعته...).[١]

وهو توقيع طويل جداً، يتضمن العتب على اسماعيل وذمّ سيرته وسيرة اهل نيسابور ومهاجمتهم بأسلوب قاسٍ ومقذع ـ سنأتي على بعض فقراته ـ ومن ثم اقامة ابراهيم بن عبده بدل اسحقٍ وايصائه بأن يُحمل المال اليه وعلى ابراهيم ان يوصل المال الى الرازي او من يسمّيه.

ومرّة اخرى نسأل: من هؤلاء الثقات؟!

وفي الحقيقة: ان من دواعي العجب ان لا يذكر الكشي هؤلاء، ترى ما هو المانع؟! لماذا؟! لابد ان تكون هناك علّة خادشة، فان ذكر هؤلاء قد يحمّل الكشي تبعة تتصل بكونه شاهداً ومقيّماً، وعليه، فان هذه المنطقة الغامضة تجعلنا نتردد بامضاء هذه الرواية والتوقيع الذي تحمله، وهذا مع الأخذ بالاعتبار المؤشرات التالية:

اولاً: لقد عدّ الشيخ الطوسي (ابراهيم بن عبده) في اصحاب الامام الهادي (١٩) من دون توثيق، كذلك في اصحاب الامام العسكري (٧) من دون توثيق، فهل كان الطوسي على جهل بهذا التوقيع او هذه التواقيع؟

ثانياً: ان التوضيح المذكور مرسل مع (محمّد بن موسى النيسابوري)[٢] الى اسحق، ولكن «محمّداً» هذا ليس له ترجمة في كتب الرجال، بما فيهم الكشي.

وسوف نناقش هذا التوقيع في مناسبة اخرى.

---

(١) رقم: ١٠٨٨.

(٢) التوقيع نفسه ص ٥٧٧ السطر ما قبل الاخير، كذلك ص ٥٧٨.

ثالثاً: لم يرد اسم (ابراهيم بن عبده) في قائمة الوكلاء الذين حرص الشيخ الطوسي في تعدادهم، وخاصّة وكلاء الامام العسكري عليه السلام!! انه جاء على ذكر الوكلاء الذين انحرفوا فيما بعد، فكيف بهذا الرجل الذي تفيد نصوص الكشي انه من ابرز أوفياء الامام العسكري؟! ومن الواضح ان وكالته من الوزن الثقيل.

المحتويات

مقدمة ١

الباب الأول

الامام الجواد (ع) ورؤية تاريخية تحليلية

الفصل الأول ـ الحياة الخاصة ١٥
الرواية الأولى ٢١
الرواية الثانية ٢٢
الرواية الثالثة ٢٣
الرواية الاولى ٣٥
الرواية الثانية ٣٥
١ـ الجواد: ٣٦
٢. ابو جعفر الثاني: ٣٦
٣. ابن الرضا: ٣٧
٤. القانع والمرتضى: ٣٧
الفصل الثاني ـ النصّ على إمامته ٣٩
النصّ الأوّل ٣٩
النص الثالث ٤١
الفصل الثالث ـ إمامته الموضوعيّة ٤٥
نلقي الضوء على فرقة (المؤلفة): ٤٨
ولنتفحص موضوع فرقة (المحدثة): ٤٩
ولنتدارس الان فرقة (الاحمديّة): ٥١
الفصل الرابع ـ الاصحاب والآل ما وراء الظاهرة ٦٥

١. ايوب بن نوح بن دراج الكوفي: ٦٥
٢. ابن ابي نصر البزنطي:.................................... ٦٦
٣. احمد بن اسحق بن عبدالله الاشعري القمي: ٦٧
٤. صفوان بن يحيى البجلي:.................................. ٦٧
٥. محمد بن الحسين بن ابي الخطاب: ٦٧
٦. احمد بن محمّد بن عيسى الاشعري القمي: ٦٨
٧. ابراهيم بن ابي محمود الخراساني: ٦٨
٨. ابراهيم بن ابي الجلاد: ٦٨
٩. اسماعيل بن مهران بن ابي نصر: ٦٨
١٠. الحسن بن محبوب:....................................... ٦٩
١١. عبدالرحمن بن ابي نجران:................................ ٦٩
١٢. عبدالله بن الصلت القمي: ٧٠
١٣. الحسن بن راشد البغدادي:................................ ٧١
١٤. عبدالعزيز بن المهتدي بن محمّد بن عبدالعزيز الاشعري: ٧١
الفصل الخامس ـ نظام الوكالة الآفاق والدلالات ٨٥
١. ابراهيم بن محمّد الهمداني: ٨٦
٢. ايوب بن نوح بن درّاج: ٨٦
٣. صالح بن محمد بن سهل: ٨٦
٤. صفوان بن يحيى البجلي السابري: ٨٦
٥. علي بن مهزيار الاهوازي: ٨٦
ملاحظة ختامية.. ٩٠

الباب الثاني

الامام الهادي (ع)

الفصل الاول ـ حياته وسيرته.. ٩٣

الفصل الثاني ـ الشيعة في عصر الامام (ع)........................ ١١٥

اولا ـ قم:.. ١١٥

ثانيا ـ الكوفة: ١١٧

ثالثا ـ بغداد وسامراء: ١١٨

الفصل الثالث ـ النشاط السياسي للامام الهادي................. ١٢٧

الفصل الرابع ـ اصحابه وتلاميذه... الشخصيّة والدور! ١٣٩

١ ـ احمد بن اسحق بن عبدالله بن سعد الاشعري............... ١٣٩

٢ ـ الحسين بن سعيد بن حماد الاهوازي:........................ ١٤١

٣ـ علي بن مهزيار الاهوازي: ١٤٣

٤ ـ الفضل بن شاذان النيسابوري: ١٤٤

أ ـ أحمد بن محمّد بن عيسى الاشعري القمي:................... ١٤٦

ب ـ محمّد بن علي بن عيسى القمي:............................ ١٤٧

جـ ـ يعقوب بن اسحق السكيت: ١٤٧

١ـ إبراهيم بن محمّد الهمداني: ١٤٩

٢ـ علي بن مهزيار: ١٥٠

٣ـ علي بن جعفر الهمّاني:.. ١٥٠

الفصل الخامس ـ جهاده العلمي ١٥٣

الباب الثالث

الامام العسكري (ع)

الفصل الاول ـ ملامح من سيرته العامّة............................ ١٦٣

الفصل الثاني ـ أدارة الكيان وتدبير شؤونه.................. ١٧٩
١. احمد بن ابراهيم بن اسماعيل... الكاتب النديم: ١٨٩
٢. سعد عبدالله الاشعري:..................................... ١٩٠
٣. محمد بن الحسن الصفار: ١٩٤
الفصل الثالث ـ آليات واهداف.................................. ١٩٧
الفصل الرابع ـ دراسة في بعض التوقيعات ٢٠٣
في التوقيع الصادر الى الحسن بن راشد ٢٠٨
فارس القزويني... ٢١٣
التوقيع الصادر الى ابراهيم بن عبده ٢١٥

غالب حسن

- من مواليد بغداد عام ١٩٤٤.
- ليسانس لغة عربية وعلوم قرآن من كلية اصول الدين في بغداد.
- دبلوم تربية وعلم نفس من جامعة بغداد.

آثاره

- الوجود في القرآن الكريم.
- الفكر العميق في الازمة الحضارية.
- الفلسفة الماركسية: عرض ونقد.
- نحو وعي سياسي عربي.
- الشهيد الصدر مفجر الثورة الاسلامية في العراق.
- مشكلة تدوين الحديث في العصر النبوي.
- نظرية العلم في القرآن.
- الوجود الحي.
- أصالة النبوة في حياة الرسول الكريم.
- الصراع الاجتماعي في القرآن.
- الإمامة والتاريخ (هذا الكتاب).